إريك ماكرو



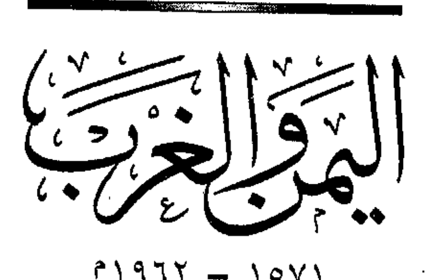

نقله إلى العربية وعلق عليه

الدكتور حسين بن عبد الله العمري




دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم




مع ملحق ختامي لأحداث سنة ١٩٦٧م

اليمن والغرب: ١٥٧١- ١٩٦٢م / إريك ماكرو؛ نقله إلى العربية وعلق عليه حسين عبد الله العمري .- ط٢ .- دمشـــق: دار الفكر ٢٠٠٩ .- ٣١٢ ص ؛ ٢٥ سم.

١- ٩٥٦,٧ م ا ك ي ٢- ٣٢٧,٥٦٧ م ا ك ي
٣- العنوان ٤- ماكرو ٥- العمري

مكتبة الأسد

## إريك ماكرو




١٥٧١ - ١٩٦٢م

مع ملحق ختامي لأحداث سنة ١٩٦٧م

نقله إلى العربية وعلق عليه

أ.د. حسين عبد الله العمري






دار الفكر - دمشق - البرامكة


٣٠٠١ ٩٧ ٩٤٧ ٠٠٩٦٣


٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣

http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net


---

اليمن والغرب

إريك ماكرو

تعريب: أ. د. حسين عبد الله العَمري


الرقم الاصطلاحي: ٠٧٤٥.٠١١

الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-10-103-9

التصنيف الموضوعي: ٩٥٦ (تاريخ العرب والإسلام)

٣١٢ ص، ١٧ × ٢٥ سم

الطبعة الثالثة: ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م

ط١ / ١٩٧٨م

# المحتوى

# مقدمة الطبعة الثانية

تظهر هذه الطبعة (الثانية) كاملةً مصحَّحةً بعد ثلاثة عقود من إصداري لطبعتها الأولى عام ١٩٧٨ حين كنت وقتها أتابع دراساتي العليا في جامعة كمبردج في بريطانية، وقد سبق إعادة تلك الطبعة عن (دار الفكر) عام ١٩٨٧م بعد أن شاعت بين مختلف الأوساط الأكاديمية اليمنية والعربية وغيرها من المهتمين بتاريخ اليمن وعلاقاته بالغرب.

وقد ألمحت في مقدمة تلك الطبعة (ص: ٣٠) بأنني استأذنت المؤلف على حذف الفصل الأخير من الكتاب الذي ذيله وأفرده لأحداث عام ١٩٦٧: «وهي صفحات قليلة وافق المؤلف على حذفها ليتفق وسياق الرواية التاريخية المنتهية بعام ١٩٦٢..» وها هي ذي تلك الصفحات ملحقة بهذه الطبعة الجديدة كما كتبها صديقنا (الراحل) إريك ماكرو ولتحل محل الطبعة السابقة كاملة منقحة بريئة - كما آمل - من الأخطاء والتطبيعات، فعسى أن تجد ما سبق لها من إقبال، وأن تسد فراغاً - ما زال قائماً - بعد ثلاثة عقود، وبعد أن أصبح اليمن كما كان في ماضيه دولة واحدة لشعب واحد، لا دولتين، كما كانت تُصر عليه بريطانية الاستعمارية وأعداء اليمن والأمة العربية، والله المستعان، وهو من وراء القصد.

دمشق ٩/ رجب/ ١٤٣٠هـ

الموافق لـ ١/ ٧/ ٢٠٠٩ م

أ.د. حسين بن عبد الله العَمري

## بين يدي القارئ العربي

تشبه اليمن سيدة فاتنة لا تتباهى بسحرها وفتنتها بل تلقي بهما على المدَلّهين حباً بها ممّن يتمنّون لثمةً من خدٍّ أو حتى لمسةً من يَد! ولعلّنا مَعشر الأوربيّين الذين كثيراً ما ركعنا عند أقدام هذه الحسناء، نجد عذراً لدى النبيّ الكريم إذا ما نحن وصفنا (اليمن) - كما فعلت أنا في هذا الكتاب - بجبال فراديس الإسلام. أليست هذه الحديقة المرتفعة ROOF - GARDEN من أرض الجزيرة العربية تشبه في نعيمها ما يرجوه كلّ مسلم تقي من الإقامة خالداً فيها بعد موته؟. ولربما يغفر لمسيحي - مثلي - مشغوف بجمالها أن يتفكر في أمرها على هذا النحو.

حتى حين نشر كتاب (اليمن والغرب)[1] كان اليمن بلداً مختلفاً تماماً عما هو عليه الآن. وكيفما كان الأمر فإن مَسيرة التقدّم الحالية لم تؤثر كثيراً في الجمال الطبيعي لهذا البلد، لا ، ولا في طباع ذلك الشعب البديع.

---

(١) كان ذلك عام ١٩٦٨م (المعرب).

ولكم هو جيد الآن، وقد تلاشى غبار المعركة، أن يعرف العالم العربي كيف كانت علاقة أوربة باليمن عبر القرون السالفة؛ ولهذا فقد كانت سعادتي بالغة حين اعتزم السفير حسين العمري[١] ترجمة كتابي هذا إلى العربية، وقد زاد من غبطتي أن يكون هذا الشاب المثقف والمؤهَّل علمياً، (المتحدّر من أسرة يمنية عريقة معروفة بعلومها وعلوّ كعبها في شؤون الفقه والسياسة)، هو الذي سيقدم الرواية التاريخية إلى قرّاء العربيّة. ولي وطيد الأمل في أن تنال ترجمته النجاح البالغ الذي تستحقّه.

لندن ١٤/ ٣/ ١٩٧٨م

**إريك ماكرو**

(١) تعرفت على السيد العمري وكيل وزارة الخارجية اليمنية في جامعة كامبردج في العام الماضي حيث كان ولا يزال يمضي دراساته العليا بها. (ماكرو).

# مقدمة المعرّب

- تمهيد
- كتابات الأوربيِّين عن اليمن
- المُؤلف
- الكتاب
- خاتمة



# مقدمة المعرب

## تمهيد

حين التحقت بجامعة كمبردج للدراسات العليا أواخر عام ١٩٧٦م، كان علي أن أتناول كثيراً من النصوص العربية والإسلامية الكلاسيكية في أصولها العربية بالإعداد والدراسة، ومن ثم نقلها إلى اللغة الإنجليزية محللة مدروسة حسب ما هو مقرر في برامج الدراسة ونظام الجامعة.

ومع مطلع العام الماضي ١٩٧٧ وجدتني أحاول قضاء أوقات الفراغ هارباً إلى نصوص إنجليزية أكثر سهولة وأقرب علاقة لما يهمني من مواضيع التاريخ اليمني، وكان أن زار الجامعة محاضراً السيد إريك ماكرو في ٢٧/ ٤/ ١٩٧٧ فأتيح لي اللقاء به والتحدث معه حديثاً عابراً حول كتابه (اليمن والغرب) وذكرياته عن اليمن، وعدت فيما بعد إلى الكتاب أتصفحه متدرباً على الترجمة، ولم يدر بخلدي بادئ ذي بدء أن الأوراق التي كانت تترجم دونما ترتيب أو كبير اهتمام قد ترى النور ذات يوم

لتكون هذا الكتاب بعد أن أعدت صياغته وتبويبه - كما جاء في الأصل - وعنيت بالتعليق عليه، وذلك لما رأيت فيه من أهمية وفائدة أكيدة ينبغي أن يطلع عليها كل مهتم بالتاريخ اليمني خاصة والعربي عامة، خصوصاً أولئك الذين لم تتح لهم ظروفهم الاطلاع على ما ينشر بلغات أجنبية.

ورغم علمي - سلفاً - بقصوري في حقل الترجمة الذي لا أدعي فيه علماً (وهو علم له قواعده وأصوله)، ولا أزعم أن لي به سابق تجربة (حيث ينبغي لها أن تكون)، إلا أن حرصي البالغ على إخراج الكتاب إلى القارئ العربي، واعتمادي على عون من سوف أنوه بكريم مساعدتهم آخر هذا التقديم، كان كل ذلك حافزاً قوياً ومشجعاً على العمل، ومن ثم تعلة أعتذر بها للهنات أو الأخطاء غير المقصودة التي قد أكون وقعت فيها متحملاً وحدي تبعاتها.

# كتابات الأوربيين عن اليمن

لعل من المفيد، قبل أن نشرع في الحديث عن الكتاب ومؤلفه، أن نلقي، على سبيل التذكرة، نظرة سريعة على ما سبقت كتابته من كتب عن اليمن من قبل الغربيين وترجم إلى العربية، فقد صنف مؤرخوه كتباً كثيرة تختلف في تقويمه من الناحية العلمية أو الفائدة العامة، ولا تُعَدُّ هذه الكتب في جملتها إلا ضرباً من كتب الرحلات أو نوعاً من الانطباعات والمذكرات الشخصية سجلها زوار أو موظفون أو مغامرون جازوا باليمن أو أمضوا فيه بعض الوقت. سواء منه ما سبق نشره عن اليمن في باريس أم في روما أم في لندن وكوبنهاغن وأمستردام خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع هذا القرن، ذلك أن اهتمامات الرواد الأوائل من الأوربيين في تلك الفترة المبكرة كانت تتجه أولاً وقبل كل شيء إلى الكشف عن الآثار، وإلى دراسة الحضارة اليمنية العريقة في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومن قبله المسيحية بأكثر من نحو ألف عام[1].

أما ما نحن بصدده من الكتابات الحديثة عن اليمن حتى عام ١٩٦٢ فقد كانت من طراز ما عرفناه للكاتب الإيطالي (سلفاتور أبونتي)[2]،

---

(١) انظر هذا الموضوع في كتاب: جاكلين بيرين (اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم) ترجمة قدري قلعجي، بيروت: دار الكاتب العربي ١٩٦٣م.

(٢) كتابه (مملكة الإمام يحيى، رحلة في البلاد العربية السعيدة) عربه المرحوم الدكتور طه فوزي، ط القاهرة، ١٩٤٧.

أو مغامرات (ويندل فيلبس) الباحث عن (كنوز مدينة بلقيس)[١]، أو كتاب الطبيبة الفرنسية (كلودي فيان)[٢]، الذي كان لترجمته وظهوره قبيل الثورة بوقت قصير أثر دعائي كبير ضد (بيت حميد الدين) لما صورته الطبيبة من مآس عانى منها اليمنيون في ظل حكمهم.. ومن ذلك قصة الطبيب الآخر الذي أمضى (سنوات في اليمن وحضرموت)[٣]، وكانت قصته ثاني كتاب عن اليمن نقله إلى العربية المرحوم (خيري حماد) بعد نشره عام ١٩٦١ رحلة الألماني السرية إلى اليمن التي نشرت بالألمانية عام ١٩٥٦[٤]. وأخيراً قصة الرحلة الدرامية لكارستن نيبور وبعثته التعيسة[٥] التي نقلها إلى العربية عام ١٩٦٨ الأستاذ محمد أحمد الرعوي بعنوان (من كوبنهاجن إلى صنعاء)، وهناك جزء من كتاب (ملوك الجزيرة العزبية) لجاكوب[٦] ترجم إلى العربية في الفترة نفسها تقريباً. ولعل هذا الكتاب مع كتب أخرى ترجمت تدخل في نطاق الكتابات العامة عن الجزيرة العربية وليس عن اليمن وحدها.

---

(١) Wendell Phillps: "Qataban and Sheba". London, 1955.
وقد ترجمه إلى العربية عمر الديراوي بعنوان (كنوز مدينة بلقيس) بيروت، ١٩٦١.

(٢) Claude Fayein: "Une Francaise Medecin en Yemen". Ed. Jullaitd, Paris, 1955.
وقد عربه الأستاذ محسن أحمد العيني بعنوان (كنت طبيبة في اليمن) بيروت، ١٩٦٢.

(٣) الكتاب هو: Eva Hoeck كتبه الطبيب Doctor amongst the Bedouins بالألمانية ونقله إلى الإنجليزية Merryn Savin وعنها ترجمة خيري حماد، بيروت ١٩٦٢.

(٤) H. Helfritz: (The Yemen , A secret Journey), Translated by: M. Heron., London, 1958.
وقد ترجمه خيري حماد، بعنوان: (اليمن من الباب الخلفي)، بيروت ١٩٦١.

(٥) T. Hasen, Arabia Felix, The Danish expedition of 1761 - 1767, London, 1964.

(٦) H. Jacob, (The Kings of Arabia), London 1923.
وكان الأستاذ أحمد بن أحمد المضواحي قد ترجم القسم الأول.

ذلك ما نعرفه من كتب عن اليمن ترجمت إلى العربية، وهي - كما سبق القول - لا علاقة لها بالكتابة التاريخية أو الدراسات العلمية، اجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية، كما أنها لا تمثل الأحسن أو الأفضل لما نشر في الغرب عن اليمن.

وقد ظهر في أوربة وأمريكة والاتحاد السوفييتي - بعد عام ١٩٦٢ - (وبشكل خاص في السنوات القليلة الماضية) كثير من الكتب والدراسات والأبحاث التي تختلف وتتباين من حيث الأسلوب والهدف عن ذلك النوع السطحي والبسيط الذي لم يكن غرض كثير منه إلا إشباع نهم القارئ الغربي وإرضاء فضوله عن: (مأساة واق الواق)[١] أو عن (اليمن ذلك المجهول) كما سماه ذلك الجرائدي المصري[٢].

إنَّ بعض الأبحاث والكتب الحديثة التي صدرت مؤخراً عن اليمن تستحق الدراسة والتأمل، ولذلك كانت الحاجة ملحة إلى تعريب ما هو نافع منها[٣]، فعسى أن نرى ذلك قريباً لما فيه من فوائد علمية وثقافية.

---

(١) اسم كتاب (طوبائي) عن أوضاع اليمن قبل الثورة لأبي الأحرار شاعر اليمن الشهيد محمد محمود الزبيري، ط القاهرة ١٩٦٠، بيروت، دار العودة ١٩٧٨.

(٢) عنوان كتاب سخيف للصحفي المصري أنيس منصور المعروف بعدائه لليمن والعروبة، وقد أصدر هذا الكتيب بعد زيارة وفد الكتاب والصحفيين المصريين لليمن عام ١٩٦٣.

(٣) للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول ما كتب عن اليمن في الغرب - غير ما أورده المؤلف وأثبتناه في الحواشي - يمكن مراجعة: (ببليوجرافيا مختارة وتفسيرية عن اليمن) للأستاذ سلطان ناجي، جامعة الكويت، آب/ أغسطس ١٩٧٣، وكتاب (مصادر تاريخ اليمن) لأيمن فؤاد السيد، المعهد الفرنسي بالقاهرة/ ١٩٧٤: (ص ٣٣٥ - ٣٧٦). كما يمكن العودة إلى كتابات وأبحاث المستشرق الكبير البروفسور ص. ب سرجنت R. B. Serjeant وقوائم المصادر والمراجع (الببليوغرافي) الملحقة بها وبغيرها من الكتب التي صدرت حديثاً في كل من أمريكة وأوربة.

# المؤلف

## إريك ماكرو

## Eric Macro

ولد إريك ماكرو في مدينة لندن عام ١٩٢٠. وبعد إنهاء تعليمه المدرسي التحق بكلية لانسنج في مقاطعة (سوسيكس) بإنجلترة: Lancing College, Sussex.

وبعد أن تخرج فيها، وكان بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، التحق مباشرة بخدمة الحكومة البريطانية، ولبث في ذلك مدة (٣٢ عاماً) أحيل بعدها على التقاعد، بعد أن منح عام ١٩٦٦ وسام الإمبراطورية البريطانية (O. B. E.) مكافأة وتقديراً لخدماته الطويلة.

ومنذ عام ١٩٣٨ كان الأستاذ ماكرو معنياً بشؤون الشرق الأوسط ومشاركاً في بعض الأحداث التي عرضها لنا في كتابه (اليمن والغرب). كما كان صديقاً لكثير من الممثلين الذين لعبوا دوراً في هذه الدراما التاريخية التي شغلت الجزء الأخير من الكتاب.

ولقد كان لمشاركاته وعلاقاته تلك - بالإضافة إلى معلوماته الواسعة عن اليمن - فائدة كبرى أكسبته مقدرة خاصة على الكتابة في شؤون اليمن. وقد عرف عنه منذ زمن طويل الدراية الكاملة بتاريخ الكشوفات وريادة البحار والمحيطات (وهذا ما سوف يلاحظه القارئ في الفصول الأولى من الكتاب). ولقد مكنته معرفته وسعة اطلاعه على مصادر تاريخ

الجزيرة العربية - واليمن منها بشكل خاص - من أن يضع في ذلك أكثر من كتاب وبحث.

أمضى السيد ماكرو وقتاً طويلاً تنقل فيه بين مختلف بلدان أوربة وأمريكة وكندة والاتحاد السوفييتي، كما أقام في الشرق الأوسط مدة يعمل في عدن وغيرها، وبذلك أتيحت له زيارة اليمن وعدة أقطار عربية وإفريقية أخرى كثيرة، ونتيجة لهذه الإقامة والتنقل - بالإضافة إلى ما حصل عليه من المصادر والكتب والمعلومات النادرة - فقد توافرت لديه ثروة كبيرة من الأبحاث والمقالات نشر بعضها، ويمضي أكثرها في طريقه إلى النشر.

وقد أبلغني السيد ماكرو بأنه عاكف الآن على كتابة بحث عن (أوزبكستان) في آسية الوسطى والطريق البري إلى الهند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويقوم بهذا العمل الجليل وهو يعيش عيشة هادئة مع زوجته وابنه وابنته في قرية فاردة في جنوب إنجلترة[١].



(١) بصدور هذه الطبعة الجديدة والكاملة منتصف عام ٢٠٠٩ يكون قد مضى عدة سنوات على رحيله وكان قد بلغ الثمانين من عمره (المعرب).

# كتابه

# (اليمن والغرب)[1]

## Yemen and The Western World

أشرت - قبل قليل - إلى أن الكتب المعربة عن اليمن تناولت موضوعات عامة لم يكن هدف أصحابها فيها التأريخ لليمن أو إنشاء دراسة علمية تتناول الأمور السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. ولهذا فمن المحتمل أن يكون كتاب (اليمن وعالم الغرب) أو (اليمن والغرب) كما أسميناه هو أول كتاب غربي ينقل إلى العربية ليسد جانباً يسيراً من الثغرة الكبيرة في مكتبتنا (اليمنية - العربية) حول علاقة اليمن بالغرب منذ القرن السادس عشر وحتى قيام ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢، وهذا، من دون شك، يُقيمُ للكتاب أهمية كبيرة، وثمة أمر آخر لا يقل أهمية وفائدة، ذلك أنه يروي لنا القصة التاريخية لهذه العلاقات من وجهة نظر الطرف الأوربي ومصادره، وهو الطرف الآخر الذي تقوم معه تلك العلاقات. أما من جانبنا نحن اليمنيين الذين هم أول من يعنيهم مثل هذه الأمور فلا أعلم أحداً تصدى لذلك أو نهد إليه. وإذا ما رأينا أثراً من ذلك[2]

---

(١) صدر للمؤلف عن جامعة ميامي بأمريكة عامي ١٩٥٨ و١٩٦٠ الكتابان (الببليوغرافيان) التاليان:

1- Bibliography of the Arabia Peninsual, (Miami University Press, 1958).

2- Bibliography on Yemen and Notes on Mocha Miami 1960.

(٢) لعل أفضل ما كتب بالعربية حول العلاقات اليمنية - الأوربية ما ورد بخصوصها ضمن البحث الأكاديمي القيم للدكتور السيد مصطفى سالم (تكوين اليمن

يعتمد كثيراً على ما نشر في الغرب، فهو لا يعدو مختصرات مبتسرة. ولهذا فنحن لا نزال ننتظر من ينير لنا السبل إلى مثل هذه الدراسات لنهتدي بها في الكشف عن شؤون هذا البلد عبر تاريخه الطويل.

وإذا ما تلمسنا مواطن الأهمية والقيمة في هذا الكتاب نراها تبرز في نواحٍ عدة:

أولاها: غزارة معلومات المؤلف، وسعة اطلاعه بشكل عام، ومعرفته وقربه من حوادث الفترة الأخيرة التي كتب عنها وعن أحداثها.

ثانيتها: الموضوعية التي اتصفت بها كتابته (ربما باستثناء بعض القضايا المحددة التي ينظر إليها بصفته غربياً بريطانياً غير عربي يمني بطبيعة الحال).

ثالثتها: إعجابه البالغ باليمن وحبه وتقديره للشعب اليمني، ليس هذا فحسب، بل فهمه ورصده لأسلوب اليمنيين في حياتهم وسرعة تطورهم رغم كل عوامل التخلف وعوائق التقدم والبناء، إن ذلك الإعجاب وهذا الفهم يتضح في قوله: ص ٤٠ - ٤١:

**«.. وحتى أولئك الذين ما زالوا منا يحنون إلى استعادة ذكريات أوقات القيلولة القائظة في رحاب جامع البكيلية في صنعاء، والتمشي في الغبار عند الأصيل إلى أعناب الروضة، لا يكادون يدركون سرعة الخطو**

---

= الحديث) القاهرة - ١٩٦٣، وفي بحث السيد فاروق عثمان أباظة (الحكم العثماني في اليمن) لنيل الماجستير - القاهرة - ١٩٧٦ الذي حذا فيه حذو الأول، ونعتقد أنه اعتمد كثيراً عليه، كذلك كتابه الثاني لنيل الدكتوراه (عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر) ١٣٨٩ - ١٩١٨، وهي دراسة جيدة في بابها، وقد أشرنا إلى هذه الكتب في بعض المواضع من الكتاب.

بصدور هذه الطبعة في عامنا ٢٠٠٩ تطول بنا قائمة ما صدر من أبحاث ودراسات في الموضوع ويمكن العودة إلى مظانها للاستزادة. (المعرب).

التي يبدد بها عالم اليوم نمط الحياة الرتيبة والسهلة في هذه الجنة الجبلية من شبه جزيرة العرب.

إنَّ الحياة والأرض في اليمن الآن تمران بأكثر التغييرات فاعلية في تاريخ البلاد المليء بالمتاعب، ولكن كما أسلفت القول في كتاب سابق فإن بلاد اليمن السعيد التي يتحدث عنها الأدب الروماني، ما زالت تحتفظ بسحرها، وحتى الآن، فإن هذه المناطق الجبلية الخصبة الخضراء التي تكون الخلفية للاضطرابات السياسية، ما زالت تقف حاجزاً يحمي تلك العزلة التي استمرت، وبإصرار على مرِّ القرون».

❀ ❀ ❀

«وإذا كانت الجزيرة العربية تحتل ملتقى الطرق في مصير الإنسانية، فإنّ اليمن - بكل تأكيد - لم يلق بالاً إلى الدنيا وهي تمر به وذلك حتى وفاة الإمام يحيى عام ١٩٤٨..».

❀ ❀ ❀

أما هدف المؤلف من وضعه كتابه هذا فقد رسمه لنا في مقدمته، ونجده في الصفحة ٣٥ حيث يقول:

«إن الهدف من هذا الكتاب تزويد المهتمين بشؤون جنوب غرب الجزيرة العربية بخلفية تاريخية للأوضاع السياسية المعاصرة في اليمن».

وهكذا فقد كان الكتاب مجموعة من المعلومات المركزة والمحللة لعلاقات اليمن مع الغرب بعد أن مهد لذلك بمدخل تاريخي مفيد رجع فيه إلى ما قبل الإسلام وحتى بداية القرن السادس عشر، حيث يبدأ فصله الأول من الكتاب (ص ٤٩) بـ **(الاهتمامات المبكرة للأوروبيين باليمن)**،

وما سيتلو ذلك من تنافس تجاري وبحري بين الدول الأوربية (القوى القديمة والقوى الجديدة).

وعندما يصل المؤلف إلى نهاية القرن الثامن عشر يبلغ نقطة هامة ومنعطفاً خطيراً في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ذلك هو احتلال نابليون لمصر في خريف عام ١٧٩٨، في نطاق التنافس (الأنجلو فرنسي).

«.. **وفجأة وبعد مضي قرنين من التفرد بالتعامل التجاري مع اليمن اضطرت الحكومة البريطانية لاتخاذ إجراءات سياسية عاجلة في جنوب غرب الجزيرة العربية، وكانت تلك أول حركة من نوعها في تاريخ أوربة**» (ص ٧٨).

إن هذا يعني: «التحول من التجارة إلى السياسة» (الفصل الثاني، ص ٧٩).

وإذا كان المؤلف يسترسل كثيراً في تفاصيل الرحلات البحرية إلى المخا والحديدة وعدن وغيرها من الموانئ، ويعطي تفاصيل قد تكون أحياناً مملة حين يتطرق إليها، فإنّ المؤلف نفسه قد أشار موضحاً ومعتذراً أن «**الإسهاب في رواية ذهاب الرحلات التجارية الأوربية وإيابها، تلك الرحلات سردتها بغرض إبراز التغيرات الكبيرة التي طرأت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر سواء من حيث النشاط التجاري أم من حيث التنافس العسكري والسياسي من ناحية ثانية**» (ص ٣٥).

فالتنافس التجاري، والاهتمام بالمنطقة وموانئها حيث كانت (المخا) من أهمها تجارياً، وصولات البرتغاليين وجولاتهم في مختلف موانئ البحر الأحمر، ثم صراعهم مع القوى الأوربية الجديدة التي سترتهم لم يكن ذلك كله إلا مدخلاً للمرحلة التالية من التنافس العسكري والسياسي،

بدءاً من احتلال نابليون لمصر ١٧٩٨، ثم احتلال بريطانية لعدن عام ١٨٣٩، **«فقد مضى على بريطانية العظمى نحو من أربعين عاماً من التفكير - في القرن التاسع عشر - قبل أن تقرر الاستيلاء على عدن، ومنذ سنة ١٨٣٩ فصاعداً أصبح اليمن شوكة في جنب الإدارة البريطانية في عدن..»** (ص ٣٩).

وقبل عام ١٧٩٦ لم يكن للأمريكيين وجود في المنطقة، أما الآن فإن **«الأمريكيين لم يتركوا كبير مجال للبريطانيين ليشاركوا مشاركة ذات بال في تجارة المخا، فإن بريطانية العظمى كانت بحلول عام ١٨٣٧ قد بدأت توجه اهتمامها نحو عدن»** (ص ١٠٠).

وبعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ كانت الخطوة التالية هي احتلال مصر عام ١٨٨٢ ومن ثم اقتسام الغنائم بين دول الغرب التي وقعت فيما بينها (الاتفاق الودي) لإطلاق يد فرنسة في المغرب العربي وبريطانية في المشرق مع بداية هذا القرن.

ولم تكن إيطالية - الدولة الفتية بعد تثبيت موسوليني لنظام الفاشست في روما - بعيدة عن المنطقة، وعلاقاتها باليمن كانت على درجة كبيرة من الأهمية، ولهذا (فالخطر الإيطالي في الأعوام ١٨٦١ - ١٩٤٣) على بريطانية أولاه المؤلف اهتمامه، فإيطالية أول دولة تعترف بالإمام يحيى ملكاً على اليمن، وهي أول دولة يوقع معها معاهدة سنة ١٩٢٦. وسوف تتميز علاقاتها باليمن بالاستمرارية حتى عام ١٩٦٢ ولذلك أسبابه وظروفه.

**«ولقد كانت الأقطار الأجنبية الرئيسة المتنافسة في كسب رضا الإمام بين سنتي ١٩٢٠ - ١٩٣٩ بالإضافة إلى إيطالية، فرنسة، وألمانية، واليابان وروسية، وقد دخلت روسية القطر اليمني قبل سنة ١٩٣٨ بيد أن نشاطها أخذ يزداد أهمية منذ عام ١٩٥٠ فما بعد»** (ص ١٧٦).

إن العلاقات اليمنية الروسية وهي أقدم علاقة عربية - سوفييتية ترجع إلى عام ١٩٢٨ حينما وقعت اتفاقية صنعاء في ١/١١/١٩٢٨، وقد اهتم المؤلف بهذه العلاقة خاصة في العقد الخامس من القرن العشرين، وقد توجت بزيارة ولي العهد (محمد البدر) لموسكو في حزيران/يونيو ١٩٥٦، وباتفاقية القاهرة بين اليمن والاتحاد السوفييتي في ١/١١/١٩٥٥ وقد أفرد لها فصلاً تحت عنوان (الروس في اليمن من سنة ١٩٢٣ - ١٩٥٧) كما أن الكتاب ينتهي بالحديث عن الأسلحة الروسية عام ١٩٥٦.

وفي استعراض المؤلف للعلاقات اليمنية - الأمريكية ضمن الفصل الخاص بالعلاقات اليمنية مع أمريكة وألمانية وهولندة واليابان بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٤٠ (ص ١٧٣ وما بعدها) يبدي ملاحظته بأنه لم يزر اليمن من الأمريكيين حتى عام ١٩٤٥ سوى عشرين شخصاً، وبتلميح لا يغيب معناه يشير إلى رحلة الكاتب الأديب اللبناني الأصل (أمين الريحاني) إلى اليمن في إطار تلك العلاقات بالجملة التالية:

**«وقام أمين الريحاني الأمريكي الشامي الأصل برحلة طويلة في اليمن في سنة ١٩٢١ - ١٩٢٢ ظاهرها الدعوة إلى توحيد الصف العربي..»** (ص ١٧٣).

بيد أنَّ العلاقات التجارية مع أمريكة ترجع في واقع الأمر إلى عام ١٧٩٨ حينما وصلت السفينة الأمريكية (ريكا فاري) إلى ميناء المخا، وكانت بذلك أول سفينة أمريكية تصل إلى ميناء في الجزيرة العربية (ص ٩٤) ولم يكن **«الإمام قد اعترف بالأمريكان كأمة في ذلك الحين»** (ص ٩٥) إلا أنه سيوافق في عام ١٨٠٤ على إنشاء مركز تجاري أمريكي في المخا.

أما العلاقات اليمنية البريطانية فالمؤلف أفرد لها الفصل (الثالث) ومعظم الرابع، وتعرض إلى ذكرها في أماكن متفرقة من الكتاب، ونجد أنَّ

مشاكل الحدود (كتركة خلفها الأتراك) منذ نهاية الحرب العالمية الأولى هي الموضوع الرئيس حول العلاقات الثنائية، وإذا كانت بريطانية قد وقعت مع الإمام يحيى معاهدة صنعاء في ١١ شباط/فبراير سنة ١٩٣٤ التي اعترفت بريطانية فيها بالإمام يحيى ملكاً على اليمن إلا أن ذلك «لم يكن إلا مسكناً» (ص ١٥٦) إذ إن مفاوضات (السير جيلبيرت كليتون) في صنعاء سنة ١٩٢٦ «قد فشلت بسبب تمسك الإمام بحق السيادة على جنوب غرب الجزيرة العربية كله بما في ذلك عدن والمحميات. وكان هذا الطلب يقوم على أساس أن الأئمة الزيود كانوا يحكمون تلك المنطقة كلها منذ سنة ١٦٣٠ إلى الوقت الذي انفصل فيه سلطان لحج في سنة ١٧٢٨» (ص ١٥٦).

ومع أنه «بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٩ كان معظم جهود بريطانية في عدن موجهاً نحو المحمية إلا أنها وجدت أنه من الضروري أيضاً أن تراقب بانتباه شديد التطور التدريجي للتسلل الأجنبي في اليمن. وكان الإيطاليون أكثر الدول بروزاً ونجاحاً في هذا المجال» (ص ١٥٩).

وكانت محادثات لندن عام ١٩٥٠، و«قضية التمثيل الدبلوماسي الذي طال عليه الأمد» وتسوية نزاع الحدود وحوادثها هي نهاية فصل وبداية الفصل السادس الأخير الذي كان (بداية النهاية) (ص ٢١٥) والذي استخدم فيه المؤلف معلومات ووثائق قد لا نجدها في مصدر غيره.

وبغض النظر عن آرائه الخاصة في الوجود الاستعماري في جنوب اليمن فقد كرر المؤلف رأيه بأن المشاكل التي كان الإمام أحمد يثيرها مع بريطانية في الجنوب ومن ثم علاقاته مع موسكو والقاهرة ليست إلا للتنفيس عن مشاكله الداخلية التي تفاقم أمرها، ولا سيما بعد انقلاب نيسان/أبريل ١٩٥٥ وما سيتلو ذلك من حوادث، وهو رأي هام يستحق منا التأمل.

❀ ❀ ❀

وإذا كنا لا نقصد بهذا التقديم استعراضاً أو تحليلاً كاملاً للكتاب بل مجرد إشارات وملاحظات عابرة لبعض مواده، فإننا تجاوزنا الإشارة إلى المعارك الحربية البرية والبحرية، وحصار المدن اليمنية الساحلية، وما عانته من قصف وإحراق واحتلال.

كذلك لم نشر في هذا التقديم إلى كثير من القضايا المحلية وحوادث الحدود التي أفاض فيها المؤلف إفاضة كبيرة، وأسهب في ذكر العلاقات اليمنية الفرنسية والهولندية وغيرها من العلاقات مع بقية الأقطار الأوربية، تاركين متعة قراءة ذلك وغيره من التفاصيل للقارئ الكريم.

بيد أننا نود التنبيه إلى أن المؤلف كان مهتماً خلال استعراضه للعلاقات اليمنية الغربية بقضايا أساسية هامة، كموضوع الصراع بين الشرق والغرب، والتنافس بين الدول الاستعمارية، كما أنه كان مدركاً لقضايا التحرير والقومية، وللقضية العثمانية (رجل أوربة المريض)، وعلاقة ذلك بالوجود التركي في اليمن عام عام ١٩١٨.

كذلك المشكلة الفلسطينية التي أفرد لها - فيما يتعلق باليمن - قسماً خاصاً بموضوع اليهود اليمنيين (ص ١٩٧ - ٢٠٤) ونبه إلى قدم التغرير بهم في الهجرة إلى فلسطين بدوافع دينية أسطورية (ظهور المسيح)، وكيف مدت بريطانية وأمريكة (بساطاً سحرياً) بين عدن وفلسطين لنقلهم جواً إليها، وذلك خلال شهري أيلول/ سبتمبر، وتشرين الأول/ أكتوبر من عام ١٩٤٩، وقد جاء هذا القسم ضمن الفصل الخامس الذي بدأ أول أقسامه بمقتل الإمام يحيى وأحداث الحركة الدستورية عام ١٩٤٨ ونتائجها، وقد اعتمد المؤلف في هذا القسم - بل في معظم هذا الفصل - على كثير من المعلومات التي توافرت لديه في عدن، كما لاحظ الدور الخطير الذي قامت به حركة (الإخوان المسلمين) بالقاهرة[1] في ذلك الانقلاب

---

(١) انظر الوثائق التي نشرناها عن ذلك الدور في الجزء الثاني من كتابنا "يمانيات" دار الفكر دمشق ٢٠٠٠ (II/ ١٩٩-٢١٢).

والممثلة بشخصي المرحوم الفضيل الورتلاني والأستاذ عبد الحكيم عابدين صهر الإمام حسن البنا. وإن كان قد نسب ذلك إلى مجرد اعتقاد لدى سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى (ص ١٩٥)، ولا يخلو هذا الفصل من أهمية خاصة بغض النظر عن حكاية (كنز الإمام يحيى) (ص ١٩٠) الذي لعل المقصود به أموال (بيت المال) - (الدولة) والتي كانت بالفعل مكنوزة في (دار السعادة). أو بعض الأسماء والملاحظات التي أشرنا إليها في هوامش الصفحات، كما فعلنا في سائر الفصول الأخرى مع محاولة الاختصار والاعتماد على ثقافة القارئ ومعلوماته.



## خاتمة

بقي أن أذكر أمرين؛ أولهما: يتعلق بأسلوب العمل في التعريب. وثانيهما: يتصل بأسلوب المؤلف نفسه.

**الأمر الأول:** لقد سبق أن أشرت إلى أنني - في البداية - لم أكن أعتزم إخراج الكتاب على هذا النحو الذي أخرجته فيه، وذلك لأنني لست من الاختصاصيين في الترجمة. ولما كانت الظروف قد تهيأت لطبع الكتاب فلا بد من القول بأنني قد راعيت الحرفية في نقل النص الأصلي كل المراعاة، باستثناء بعض الكلمات والصياغة في العرض بالأسلوب الذي تعودت الكتابة به، محافظاً بذلك على أمانة الترجمة وروح النص كما كتبه المؤلف أو كما قصده. وسوف يلاحظ القارئ الكريم أن بعض الكلمات أو التعابير الإيضاحية قد كتبت بين قوسين هكذا ( )، وأحياناً بين حاصرين معقوفين [ ]، وتلك الكلمات أو الجمل أضفتها زيادة على ما هو ضروري لأثبته في الهوامش الإيضاحية، التي لم أحاول إثقالها بما يبعد القارئ عن التركيز على النص الأساسي.

وقد حرصت على استخدام المقابل العربي لما ورد من رتب عسكرية أو تعابير وكلمات عامة، مضيفاً بالإنجليزية أي اسم أو تعبير قد يكون به أي لبس أو غموض كلما كان ذلك ضرورياً.

ولا بد من الاعتراف ههنا بأنني قد تركت أسماء أماكن أو مواقع كما وردت في الأصل الإنجليزي عندما لم تسعفني الذاكرة أو المصادر

المتاحة لي في بريطانية في تعريبها، على أمل تدارك ذلك مستقبلاً في طبعة قادمة.

ولما كان الكتاب يؤرخ لعلاقة (اليمن بالغرب) منذ القرن السادس وحتى ١٩٦٢ فقد استأذنت المؤلف في حذف الفصل الأخير من الكتاب الذي ذيله وأفرده لأحداث ما بعد الثورة، وهي صفحات قليلة وافق المؤلف على حذفها ليتفق وسياق الرواية التاريخية المنتهية بعام ١٩٦٢، وقد يجد لها المؤلف مجالاً أوسع في دراسة قادمة لهذه الفترة.

**أما الأمر الثاني وهو أسلوب المؤلف:** فجعلته للتنويه بمقدرته على استخدام مادته التاريخية الغزيرة بالطريقة التي استخدمها، وبأسلوبه الجميل الذي أرجو ألا يفسد تعريبي كثيراً من جماله، وهنا أرجو أن يقبل الأستاذ المؤلف إريك ماكرو شكري على موافقته على تعريب الكتاب وعلى مساعدته في شراء حقوق النشر باللغة العربية من صديقه الناشر الإنجليزي Mr. C. Hurste0r, Co.

وبعد:

قبل أن أختم تقديمي هذا أود أن أشكر صديقين عزيزين من أصدقاء كثر آخرين كان لهم الفضل في ظهور هذا الكتاب، فقد أسدى إلي الأخ أحمد البشري إبراهيم، يداً كريمة أثناء صحبته لي في العام الأول - الماضي - لوجودي بجامعة كمبردج، فأفادني فوائد كثيرة من بينها كريم مساعدته وتشجيعه ونصائحه القيمة في ترجمة الكتاب هذا، وإذا كان قد غادرنا للتدريس في جامعته بالخرطوم قبل إنجازي تعريب الكتاب فعسى أن ترضيه هذه الترجمة التي كان فضل النظر في صياغتها بالعربية ومراجعتها، ومن ثم الإشراف على إخراجها، ومراجعة تجارب طباعتها

للصديق العزيز الأخ الدكتور عدنان درويش مدير إحياء ونشر التراث العربي في وزارة الثقافة والإرشاد القومي في القطر العربي السوري، فهو لا يضن دائماً وأبداً بوقته الثمين وبعلمه الغزير. فللصديقين خالص شكري وتقديري، مكرراً سابق قولي في البداية بأنني وحدي أتحمل أي خطأ أو قصور، ومن الله وحده يُستلهم التوفيق إلى حسن الصواب.

**إنجلترة - جامعة كمبردج.**

**٣٠ رمضان ١٣٩٨هـ**

**الموافق ٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٨**

**حسين بن عبد الله العمري**

إريك ماكرو

# اليمن و الغرب

## ١٥٧١ - ١٩٦٢م

تعريب وتعليق

حسين عبد الله العمري

# مقدمة المؤلف

الهدف من هذا الكتاب تزويد المهتمين بشؤون جنوب غرب الجزيرة العربية بخلفية تاريخية للأوضاع السياسية المعاصرة في اليمن. ولي كبير الأمل في أن أعذر للإسهاب في رواية ذهاب الرحلات التجارية الأوربية وإيابها، تلك الرحلات التي سردتها بغرض إبراز التغيرات الكبيرة التي طرأت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، سواء من حيث النشاط التجاري أم من حيث التنافس العسكري والسياسي من ناحية ثانية.

ولقد بحثت بشيء من التفصيل العمليات العسكرية في الحدود اليمنية الجنوبية خلال الستين عاماً الماضية، وإذا ما وجد القارئ الكريم في ذلك بعض الملل فحسبي القول إنه سيجد على أقل تقدير سجلاً مفيداً، وربما فريداً للأحداث التي جرت آنذاك، وإنني بطبيعة الحال أتحمل المسؤولية الكاملة إزاء أي رأي أو تحيز غير مقصود في مسألة من المسائل الخلافية بالرغم من بذلي قصارى الجهد في أن أكون وسيطاً بين مختلف وجهات النظر.

ولعله من بعض ما زال من الممتع حقاً التأمل في معرفة أي من الأوربيين الأول قد وطئت قدماه أرض اليمن، لأن الدراسات الحديثة تلقي اليوم ظلالاً من الشك حول ما أحاط به (أرنولد فون هارف A. Von Harff) قصة رحلته إلى هناك في القرن الخامس عشر،

لكن ما نستطيع تأكيده هو أن (لودفيكو دي فارتيما) البولوني Ludovice de Varthema سافر إلى اليمن في السنوات الأولى من القرن السادس عشر، وبأن الجيش الروماني بقيادة (إيليوس جالوس) قد وصل إلى (مأرب) قبل ثلاثة أرباع القرن من مولد المسيح[١].

أما أهداف هذا الكتاب فنحن لا نرى ضرورة في العودة إلى أي علاقة أوربية مع اليمن قبل المحاولات البرتغالية المبكرة للاستيلاء على عدن.

ولا أحسب إضافة القائمة التقليدية بأسماء من أنا مدين لهم في هذا العمل إلا ضرباً من الاسترسال في الغرور، وحسبي القول بأنني استفدت أو استأنست في كتابي هذا بأعمال كبار الأوربيين المختصين في التاريخ اليمني واللامعين منهم في الريادة والكشف، مروراً بأولئك الذين عرفوا المنطقة في القرن الماضي.

وإنني لأرجو - على أقل تقدير - أن يصفح عني من لا يزال على قيد الحياة لعدم التنويه باسمه هنا، وأكثر من ذلك ما يمكن أن يقال لزوجي العزيزة التي تطوعت - مجاناً - منذ زواجنا قبل نحو ربع قرن في وظيفة المكتشف والرحالة والمحرر والناقد والقارئ والكتبي، والمساعد في البحث والمواسي في أوقات الشدة.

إيطالية - سايينة

حزيران/يونيو ١٩٦٧

**إريك ماكرو**

---

(١) كانت الحملة الرومانية الفاشلة على اليمن عام ٢٥ ق. م وكان قائدها إيليوس جالوس الحاكم الروماني على مصر. (المعرب).

# مدخل*

لا يمكن القيام بأي دراسة تاريخية للعلاقات الخارجية لأي بلد من البلدان ما لم يؤخذ بعين الاعتبار البيئة الجغرافية، والأهمية الخاصة لذلك البلد، وإذا استثنينا (مَسْقَط)، فإنَّ اليمن (الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية في مساحة تقرب من ٧٥,٠٠٠ ميل مربع) كان يتمتع بصلات قديمة مع العالم الغربي أكثر من غيره من الأقطار العربية الأخرى. ولعل اليمن في ذلك لا يختلف عن بقية المناطق التي تقع في أطراف أشباه الجزر العظيمة في العالم من حيث الأهمية التجارية وما يتبع ذلك من أهمية سياسية. وتنفرد الجزيرة العربية بأن كلًّا من طبيعة أرضها وتعصب أهلها قد وقف حائلاً دون الاتصال بالغرب إلا فيما ندر، وذلك في أطرافها.

فماذا كان موقف اليمن حين ذاك بالقياس إلى بقية العالم على مرِّ القرون؟ إنه لا يدعي أهمية خاصة، فليس فيه في الوقت الحاضر من المعادن أو الموارد الطبيعية الأخرى التي يتم استغلالها، ما يهتم به العالم اليوم. وليس به من وسائل المواصلات ما يميزه طريقاً للتجارة العالمية، أو مرفأً للسفن. وكان البن اليمني يجلب من المخا على السفن الأوربية

---

* كان العنوان في الأصل (مقدمة) فاستبدلنا بذلك كلمة (مدخل) تمييزاً بين هذا الفصل وبين العنوان السابق للمقدمة. (المعرب).

لفترة تزيد عن قرنين، كما أن المخا استعملت لفترة قصيرة جداً في بداية القرن التاسع عشر محطة تزود بالوقود السفن التجارية (الجديدة) العابرة بين الهند ومصر. بيد أنه كان هناك اتصال مستمر بين اليمن والغرب على مدى الأربعة أو الخمسة قرون الماضية. وهكذا فإن علينا أن نبحث عن أسباب أخرى لأهمية اليمن بالقياس إلى الغرب.

إن امتداد العالم المسيحي إلى ما وراء العالم الإسلامي، وبداية التجارة الأوربية المحمولة بحراً مع جزر الهند كان السبب في ظهور السفن الصغيرة عابرة المحيطات في المحيط الهندي، وذلك في رحلتها من أوربة حول رأس الرجاء الصالح، وفي وقت لاحق استطاع الأوربيون اختصار الطريق إلى جزر الهند بالعبور من السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إلى رأس الخليج الفارسي (العربي)[١] والبحر الأحمر، وفي وقت متأخر بعد ذلك أدى فتح قناة السويس[٢] إلى أن يكون طريق البحر الأحمر هو الطريق الموصل من البحر الأبيض المتوسط إلى الهند وجزر الهند الشرقية.

وفي الربع الثالث من القرن التاسع عشر تطور مركز اليمن في الشؤون العالمية من مجرد ميناء يطرقه البرتغاليون من حين إلى آخر، إلى منفذ تصديرٍ لتجارة البن، وميناء، ومركز لجمع البضائع التي تحملها السفن عبر المحيط الهندي وتوزيعها، كما أصبح محطة تزود بالوقود السفن التجارية الأولى (القديمة). وأخيراً صار شريطاً ساحلياً على مدخل البحر الأحمر يسبب استيلاء دولةٍ أوربيةٍ عليه، حرجاً لأي دولة أخرى منافسة قد ترغب في أن يستعمل أسطولها التجاري، بل والحربي قناة السويس بصفة

(١) سترد التسمية كما وضعها المؤلف (الخليج الفارسي) وقد حافظنا على أمانة الترجمة فتركناها كما وردت. (المعرب).

(٢) تم فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩. (المعرب).

مستمرة. وقد قل اهتمام إنجلترة باليمن عندما وجدت في عدن ميناء أكثر ملاءمة لتزويد السفن بالوقود والطعام. ومن عدن استطاعت إنجلترة أن تمارس نفوذاً يحد من المطامع الإيطالية والفرنسية على الساحل الصومالي.

كان اليمن ذا أهمية لبريطانية العظمى على مدى قرن ونصف القرن تقريباً، وذلك لأن موقعها على الطريق إلى الهند بعد أن استقرت مواصلاتها عبر مصر[١]. ولقد مضى على بريطانية العظمى نحو من أربعين عاماً من التفكير - في القرن التاسع عشر - قبل أن تقرر الاستيلاء على عدن، ومنذ سنة ١٨٣٩[٢] فصاعداً أصبحت اليمن شوكة في جنب الإدارة البريطانية في عدن. وبالتدريج تم التوصل إلى شبه سلام مع رجال القبائل المحيطة بميناء عدن، حتى تم نوع من تحديد الحدود بين منطقة عدن وما خلفها - من ناحية -، وبين اليمن، من ناحية أخرى، في السنوات الأولى من هذا القرن. وفي الخمسين سنة التالية - أو نحو ذلك - استطاع اليمن وعدن أن يتعايشا معاً عبر سلسلة من المناوشات على الحدود والمتاعب التي جاءت نتيجة لاحتلال إيطالية للحبشة[٣]، ومن ثم الحرب العالمية الثانية. وبعد موت الإمام يحيى في عام ١٩٤٨، وانتشار فكرة القومية العربية بعد الحرب العالمية الثانية لم تعد المشاكل بين اليمن وبريطانية موضوعاً للمفاوضات. فالحرب الروسية الباردة امتدت إلى البحر الأحمر، وأحكم عبد الناصر قبضته على مصر وأخذ يوجه اهتمامه إلى طرد بريطانية من كل أرض عربية كانت تحتلها.

وخلال ذلك أصبحت عدن - التي كانت لمدة طويلة مجرد نقطة عسكرية من سلسلة نقاط عسكرية بريطانية في المحيط الهندي - أصبحت

(١) ثبتت بريطانية أقدامها في مصر بعد احتلالها نهائياً سنة ١٨٨٢. (المعرب).
(٢) أي من عام احتلال عدن سنة ١٨٣٩. (المعرب).
(٣) سنة ١٩٣٥. (المعرب).

بالنسبة إلى بريطانية قاعدة عسكرية، وميناء لتزويد السفن بالوقود في الدرجة الأولى من الأهمية. ومن هنا فإنه حتى حينما أصبحت التزامات بريطانية الاستعمارية الأخرى، جزءاً من الماضي، استمرت بريطانية تواجه اليمن وحكامه المتعاقبين في ثوبها القديم كقوة استعمارية وذلك حتى أواخر الستينيات من هذا القرن.

❀ ❀ ❀

«إن مدينة المخا هذه هي المدينة الرئيسية في اليمن السعيد على الطريق الملاحي، وهي تقع على بعد ١٥ فرسخاً داخل مضيق باب المندب بالقرب من أو على خط طول: ١٣ و٢٣ دقيقة، حيث ينحرف مؤشر البوصلة إلى حوالي ١٢ و٣٠ إلى الغرب».

هذه العبارات الطريفة يُستهل بها «قائمة الأماكن المهمة الرئيسة في المخا» التي ألحقها أوغسطين فيتزهيو Augustine Fitzhugh بمخطوط خارطته ورسومه الشاملة للمخا في عام ١٦٨٣م. ولم يكن بأية حالٍ أول أوربي يصف ذلك الميناء القديم من موانئ البحر الأحمر، إذ لا يزال الأرشيف الفرنسي الرسمي يحتفظ لنا بمخطوط - شبه تالف - لتلك المنطقة سبق أن استعمله (دوم جاو دي كاسترو Dom Jau de Castro) عام ١٥٤١م. ولم يكن ليخطر على بال ذلك الخرائطي (واضع الخرائط) اللندني أو ذاك البحار البرتغالي - الذي أصبح فيما بعد نائباً للملك في الهند - لم يكن ليخطر على بالهما «أن تلك المدينة الرئيسة في اليمن السعيد على الطريق الملاحي» ستصبح على أيدي العمال الصينيين الشيوعيين ميناء تستعمله السفن بعد أن ظلت خرائب وأطلالاً على مدى ثلاثة أو أربعة قرون[1]. وحتى أولئك الذين ما زالوا منا يَحِنّون إلى

(١) لعل المؤلف خلط هنا بين بناء الصينيين لطريق صنعاء - الحديدة، وبين ميناء =

استعادة ذكريات أوقات القيلولة القائظة في رحاب جامع البكلية[(١)] في صنعاء، والتمشي في الغبار عند الأصيل إلى كروم (أعناب) الروضة[(٢)]، لا يكادون يدركون سرعة الخطو التي يُبَدِدُ بها عالمُ اليوم نمط الحياة الرتيبة والسهلة في هذه الجنة الجبلية من شبه جزيرة العرب.

إن الحياة والأرض في اليمن الآن تمران بأكثر التغييرات فاعليةً في تاريخ البلاد المليء بالمتاعب. ولكن كما أسلفت القول في كتاب سابق فإن بلاد اليمن السعيد التي يتحدث عنها الأدب الروماني، ما زالت تحتفظ بسحرها، وحتى الآن[(٣)] فإن هذه المناطق الجبلية الخصبة الخضراء التي تكوِّن الخلفية للاضطرابات السياسية، ما زالت تقف حاجزاً يحمي تلك العزلة التي استمرت، وبإصرار، على مرِّ القرون.

وإذا كانت الجزيرة العربية تحتل ملتقى الطرق في مصير الإنسانية، فإن اليمن - بكل تأكيد - لم يلق بالاً إلى الدنيا وهي تمر به وذلك حتى وفاة الإمام يحيى في عام ١٩٤٨. ولبث غير متأثر كذلك بمد الإمبراطوريات العظيمة في التاريخ وانحسارها، تلك الإمبراطوريات التي امتدت شرقاً من البحر الأبيض وسارت غرباً عبر سهول آسية، وراح اليمن ينمو ويتطور وفق أسلوبه الخاص في الحياة.

---

= الحديدة (افتتح في ٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٢) الذي بناه السوفييت، وكلا العملين تم نتيجة لصلات الإمام أحمد بالمعسكر الاشتراكي وزيارات ولي عهده البدر لبكين وموسكو عام ١٩٥٧، كما سيوضح ذلك فيما يأتي من الكتاب. أما ميناء المخا فلا علم لنا بأن الصينيين قاموا بإصلاحات في هذا المرفأ. (المعرب).

(١) جامع مشهور بناه الوزير حسين باشا وسماه باسم مساعده بكيري سنة ١٠٠٥هـ، ويقع في حي الميدان بالقرب من قصر غمدان. (المعرب).

(٢) تقع الروضة على بعد ستة أميال شمالي صنعاء، وتشتهر بأعنابها، وكانت مصيف للموسرين من أهل صنعاء، ومتنزهاً لهم. (المعرب).

(٣) كتب المؤلف هذا سنة ١٩٦٧. وقد ألحقنا بهذه الطبعة الكاملة ما كتبه المؤلف عن حوادث ذلك العام وحذفناه في الطبعة الأولى (المعرب).

كانت مملكة حمير[١] من آخر ممالك جنوب غرب الجزيرة العربية، وقد استطاعت أن تزدهر بعد فترة قصيرة من الاحتلال الأثيوبي[٢] لها في القرن الرابع، واستمر ازدهارها حتى سقطت نهائياً نتيجة موجة أخرى من الغزو الأثيوبي في عام ٥٢٥ بعد الميلاد[٣].

وفي عام ٢٤ ميلادية خرجت من مصر حملة رومانية بقيادة إيليوس جالوس Aelius Gallus، كادت الصحراء تبتلعها وهي في طريقها جنوباً داخل الأراضي اليمنية.

وخلال الاحتلال الأثيوبي الثاني وفي فترة لاحقة من الحكم الفارسي لليمن (سنة ٥٧٠ - ٦٢٨) انتشرت المسيحية واستقبلت بالتسامح إلى جانب اليهودية، وما لبث أن دخل باذان - آخر حكام الفرس على اليمن - في الإسلام[٤]، وبدأ الدين الجديد ينتشر شيئاً فشيئاً في طول البلاد وعرضها. وقد كانت معارضة المسيحيين الأحباش عائقاً في سبيل انتشار الإسلام انتشاراً سريعاً حتى عام ٦٣١م، حينما بعث النبي محمد ﷺ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ليفرض القبول المطلق للدين الإسلامي

---

(١) (١١٥ ق. م - ٢٧٥م). (المعرب).

(٢) كانت الحملة الحبشية الأولى على اليمن سنة ٣٤٠م واستمر الاحتلال الحبشي حتى ٣٧٨م، أما الحملة الثانية من الغزو الأثيوبي فقد استمر حكمها حتى ٥٩٥م، عندما استقل بحكم اليمن سيف بن ذي يزن بمساعدة الساسانيين الفرس. (راجع مصادر تحقيقنا لهذه الفترة، تاريخ صنعاء، ص ٤٢). (المعرب)

(٣) دخلت المسيحية إلى اليمن زمن الإمبراطور (كونستانتيوس ٣٣٧ - ٣٦١م على يد ثيوفيلوس) ويذهب بعض المؤرخين إلى أن سبب الصراع بينها وبين اليهودية في اليمن لأنها كانت تمثل ديانة المحتل (الحبشي) في حين كانت اليهودية ديناً وطنياً دان به اليمنيون وأقيالهم، وما لبث اليمنيون جميعاً أن دخلوا في الإسلام - دونما فتح - باستثناء من بقي منهم على يهوديته إلى الآن. (المعرب).

(٤) كان ذلك سنة عشر للهجرة وقد أقره النبي ﷺ حاكماً على اليمن حتى مات. (الطبري ٢/١٤٨، ٣/٢٢٧، المعارف: ٦٣٩). (المعرب).

على البلاد[١]. وخلف أبو بكر الصديق النبي بعد وفاته وجاء عمر وعثمان ثم أصبح الإمام علي رابع الخلفاء (الراشدين) بعد مقتل عثمان في سنة ٦٥٦م. وبتولي علي الخلافة ظهر المذهبان الإسلاميان الرئيسان: السنة والشيعة، والسنيون مسلمون تقليديون يرون أن اختيار الخلفاء الأربعة الأوائل كان نتيجة لمقدرتهم وميزاتهم وليس لقرابة تربطهم بالنبي.

ومن بين مذاهب السنة الأربعة نجد أن الشافعية قد وجدت طريقها إلى اليمن[٢].

إن الشيعة يرون الوراثة عاملاً أساسياً في اختيار خلفاء الرسول، والشيعة أنفسهم ينقسمون إلى فرقتين: الشيعة الفرس الذين يرون المزايا الشخصية عاملاً حاسماً في اختيار الأئمة والقيادات الدينية، والزيدية الذين يشترطون اختيار الأئمة من بين سلالة النبي ولكنهم يجعلون للكفاءة الدينية (التفقه في الدين) أهمية أكبر في الاختيار، وليس من الشيعة من يعترف بصحة خلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل في الإسلام[٣]، وأتباع

---

(١) تختلف المصادر التاريخية حول مجيء الإمام علي بن أبي طالب إلى اليمن، ولكنها تتفق في أن رسول الله قد بعث وبر بن يحنَّس وأبان بن سعيد وفروة بن مسيك المرادي وفقيه الإسلام معاذ بن جبل إلى اليمن بعد قبول اليمنيين الإسلام في زمن النبي وطلبهم إليه من يفقههم في الدين الحنيف.
(انظر: الطبري ٣/ ١٢٠ - ١٢٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٤١، الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩٠، ابن هشام ٤/ ٢٣٥ - ٢٣٧ وراجع تاريخ مدينة صنعاء). (المعرب).

(٢) توفي الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي بمصر سنة ٢٠٤هـ، وقد سبق له التتلمذ على علماء اليمن، وقد انتشر مذهبه في المناطق التهامية واليمنية الجنوبية مع المذهب الزيدي في المناطق الشمالية والجبلية، وكان ذلك لظروف تاريخية وجغرافية لا مجال لبسطها الآن. (المعرب).

(٣) ذلك قول المتطرفة والمغالية من الشيعة، وليس هو رأي الزيدية الأصيلة، راجع (الفرق بين الفرق للشهرستاني، والدراسة القيمة للدكتور عبد الرحمن بدوي) =

المذهب في اليمن يمثلهم الزيدية، نسبة إلى زيد أحد أحفاد (الإمام) علي.

ولم يذهب زيد إلى اليمن البتة، فقد قتل في حوالي سنة ٧٤٠ للميلاد في الكوفة بالعراق خلال ثورة وقف فيها ضد خليفة ذلك الوقت(١) وأصبح شهيداً دينياً وسياسياً.

وفي نهاية القرن التاسع وطد المذهب الزيدي وجوده في اليمن إلى جانب الشافعية، وقد اتخذ الزيدية مساكنهم في مرتفعات اليمن بشكل عام، وفي صعدة وصنعاء بشكل خاص، بينما اتخذ الشافعية مساكنهم في المنخفضات الجنوبية والسهول الساحلية، وأثناء ذلك أصبح اليمن ولاية من ولايات الإمبراطورية الإسلامية التي كان مركزها بغداد، ومن حين إلى آخر كانت تقوم فيه ثورات متقطعة ضد هيمنة بغداد استمرت القرنين السابع والثامن للميلاد(٢).

---

= (مذاهب الإسلاميين ط/ بيروت ١٩٩٧) وانظر رأي القاضي عبد الله الشماحي حول الزيدية والهادوية في كتابه: اليمن الإنسان والحضارة، وانظر الحاشية التالية.

(١) كان الإمام زيد بن علي (رضي الله عنه) (٨٠ - ١٢٢هـ) يدعو إلى الخروج على الحاكم الظالم، وقد فعل ذلك في وجه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (٧١ - ١٢٥هـ) حيث استشهد في معركة غير متكافئة بعد أن خذله الروافض (أحد فرق الشيعة) رغم مبايعتهم له، وذلك لأنهم سألوه بقولهم: «رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، فلما سمعوا منه ذلك رفضوه قسموا بالرافضين من يومئذ». وكان زيد قد لخص منهج ثورته في: «جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم..» انظر: الطبري ٨/ ٢٧٢ والمحبر لابن حبيب: ٤٨٣، الجرح والتعديل ٣/ ٥٦١. (المعرب).

(٢) انفصلت اليمن عن الدولة (العباسية) عندما تأسست الدولة الزيادية ولم تعد مرتبطة ببغداد إلا اسمياً. (المعرب).

وكان أول الأئمة الزيدية في اليمن هو الهادي يحيى[١] الذي أسس في سنة ٨٩٣م الأسرة الرَّسِّية الحاكمة التي توالى أفرادها على حكم اليمن المستقل بدرجات متفاوتة من النجاح منذ ذلك الوقت وحتى اليوم[٢] فيما عدا فترات قليلة كان الحكم فيها من نصيب آخرين. وينتهي نسب هذا البيت إلى القاسم الرَّسِّي الذي يتصل نسبه في جده السادس بفاطمة زوج علي وبنت النبي (عليه الصلاة والسلام). وخلال القرون الستة الأولى لوجودهم لم يستطع أئمة المذهب الزيدي، ولا البيت الرسي نفسه السيطرة على اليمن كله، ولكن الرَّسِّيين فيما يبدو كانوا مصممين على بسط سيطرتهم على القطر كله، وفي سنة ١٩١٩ أصبحوا سادة معظم الأراضي اليمنية.

إن الاضطرابات الداخلية في اليمن حتى بداية القرن التاسع عشر ليست على جانب كبير من الأهمية فيما نحن بصدده.

❀ ❀ ❀

وفي بداية القرن السادس عشر دفع النشاط البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي سلطان مصر المملوكي إلى غزو اليمن في سنة ١٥١٤، غير أن الأتراك العثمانيين - بدورهم - احتلوا مصر سنة ١٥١٧. وفي عام ١٥٣٨ استولوا على عدن وبعيد ذلك نَصّبوا والياً تركياً على صنعاء، ولم يستمر ذلك الاحتلال العثماني لليمن إلا نحو قرن من الزمان[٣]، ولكن

---

(١) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم.. ولد بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ، دخل صنعاء سنة ٢٨٦هـ وحارب القرامطة والباطنية، وتوفي بصعدة سنة ٢٩٨هـ (المعرب).

(٢) كان هذا قبل قيام ثورة ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٢م. (المعرب).

(٣) كان الاحتلال العثماني الأول بين (١٥٣٨ - ١٦٣٥)، انظر عنه كتاب الدكتور سيد مصطفى سالم: (الفتح العثماني الأول لليمن) فهو بحث قيم عن هذه الفترة. (المعرب).

بعد تلك الفترة القصيرة من السيطرة العثمانية لم يعد اليمن بمعزل عن العالم الخارجي. فقيام الدولة الإمبراطورية العثمانية بين سنتي ١٣٢٦-١٥٢٠ كان بمنزلة سد منيع عبر الطريق البري بين أوربة المسيحية والشرق. وقد مكنت المغامرة الأولى للأمير هنري الملاح[١] البرتغاليين من ممارسة حماسهم الصليبي ومن مواصلة بحثهم عن الذهب والتوابل، كما أنه كان قد ساعدهم أيضاً في العثور على بلاد حليف مسيحي شرقي طالما بحثوا عنه، ذلكم هو الملك القديس يوحنا Prester John[٢].

فرحلة فاسكو دي جاما[٣] إلى الهند في سنة ١٤٩٧ والتي كانت نتيجة للتمهيد الذي قام به الأمير هنري، هذه الرحلة أزعجت الأتراك وربما كانت أيضاً من الأسباب التي أدت إلى قيام شركة الهند الشرقية البريطانية بعدما يربو على قرن من ذلك التاريخ.

وبعد أن كانت إنجلترة تحصل على البضائع الشرقية من المراكز التي تسيطر عليها البندقية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وجدت نفسها الآن في موقف يجعلها تبحث عن المصادر الأصلية لتلك البضائع، فقد خلصتها (حرب المئة عام)[٤] مع فرنسة من التزاماتها

---

(١) هنري الملاح Henry the Navigator: أمير برتغالي (١٣٩٤ - ١٤٦٠) اشتهر بدعمه للملاحة والكشوف الجغرافية. (المعرب).

(٢) ورد اسمه في أساطير المسيحيين الأوربيين عن الشرق في القرن الرابع عشر، وذكره الرحالة ماركوبولو، وقيل بأنه أصبح إمبراطوراً على الحبشة في زمن فاسكو دي جاما، وقد ألف عنه المؤرخ والقصصي الإسكتلندي جون بوكان (١٨٧٥ - ١٩٤٠) قصة أسطورية تحمل اسمه عام ١٩١٠. (المعرب).

(٣) فاسكو دي جاما Vasco de Gama (١٤٦٩ - ١٥٢٤م) بحار برتغالي، اكتشف طريق الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ١٤٩٨، وقد استعان بالعرب ليهتدي إلى طريقه في مجاهل المحيط الهندي. (المعرب).

(٤) بدأت (حرب المئة عام) بين إنجلترة وفرنسة عام ١٣٣٧ وما إن خرجت منها حتى دخلت إنجلترة في حرب أهلية هي (حرب الوردتين) ١٤٥٠ - ١٤٨٥. (المعرب).

على القارة الأوربية التي كانت تستنزف مواردها في الماضي. وبعد (حرب الوردتين)[1] أتيح لها نظام حكم مركزي وحاكم مقدام. وكان عدد سكانها في ازدياد. وقد أصبح إنتاجها من المنسوجات الصوفية يسد حاجة السوق المحلية. وكان البحر مخرجها الوحيد، وقد تراكم لديها الذهب من المستعمرات في سواحل أمريكة الجنوبية والبحر الكاريبي Spanish Main. وأصبحت على أعتاب أعظم مغامراتها البحرية، ولكن كما أن مغامرات إسبانية الأولى حول رأس الرجاء الصالح قد كشفت عن ضعف شديد في قوتها البحرية، فإن إنجلترة بدأت في ترك رحلاتها في البحر الأبيض المتوسط مفضلة طريقاً أطول إلى الشرق على الرغم من أنه محفوف بالمخاطر.

لقد أيقظت الحروب الصليبية أوربة وإنجلترة - اللتين كانتا تعيشان في عزلة - ونبهتهما إلى متع الحضارة الشرقية التي طال الأمد على نسيانها، وأصبح الحرير من السلع الشرقية الرئيسة التي ينفق سوقها عند من يستطيعها. وشُحّ علف الحيوان في فصل الشتاء كاد يحتم على الناس ذبح تلك الحيوانات في أشهر الشتاء، ومن ناحية أخرى كان هناك طلب ملحّ

(١) كانت الحروب الصليبية ثماني حملات عسكرية قام بها مسيحيو الغرب (١٠٩٦ - ١٢٩١) على الأراضي المقدسة بفلسطين العربية، وقد سميت بهذا الاسم لأن المحاربين وضعوا شارة الصليب على ثيابهم وأسلحتهم، وقد انتهت جميعها بطرد الفرنج تماماً من الأراضي العربية على يد المماليك في أواخر القرن الثالث عشر. وكان من أبطالها الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ / ١١٣٨-١١٩٣م) الذي هزم الإفرنج قرب حطين ١١٨٧م وفتح بيت المقدس، ثم عقد هدنة مع الصليبيين وسالمهم. ولكن الانهيار العربي والإسلامي بعيد ذلك قد فتح المجال لأطماع الغرب ليرسل حملات جديدة، ليس الاحتلال والاستعمار آخر حلقاتها إذ لا نزال نعيش في ظل الهيمنة الغربية وبأشكال متعددة الوجوه والجوانب، لعل أوضحها تخبطنا الفكري والعقائدي، مع استمرارنا سوقاً رابحة لمنتجات الغرب وأسلحته. (المعرب).

متواصل على التوابل لحفظ اللحوم وتوبلتها. وقد وضع استيلاء الأتراك على القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ في النهاية حداً لاحتكار البندقية مدّ أوربة بتلك البضائع الشرقية، كما أنه كان حافزاً للبحث عن طريق بديل إلى أسواق الشرق حول رأس الرجاء الصالح.

❀ ❀ ❀

# الفصل الأول

# اهتمامات الأوربيّين المبكرة باليمن

# I

# (البرتغال) الرائد الأول

أسس البرتغاليون أول مركز تجاري لهم في الهند في بداية القرن السادس عشر. وسرعان ما أقاموا مستعمرة تجارية في - مالقة - من جزر الهند الشرقية[١]. وبغية دعم سيطرتهم في هذا المجال أخذوا ينهبون السفن العربية وسفن البندقية في البحر الأحمر، وحاولوا إحكام حصار للقضاء على منافسيهم الذين يحملون الحرير والتوابل من الشرق إلى القاهرة، ومن ثم إلى البحر الأبيض المتوسط لتوزيعها في أوربة.

ومع أن الإمبراطورية البرتغالية[٢] ازدهرت في القرن السادس عشر إلا أنها فشلت في تثبيت أقدامها في البحر الأحمر، وذلك بسبب وقوف الأساطيل المملوكية ومن بعدها العثمانية في وجهها، ورغم المحاولات لإخضاع عدن واستنفار الأحباش المسيحيين للمساعدة في الهجوم على

---

(١) ملقة أو ملاقا Malacca مرفأ ماليزي يقع جنوب غربي شبه جزيرة ملقة. (المعرب).

(٢) كانت البرتغال خاضعة للعرب منذ فتح إسبانية واستعادت سيادتها في أوائل القرن الثاني عشر، وقد شاركت إسبانية في السيطرة على العالم الجديد؛ حيث أنشأت في القرن ١٦ إمبراطورية واسعة في الهند والبرازيل مع جزء كبير من أمريكة الشمالية وعدة مناطق في إفريقية التي لم ينل بعضها استقلاله إلا حديثاً كأنجولا وغينية البرتغالية. وقد أصبحت البرتغال جمهورية سنة ١٩١٠، وسكانها الآن نحو تسعة ملايين وكانت الأوضاع السياسية فيها - ولا تزال - دائمة الاضطراب والتقلقل. (المعرب).

الساحل العربي فإن هرمز في الخليج الفارسي ظلت على مدى مئة عام أقرب النقاط البرتغالية المحصنة إلى الجزيرة العربية. وبعد أن تخلصت البرتغال من الاحتلال الإسلامي (الفاتحين المغاربة) في القرن الرابع عشر أخذت على عاتقها اعتماد الصليبيين القدامى، وذلك بمحاولة تطويق العالم الإسلامي. ومات الأمير هنري في سنة ١٤٤٠[١] ولم يشهد تحقيق حلمه على يد فاسكو دي جاما الذي قام برحلته المشهورة إلى الهند بعد مضي ٣٧ عاماً تقريباً من وفاة الأول[٢].

وقبل عام ١٥٢٠ كان ثمة نشاط برتغالي واسع ليس بعيداً عن الساحل العربي وفي البحر الأحمر، ويتمثل هذا النشاط بشكل رئيس في إنزال بعثاتهم إلى ملك الحبشة. وفي وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٥٠٩ أسر (جروجوريو داكوادرا) في زيلع[٣] وأرسل مع بعض مرافقيه إلى زبيد باليمن، ثم أطلق سراحه بعد بضع سنوات مع خمسة ممن بقوا على قيد الحياة، وبعد رحلة طويلة عبر الجزيرة العربية عاد (داكوادرا) أخيراً إلى البرتغال سنة ١٥٢٠. وبعد أن احتل البوكيرك Al-Buquerque[٤] جزيرة سُقَطْرة في سنة ١٥٠٧ حاول احتلال عدن في آذار/مارس سنة ١٥١٣، ولكنه فشل، فعسكر في جزيرة كَمران ثم نزل يَريم، وعزم خَلَفُه (لوبي

---

(١) راجع الهامش (١) صفحة (٤٦).

(٢) وقع المؤلف في خلط بين التواريخ ذلك أن الأمير هنري قد مات سنة ١٤٦٠ وليس سنة ١٤٤٠، ولعل ذلك خطأ مطبعي. أما رحلة فاسكو دي جاما التاريخية فقد انطلقت من لشبونة في البرتغال في ٤/ ٧/ ١٤٩٧، ووصل رأس الرجاء الصالح في ٢٢/ ١١/ ١٤٩٧ كما وصل الهند (كلكتا) في ٢٠/ ٥/ ١٤٩٨، وكان بهذا أول أوربي يصل إلى الهند عن طريق البحر وقد زارها مرة ثانية عام ١٥٠٣م. (المعرب).

(٣) زيلع: مرفأ على الساحل الإفريقي في خليج عدن وكان في القديم مركزاً لتجارة العبيد. (المعرب).

(٤) كان (ألفونسودا البوكيرك) نائباً لملك البرتغال في الهند. (المعرب).

سوارين) الاستيلاء على عدن في طريق عودته من رحلة في البحر الأحمر في سنة ١٥١٧، وفشل في الاستيلاء على جدة، فانهزم إلى كمران ومات كثير من جيشه. وعندما خرج أسطوله مرة أخرى إلى المحيط الهندي وجد عدن من القوة بحيث إنها استطاعت مقاومته مقاومة فعالة.

وبعد ذلك اقتصرت رحلات البرتغاليين في البحر الأحمر على مراقبة نشاط أسطول الأتراك الذين استخدموا السويس قاعدة والبحر الأحمر ملجأ لأساطيلهم التي كانت ترسل للهجوم على الهند.

وفي سنة ١٥٢٠ أنزل أسطول (دياجو لوبيس دي سيكويرا) مندوباً في مصوع (هي الآن في أريترية) ولكن ذلك الأسطول لم يطرق الساحل العربي.

وفي عام ١٥٣٨ احتل سليمان باشا عدن للأتراك. وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ كان دخول آخر أساطيل البرتغال الكبيرة في البحر الأحمر، وقد اعتقل في هذه المرة (دوم كريستوفو ذي جاما) مع اثني عشر شخصاً من أصحابه في الحبشة، وقتل دي جاما وأُرسل بعضٌ من أصحابه إلى زبيد.

وفي سنة ١٥٤٧ كادت عدن أن تصبح مستعمرة برتغالية، وذلك لأن أحد الزعماء العرب المحليين، ويدعى سليمان الطولقي، تغلب على الأتراك واستنجد بالبرتغاليين. ولكن تراجع بايو دي نورونا عندما تغلب الأتراك على (علي)، وعندئذ أرسل جاو دي كاسترو ابنه للمساعدة، وبذلك استطاع الأتراك، بقيادة بري ريس المشهور، أن يستعيدوا المدينة.

❁ ❁ ❁

كان معظم البرتغاليين الذين دخلوا اليمن من الأسرى أو المبشرين، ففي عام ١٥٤٠ أخذ (فيرناد منديز بينتو) إلى المخا بعد أن أسره الأتراك

مع أحد عشر شخصاً آخرين في البحر الأحمر. وبعد أن قضى بضعة أشهر في الرق بالمدينة استطاع أن يجد طريقه إلى هرمز ومنها إلى (جوا Goa)[1]. كما أخذ (روكودي بريتو) إلى صنعاء بعد أن أسره الأتراك في سواحل شرق إفريقية في سنة ١٥٨٦، وفي العام نفسه أرسى (روي غونسالفيس دي كامارا) أسطوله بالقرب من (المخا)، وأرسل رجاله إلى البر لاستطلاع أحوال المدينة وإحراقها! ولكنه فشل في إحراقها، واكتفى بإنزال جماعة كبيرة من الرجال لجلب الماء.

وفي شباط/فبراير سنة ١٥٩٠ تم القبض على (بيدرو بياز) و(أنطونيو دي مونسيرات) وهما من اليسوعيين[2] الإسبان بالقرب من سواحل جزر (كوريا موريا)، بينما كانا في طريقهما من (مسقط) إلى (زيلع) فأخذا من الشاطئ بالقرب من (صلالة)، وأرسلا إلى صنعاء عن طريق وادي حضرموت. وبعد أن أمضيا خمس سنوات ونصف السنة في صنعاء أرسلا عن طريق (تعز) إلى (المخا) حيث لبثا عاماً آخر ريثما يتم دفع فدية لفك أسارهما.

---

(١) حتى سنة ١٩٦١ كانت (جوا) مستعمرة برتغالية، وتقع في الساحل الغربي للهند، ويبلغ عدد سكانها نحو المليون يدين معظمهم بالهندوسية، في حين أن نحو ٣٧٪ من السكان روم كاثوليك. (المعرب).

(٢) اليسوعيون: رهبانية أسسها القديس أغناطيوس دي لويولا سنة ١٥٤٠م، ينصرف أعضاؤها إلى الوعظ والتعليم وأعمال الرسالة المسيحية. دخلوا أقطار المشرق العربي وفتحوا أديرة في حلب سنة ١٦٢٧، ودمشق سنة ١٦٤٣، وصيدا سنة ١٦٤٥، وطرابلس لبنان سنة ١٦٤٥، وعينطورة كسروان سنة ١٦٥٦، وبكفيا سنة ١٨٣٣، وغزير سنة ١٨٤٣، وجامعة القديس يوسف في بيروت سنة ١٨٧٥، ومدرسة القاهرة سنة ١٨٧٩، وقد وجدوا البيئة بالشام مناسبة للوجود المسيحي بها، في حين فشلوا تماماً في مناطق إسلامية كاليمن - كما هو معروف -، وكان لبعضهم مهمات أخرى غير دينية كما سنجد ذلك فيما يلي من الكتاب. (المعرب).

في ذلك الوقت كانت قوة البرتغال في تدهور، فقد تلقى البرتغاليون عدة ضربات مدمرة في (مسقط) وعلى ساحل شرق إفريقية من الأسطول التركي بقيادة الضابط (علي بك)، والذي كانت قاعدته مدينة (المخا). وكادت الهزيمة التي منيت بها البرتغال في معركة (الخزر الكبير) في المغرب سنة ١٥٧٨ تقضي على ما تبقى لها من سلطة وسيادة.

وفي العام التالي انفصلت (هولندة) عن حكم فيليب الثاني[١]، ثم أدخلت إسبانية - على ضعفها - البرتغال المهزومة وملحقاتها تحت التاج الإسباني في عام ١٥٨٠. ومنذ ذلك الوقت ارتبط مصير البرتغال بمصير إسبانية، وكانت النتيجة أن سطوتها في الشرق لم تتعد العقد الأول من القرن السابع عشر.



(١) فيليب الثاني (١٥٢٧ - ١٥٩٨) ملك إسبانية وهولندة سنة ١٥٥٦ ثم البرتغال سنة ١٥٨٠. أرسل أسطول (الارمادا) لفتح إنكلترة فدمرته العواصف، يعد عهده أوج السيطرة الإسبانية في أوربة. (المعرب).

## II

# شركة الهند الشرقية الإنجليزية
# ١٥٩٩ - ١٦٦٣

بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية[١] في سنة ١٥٩٩ بفترة وجيزة استطاعت هذه الشركة كسر الاحتكار البرتغالي في المحيط الهندي. وفي النهاية تمكنت - بمعاونة القوات الفارسية - من الاستيلاء على هرمز بعد التغلب على الحامية البرتغالية هناك في سنة ١٦٢١، وقد سبقت الرحلة الأولى لشركة الهند الشرقية سنة ١٦٠١ رحلة قام بها جيمس لانكستر قبطان السفينة (إدوارد بوما فينتور) الذي غادر بليموث في ١٠ نيسان/أبريل سنة ١٥٩١ عن طريق رأس الرجاء الصالح ماراً بسُقَطْرة ومنها إلى جزر الهند الشرقية. وبعد ثلاث سنوات من رحلة شركة الهند الشرقية الأولى تمت رحلتها الثانية بقيادة السير هنري ميديلتون. وبنهاية سنة ١٦٠٦ لم يُرسَل غير هذين الأسطولين الصغيرين من إنجلترة ولم يُنْشأ سوى مصنع واحد في بنتام (بجاوا). وكان التقدم في هذا المجال بطيئاً بدرجة مخيبة للآمال، ولم يحدث توسع يذكر في تسويق البضائع

(١) كان هنالك أكثر من شركة تحمل هذا الاسم، ولعل أشهرها (شركة الهند الشرقية) التي تأسست في هولندة عام ١٦٠٢ للتجارة مع البلاد الواقعة ما بعد رأس الرجاء الصالح، وقد تمتعت بامتيازات كثيرة حتى ألغيت عام ١٧٩٥، وكانت كل هذه الشركات متشابهة في الأهداف الاحتكارية والاستعمارية. (المعرب).

الإنجليزية المصنعة في تلك الجهات. وعلى ضوء النجاح الذي حققته شركة الهند الشرقية الهولندية المنشأة في المحيط الهندي ونتيجة لفشل المحاولتين اللتين قامت بهما إنجلترة للوصول إلى الصين من جهة الشمال الغربي، فإن الأمور أخذت تدعو إلى الاستعجال. ومن المعلوم أن نتيجة الرحلتين الأوليين كانت جلب التوابل، إلا أن ذلك كان مقابل سبائك الذهب. وبما أنه قد وضح أنَّ الحاجة كانت تدعو إلى التجارة بالمقايضة وإلى التوسع في اختيار أصناف السلع التي يتم بها التبادل فقد تقرر إقامة علاقات مع البلدان التي كانت تقع تحت سيطرة إمبراطور المغول ومع موانئ البحر الأحمر كاعتبار ثانٍ، ولا سيما أن السفن التي تحمل تجارة الهند كانت تختلف إلى تلك الموانئ.

وفي عام ١٦٠٨ وصل وليام كيبلنج الذي قاد الرحلة الثالثة للشركة إلى سقطرة حيث حاول الوصول إلى عدن وإقامة مصنع هناك، ولكن الرياح المضادة أحبطت مسعاه، فأخذ السفينة (دراجن) إلى بنتام بينما غادر نائبه وليام هوكينز في السفينة (هيكتور) إلى ساحل الهند.

وفي الرابع والعشرين من آب/أغسطس عام ١٦٠٨ رست السفينة (هيكتور) في ميناء سورات، فكانت بذلك أول سفينة إنجليزية تزور ميناء هندياً.

وفي أثناء ذلك أي في سنة ١٦٠٧ جمعت الشركة رأس مال قدره ٣٣,٠٠٠ جنيه إسترليني من أجل الرحلة الرابعة. وقد تم شراء السفينة (اسنشان) بقيادة الكابتن الإسكندر شاربي لهذه الرحلة، وأبحرت من إنجلترة مع السفينة (بونيون) في العام التالي.

وفي السابع من نيسان/أبريل وصلت السفينة (بونيون) إلى سومطرة بينما وصلت (اسنشان) إلى عدن لتجدها بلداً لا تجارة فيه، وتواجه المتاعب والعراقيل على يدي الحاكم التركي. ونتيجة لذلك أرسل شاربي

ضابطين من ضباطه، وهما وليام ريفيت وفيليب جلاسكوك، إلى المخا في مركب محلي لاستطلاع إمكانية تجارة النيلة، وكانت التجارة في المخا غير منتظمة، وقد فشل جون جوردان في الحصول على إذن لإقامة وكالة في عدن أو المخا، وكان جون هذا قد أرسله شاربي من عدن إلى الوالي التركي في صنعاء ليسوي مسألة الرسوم الجمركية على البضائع الواصلة إلى عدن.

وقاد السير هنري ميديلتون الرحلة السادسة لشركة الهند الشرقية وأبحر على ظهر السفينة تريدس انكريزيس التي تركها في عدن ووصل إلى المخا في الثالث عشر من تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٦١٠ بثلاث سفن؛ هي (بيبركورن) وقبطانها نيكولاس داونتون، و(ذا دارلنج) وقبطانها ويليام بمبرتون، وسفينة تموين تدعى (صامويل) حمولتها ١٨٠ طناً. وقد أُسِرَ السير هنري ميديلتون وبمبرتون وحمل وبنجامين جرين أحد العاملين على السفينة دارلنج وأسر معهم واحد وثلاثون شخصاً آخرون وأخذوا إلى صنعاء عن طريق تعز التي وصلوا إليها بعد خمسة عشر يوماً.

وفي السابع عشر من كانون الثاني/يناير سنة ١٦١١ وصل جون فاولر ومعه ثمانية عشر شخصاً آخرون من السفينة تريدس انكريزيس التي كانت راسية بالقرب من عدن إلى صنعاء، وبعد أن أمضوا شهراً في تلك المدينة خرج الفريقان قاصدين المخا مارين بذمار فيريم فتعز، وبعد مغامرة هروب خطرة داخل برميل وصل السير هنري ميديلتون إلى السفن الراسية بالقرب من المخا وأحضر مدافعه لتهديد الميناء، واستطاع بقية الأفراد النزول إلى السفن. وفي الرابع والعشرين من حزيران/يونيو أبحرت السفن من مياه المخا متوجهة إلى كمران.

وفي ربيع العام التالي بنيما كان السير هنري ميديلتون في طريقه من الهند بالسفن تعرّض لسفن تجارة الهند ونهبها في مدخل البحر الأحمر.

وفي الوقت الذي تم فيه الاستيلاء على تلك السفن الهندية كانت السفن التي تشترك في رحلة شركة الهند الشرقية الثامنة بقيادة جون ساريس راسية في مياه المخا، وكانت هذه السفن هي (كلوف) بقيادة جون ساريس و(هكتور) بقيادة جبرائيل تادرسون و(توماس). وبالرغم من أن ساريس لقي استقبالاً طيباً من السير هنري إلا أنه لم يستطع الحصول إلى إذن للتجارة مع أنه كان يحمل خطاباً من السلطات التركية في إستنبول يضمن له سلامة المرور في الجزيرة العربية. وكان السبب في ذلك يرجع إلى تصرفات السير هنري في زيارته السابقة. وحمل أحد التجار المرافقين لساريس واسمه ريتشارد ويكام رسائل بتفاصيل الموقف إلى السير هنري الذي كان في مضيق باب المندب حينذاك.

وفي وقت لاحق انضم ساريس بسفنه الثلاث إلى السير هنري في البحر، وشكا إليه أن ما قام به من النهب والسلب نتج عنه رفض تجار المخا التعامل معه. وفي النهاية اتفق السير هنري وساريس على اقتسام ما تم نهبه من سفن تجارة الهند. إلا أن هذا الاتفاق لم يتم إلا بعد أن «وجه كل منهما إلى الآخر عبارات نابية لا تليق بمن هم في مرتبتهما». وقد صحب جون جوردان السير هنري ميديلتون في هذه الرحلة. وفي مدة شهر عندما كان الخلاف على أشده بين قائدي الرحلتين أبحر إلى سومطرة بالسفينة دارلنج يرافقه جون فادلر تجار السير هنري للبحث عن الفلفل وكان يحمل شحنة من القماش.

وفي نيسان/أبريل سنة ١٦١٨ عاد أندرو شلينج من سورات رباناً على السفينة (رويال آن) تحت إمرة السير توماس، وبعد أن أقام علاقات أفضل وكان بصحبته جوزيف سالبانك ووليام بافين وإدوارد هينز وريتشارد باركز. وقد حصل شيلنج على مرسوم من إمام صنعاء ومن حاكم المخا يسمح للإنجليز بالتجارة في أي ميناء يمني. وأثناء ذلك بعث سالبانك،

وهو أحد تجار هذه الرحلة، إلى صنعاء، في ٢٣ حزيران/يونيو ١٦١٨، وعاد في ٢٧ تموز/يوليو بالصلاحيات الضرورية وبأخبار مفادها أنه كان بتعز عدد من الجنود مقداره بين ٣٠ و٤٠ ألف جندي بقيادة أحد (الخارجين) الألمان.

ويعود تاريخ تأسيس أول وكالة إنجليزية ومقر للمندوب الإنجليزي إلى هذا الوقت. ولم يتم الاستغناء عن هذا المقر نهائياً إلا في سنة ١٨٢٠ وقد غادرت (رويال آن) إلى سورات في ٢٠ آب/أغسطس سنة ١٦١٨، وعاد عليها السير توماس من سورات في ٢٧ شباط/ فبراير سنة ١٦١٩. وفي اليوم نفسه أبحرت السفينة (ليون) إلى المخا برسائل إلى الحاكم من السير توماس وبيعت شحنتها في المخا بربح مقداره مئة في المئة قبل أن تعود السفينة إلى سورات في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٦١٩. وأرسلت ثلاث سفن أخرى من سورات إلى المخا عليها كل من سالبانك وهينز كرئيسين للتجار وذلك في شهر آذار/ مارس سنة ١٦٢٢ واستقبلت هذه السفن استقبالاً حسناً.

وفي العام التالي أرسلت ثلاث سفن أخرى وقوبلت بالترحاب. وبحلول عام ١٦٤٠ توقفت التجارة بين المخا والهند نتيجة لأعمال القرصنة.

ومنذ تاريخ مبكر في سنة ١٦٠٩ ذكر جوردان وريفت توقع الفوائد من تجارة البن الذي يزرع في المناطق اليمنية القريبة من ساحل البحر الأحمر. وقد نبه بيتر فان دن بروكا، الهولنديين إلى ذلك في سنة ١٦١٦ ولكنهم لم يشتروا منه شيئاً حتى سنة ١٦٢٨ حين شروا أول دفعة وكانت ٤٠ كيساً.

وفي سنة ١٦٦١ وصلت أول شحنة من البن اليمني إلى أمستردام. ولم تبد شركة الهند الشرقية الإنجليزية اهتماماً بالبن حتى سنة ١٦٢٧؛ عندما أبلغ وليام بيرت وكيل الشركة في الهند مجلس الإدارة أن حبوب

البن وقشوره التي تستعمل في صنع نوع من المشروب لا توجد إلا في المخا، ولكن المشروب نفسه يستعمل في تركية وفي أجزاء أخرى من الجزيرة العربية وبلاد فارس والهند.

وفي ٢٧ شباط/ فبراير سنة ١٦٣٠ كتب بيرت إلى الشركة يقول: «إذا أرسلت السفن إلى المخا بشحنة مناسبة فسيكون في ذلك فائدة أي فائدة. ولا سيما إذا ما استثمر العائد من ذلك في شراء البن الذي سيجد سوقاً في سورات وبلاد فارس، ويكون لكم في ذلك فائدة كبيرة».

ولم يصل البن إلى إنجلترة حتى سنة ١٦٥٠، ولم يظهر في قوائم البيع الخاصة بالشركة حتى سنة ١٦٦٠. إلا أن المركز التجاري الإنجليزي في المخا لم يحقق فائدة، ولذلك فقد قررت الشركة التخلي عنه بصفة نهائية في سنة ١٦٦٠ والحصول على البن من البصرة.

وقد تسبب هيربرت هيوجو القرصان الهولندي قبطان السفينة (بلاك إيجل) (الصقر الأسود) في إسراع الإنجليز بالانسحاب من المخا، وذلك أنه في ربيع سنة ١٦٦٢ أحرق المراكب الشراعية والسفن الكبيرة في مياه المخا على مرأى ومسمع من الحاكم، ثم قام بنهب المدينة. وكان من بين ضحاياه بعض البحارة الإنجليز بعد أن سلب منهم عدة آلاف من الجنيهات.

وقد أنزلت غزوات هيوجو هذه كارثة وذلك أنه في سنة ١٦٦٣ قام أنتوني سميث وكيل الشركة بتصفية المركز التجاري الإنجليزي بالمخا وإغلاقه.

كانت إنجلترة ترغب في ممارسة نشاط تجاري في البحر الأحمر، وذلك لأن عمليات التجارة الثنائية كان لها كثير من المساوئ، ولعل أقل تلك المساوئ هو أن إنجلترة كانت تضطر إلى تصدير Specie (النقد) على نطاق واسع.

وقد تحولت تجارة البحر الأحمر بالنسبة إلى إنجلترة إلى عمليات حمل للبضائع من الهند إلى التجار الأجانب في المخا الذين كانوا يدفعون لها الأموال نقداً في معظم الأحيان.

أما تجارة البن فإن المخا أصبحت فرعاً لمركز الشركة في بندر عباس في رأس الخليج الفارسي. إلا أنه تبع إعادة تنظيم الشركة بُعَيد منتصف القرن السابع عشر إغلاق المركز التجاري في المخا، لأن التجارب قد برهنت على أن السفن المحلية كانت تقوم بنقل البضائع للشركة في المياه الساحلية بطريقة أرخص وأكثر كفاءة. بيد أنه سرعان ما أعيد فتح المركز التجاري الإنجليزي وظل على ذلك (مع عدة مرات من التوقف) حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.



III

# شركة الهند الشرقيّة الهولنديّة

## ١٦٠٢ - ١٨٠٠

في نهاية القرن السادس عشر كان عدد سكان هولندة حوالي نصف عدد سكان إنجلترة. ولما تحررت هولندة من تبعيتها للتاج الإسباني في سنة ١٥٨١ استطاع الهولنديون أن يدخلوا ميدان تجارة ما وراء البحار منافسين في ذلك الميدان الإنجليز والبرتغاليين. وقد مرَّ أول أسطول هولندي بطريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٥٩٥ وتكونت شركة الهند الشرقية الهولندية في سنة ١٦٠٢، إلا أنه لم ترسل سفينة إلى الجزيرة العربية إلا في آب/ أغسطس سنة ١٦١٤؛ حينما حاول بيتر فان دن بروكا دون طائل إقامة مركز تجاري في عدن. وكان بيتر هذا يقود السفينة (ناسو) التي عاد بها إلى ميناء المخار في كانون الثاني/ يناير سنة ١٦١٦؛ أي بعد مضي ١٨ شهراً في طريقه من بنتام ماراً بالشحر على الساحل الجنوبي لليمن، وذلك بغية زيارة التاجرَيْن اللذين خلفهما هناك في المرة السابقة. وسافر هو وجان ارتنيس إلى صنعاء مارين بتعز وبريم وذمار. وبعد أن وقع اتفاقية تجارية لصالح شركة الهند الشرقية الهولندية أبحر من المخا في السابع من تموز/ يوليو. وفي ٢٢ آب/ أغسطس سنة ١٦٢٠ عاد فان دن بروكا إلى عدن على السفينة (ايت وابن فان زيلاند) ثم أبحر بعد ذلك إلى سُقَطْرة مخلفاً وراءه تاجراً كبيراً اسمه هيرمان فان جيل مع مساعدين في عدن من أجل التجارة.

وبعد أن بقي فان جيل شهراً في عدن غادرها في السادس والعشرين من أيلول/ سبتمبر إلى صنعاء فوصل إليها في الخامس عشر من تشرين الأول/ أكتوبر. ومكث في العاصمة أسبوعين، ثم عاد إلى عدن في العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ووصل إلى المخا في ٢١ كانون الثاني/ يناير سنة ١٦٢١م.

وبالرغم من أن فان دن بروكا زاول نشاطاً تجارياً في المخا في سنة ١٦١٦ فإن الهولنديين لم يستطيعوا الحصول على إذن من السلطات العثمانية بإقامة مركز تجاري هناك حتى تموز/ يوليو سنة ١٦١٨. أضف إلى ذلك أن بعض السفن الهولندية التي كانت تمر في البحر الأحمر في سنة ١٦٢٠ سطت على بعض السفن التابعة للهند البرتغالية في باب المندب. وقد أغضب هذا الفعل السلطات التركية فكان رد فعلهم مصادرة المركز التجاري الهولندي وحبس موظفيه. وفي الحقيقة أن الوكيل التجاري الهولندي ويليام دي ميلد لم يتمتع بحريته كاملة بعد ذلك، وأن المركز التجاري لم يستعد مكانته السابقة، من جراء نتائج هذا النزاع.

وفي الرابع من تموز/ يوليو وصلت السفينتان (ويسب وسامسون) تحت إمرة القبطان بيتر جليتس فان رافيسنين إلى المخا. ولما علم مَن على اليابسة بموت هذا القبطان في البحر رتبوا بأن يحل دي ميلد محله.

وفي ١٤ تموز/ يوليو مات فان جيل الذي كان قد استقبل السفينة (ويسب) في المخا. وهكذا أصبح دي ميلد أكبر وكيل تجاري هولندي في الميناء.

وفي السادس عشر من شباط/ فبراير سنة ١٦٢٢ خرج دي ميلد ومعه ثلاثة آخرون من الهولنديين قاصدين مدينة زبيد، وما إن وصلها بعد ١٣ يوماً حتى أدخلوا السجن كما تم اعتقال وليام كورنيليتس كيوكين مع

خمسة آخرين في المخا. ولكن دي ميلد أطلق سراحه بعد فترة قصيرة وعاد إلى المخا في ٢٠ آذار/ مارس. ولدى وصوله وجد السفينة (ايت وابن فان زيلاند) والسفينة (نورد هولاند) تحت إمرة جان فان غوركم. واعتقل أليبرت بيكر مع عشرين من بحارة السفينة (ايت وابن فان زيلاند) لدى نزولهم إلى الشاطئ، كما قبض الباشا أحمد الفضلي على دي ميلد والوكلاء الآخرين وأرسلوا إلى صنعاء. وعاد دي ميلد إلى المخا في السادس من آب/ أغسطس وأبحر بيكر والبحارة الآخرون على السفينة (ايت وابن فان زيلاند) و(نورد هولاند) في ١٩ آب/ أغسطس. ووصل فرانسواز لامانس إلى المخا على السفينة (هيوزدن) في ١٢ آذار/ مارس ١٦٢٣، وذلك لأخذ الأموال الموجودة بالمركز التجاري الهولندي. ولكنه لم يحصل على أكثر من ٤,٠٠٠ ريال عندما أبحر في ٢٨ نيسان/ أبريل، واضطر دي ميلد حينئذ إلى زيارة صنعاء مرة أخرى. وفي شهر آب/ أغسطس أمضى أسبوعين في زبيد. ووصل هيرمان فان سبيولت إلى المخا من مولوكاس في حزيران/ يونيو سنة ١٦٢٦ بالسفن الآتية:

- موريشس
- أورانج
- والشيرين
- غودين ليو
- هولانديا
- انجلزشه
- بير
- وغويدا فورتوين.

وأرسل تاجرين هولنديين إلى صنعاء في منتصف تموز/ يوليو. وعاد إلى المخا بعد مفاوضات تجارية فاشلة ليجد أن فان سبيولت قد مات في ٢٣ تموز/ يوليو، وأن السفن قد أبحرت إلى الهند في آب/ أغسطس تاركة دي ميلد سجيناً في تعز.

وبعد عامين وصل في ١٥ أيار/ مايو سنة ١٦٢٨ جوب كريستيانز جريب إلى المخا قائداً للسفينة (بوميل) والسفينة (ويسب). وبعد فشله في محاولة إطلاق سراح دي ميلد ولما تكن هنالك إلا تجارة يسيرة أبحر في ١٢ تموز/ يوليو ومعه ٤٠ كيساً من البن وقليل من بضائع أخرى.

وفي العام التالي فشلت المحاولات التي أجريت لإعادة افتتاح الوكالة التجارية الهولندية، ولم يبق إلا استمرار تجارة متقطعة. وبين سنة ١٦٤٨ - ١٦٥٢ كان الهولنديون يجلبون البن من المخا إلى مراكزهم في شمال غربي الهند وبلاد فارس. ولم يبدأ بيع البن في أمستردام إلا في عام ١٦٦١؛ حيث كان ذلك لأول مرة، ولم يجلب إلى هولندة مباشرة من المخا إلا بعد مضي عامين من ذلك التاريخ. وظل البن يرد إلى أمستردام في كل عام بكميات مختلفة حتى سنة ١٦٦٧ حيث توقف ذلك. وفي سنة ١٦٨٤ تقرر التوقف عن التجارة مع المخا، وتم توجيه طلبات البن إلى مراكز الشركة التجارية في بلاد فارس وسورات.

إلا أن الهولنديين استمروا يزورون المخا من حين إلى آخر حتى سنة ١٦٩٦ حين تمت إعادة فتح المركز التجاري الهولندي في الميناء تحت إشراف نيكولاس ولتزر وادريان فان دن هيوفل. وبعد سنوات عجاف بين أعوام ١٧٠٢ و١٧٠٦ و١٧١٠ و١٧١٢ بلغ النشاط التجاري الذروة من الانتعاش في سنة ١٧٢٠. وكان قد تم تعيين إبراهام بانتزر وجبرائيل شولتن ممثلين مقيمين بالمركز، ولكن في شباط/ فبراير من سنة ١٧١٩ تم

استبدالهما بجان فان ليوين وبيتر زيجرز وجان فان الدر ويرلد الذين وصلوا على الباخرتين فريزويك وأمستردام.

وبحلول السابع والعشرين من حزيران/ يونيو كانت السفينة فريزويك قد شحنت بالبن. وفي العام التالي عادت الباخرتان روتردام ولولتنبرج بأكبر شحنة من البن أخذها الهولنديون من المخا حتى ذلك الحين. وفي سنة ١٧٢١ كان ٩٠٪ من البن الوارد إلى هولندة يأتي من المخا ولكن بعد خمس سنوات كانت هذه النسبة نفسها تأتي من جاوا.

وفي سنة ١٧٢٤ تم حل الممثلية الهولندية إلا أن الاختلاف إلى الميناء كان ضرورياً لاعتباره منفذاً للبضائع الهولندية، وكان التبادل التجاري يتم على السفن نفسها.

وبحلول سنة ١٧٣٠ كانت الأسواق الأوربية مكتظة بالبن إلى درجة جعلت الهولنديين لا يجلبون إلا قليلاً منه من المخا.

وفي سنة ١٧٣٨ قررت الشركة مرة أخرى إغلاق المركز؛ إذ كان من الممكن الحصول على البن من جاوا بأسعار أرخص كثيراً مما في المخا. ومع ذلك فإن الهولنديين احتفظوا بمبنى المركز التجاري طوال القرن الثامن عشر رغم أنه قد يمر عامان أو ثلاثة دون مرور سفينة هولندية بالمخا.

وفي مطلع القرن التاسع عشر كان قد مرّ حين من الدهر على المركز وهو مهجور.

وفي نهاية القرن السابع عشر فقد الهولنديون مركزهم كقوة كبرى، واستطاع الإنجليز الذين لم يكن لهم حين ذاك أكثر من موطئ قدم في الشرق أن يحلوا محلهم. ولم يبدأ التنافس الحاد بين إنجلترة وهولندة إلا بعد عام ١٦٦٠. ويُعزى كثير من نجاح الهولنديين إلى انشغال إنجلترة

معظم ذلك القرن بمشاكلها الدينية والدستورية، إلا أن أعباء الحروب مع إنجلترة ثم مع فرنسة قد أرهقت هولندة إرهاقاً شديداً. وفي أثناء ذلك كان كولبرت الوزير المقدام للويس الرابع عشر يضع الخطط لخلق إمبراطورية فرنسية تجارية عبر البحار في المستقبل.



## IV

# الفرنسيّون في البحر الأحمر
## ١٦٦٥ - ١٧٨٩

منذ القرن الرابع عشر والبحارة الفرنسيون يرتادون سواحل غرب إفريقية؛ وفي تاريخ يرجع إلى سنة ١٢٧٢ قام لانسلوت ماليوزتل برحلة استكشافية إلى جزر الكناري (الخالدات). وفي سنة ١٤٠٢ قاد سيد نورماندي اسمه جان دي بيثنكورت جماعة صغيرة من المغامرين واحتل تلك الجزر. وقد وافق هنري الثالث ملك قشتالة على ذلك الاحتلال رسمياً.

وفي سنة ١٥٠٣ كانت محاولة فرنسية للوصول إلى الهند عن طريق البحر، وقد قام بهذه المحاولة القبطان باولمير دي غونفيل اوف هونفلور الذي أبحر بالسفينة (ابسوار) في محاولة للوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، ولكن عصفت به على ساحل البرتغال عاصفة أودت به.

وفي سنة ١٥٢٩ جهز جان انجو سفينتين في ديبي. وقد بدأ هذا المشروع بمبادرة من الأخوين جان وراؤول بارمنتير اللذين كانا على قيادة السفنتين (بنسي) وحمولتها ٢٠٠ طناً و(ساكري) وحمولتها ١٢٠ طناً. وكان هدف الأخوين بارمنتير الوصول إلى الصين إلا أن بعض بحارتهم قتلوا في ساحل مدغشقر، ولما وصلوا إلى سومطرة مات القبطانان ومعظم بحارتهما بالحمى.

وبالرغم من فشل هذه المحاولات المبكرة فإنَّ كارثة الأخوين بارمنتير كان لها نتيجة إحلال التشجيع الرسمي لمثل هذه المشروعات محل عدم الاهتمام الملكي؛ وجاء ذلك في شكل التصريحات التي أدلى بها فرانسواز الأول سنة ١٥٣٧ وسنة ١٥٤٢، وكانت تهدف إلى إذاعة الموافقة الملكية على أي مغامرة بحرية مستحبة. إلا أن مجهود فرنسة في هذا الاتجاه تعوق مؤقتاً بسبب الحروب الدينية التي تورطت فيها فرنسة في نهاية القرن السادس عشر. وقد واصل هنري الثالث سياسة فرانسواز الأول بإعلان ملكي نشر في سنة ١٥٧٨ بيد أنه لم يستفد كثيراً من ذلك الاهتمام الملكي.

وفي عهد هنري الرابع عاد الهدوء ثانية إلى فرنسة، وعادت التجارة فيما وراء البحار إلى ما كانت عليه. وفي نهاية القرن السادس عشر كان هناك عدد كبير من السفن أخذت تستعمل الموانئ الفرنسية الواقعة على بحر المانش قواعد لها. وكان أحد التجار الفرنسيين (بيير فامبرين اوف رون) يملك سبع عشرة سفينة كانت تحمل تجارته إلى جزر الهند الشرقية والغربية. وقد أسس تاجران من تجار (سانت مالو) St. Malo وهما (لافال) و(فيتري) شركة للاتجار مع جزر الهند الشرقية فقط. فجهزا السفينتين (كرويسانت) وقبطانها لاباردلير و(كوربان) وقبطانها غروت دوكلوس رينوف.

وسارت الرحلة سيراً حسناً إلى أن تحطمت السفينة (كوربان) في جزر (مالديف) حيث أظهر الهولنديون والبرتغاليون من العداوة لبحارة السفينة الثانية (كرويسانت) ما جعل تلك السفينة تعود أدراجها فارغة.

وبالرغم مما منوا به من فشل فإنَّ هؤلاء الرواد الأول وضعوا الأسس لمعظم مجهودات المستقبل، وبما أن حكومة هنري الرابع شعرت بأنها ملزمة ببث روح جديدة في التجارة والصناعة الفرنسية، فإنها كانت تتابع باهتمام تكوين الشركات التجارية (المجازة) الإنجليزية والهولندية.

ونتيجة لذلك منح كثير من التشجيع لتكوين شركة يرأسها القبطان الفلمنكي المتمرس جيرارد لاروي يساعده ممول فرنسي اسمه أنطوان جود فروي من (ليموقيس) وتقرر أن تكون (بريست) هي الميناء التي تعمل منها هذه الشركة، وذلك حتى تستطيع سفنها أن ترفع العلم الملكي وتكون لها بذلك مرتبة سفن الأسطول الملكي. وبنيت السفن واستخدم لها بحارة هولنديون، وجهزت أربع منها في (سانت مالو) إلا أن هذه الاستعدادات كلها لم تسفر عن شيء ولكن تم - على الأقل - تأكيد الامتياز الملكي الذي منح للشركة في سنة ١٦١١ لمدة اثني عشر عاماً أخرى بموجب تصريح حكومي، وخلال السنوات التالية تكونت شركات أخرى لم تحقق نجاحاً يذكر، حتى جمعت الحكومة جهود تلك الشركات في شركة واحدة تحمل اسم (شركة مولوكوس) Compagnie des Maluques.

أما تكوين شركة الهند الشرقية الفرنسية فقد كان من حظ ريشيليو[1] الذي أصبح مشرفاً على التجارة والبحرية في سنة ١٦٢٧. وفي ٢٤ حزيران/ يونيو سنة ١٦٤٢ حصل على براءة ملكية لمدة ١٠ سنوات لشركة تقيم مستعمرات في مدغشقر والجزر المجاورة لها، وتستولي عليها باسم الملك. وكانت الرخصة الحكومية تسمي هذه الشركة رسمياً (شركة الشرق)، ولكنها لم تكد تستمر أكثر من عشرين عاماً حتى جاء كولبرت سنة ١٦٦٤ وأعاد تنظيمها على نمط الشركات الإنجليزية والهولندية، وسماها شركة الهند الشرقية. وخلال السنوات الأربع التالية استقر عدد من الفرنسيين بسورات. وبحلول عام ١٦٧٠ وضع فرانسواز مارتين الأسس لإقامة مستعمرة فرنسية في (بوند يشري). ومرة أخرى تعثرت الشركة (المجازة) لتظهر ثانية تحت اسم الشركة الدائمة (؟) لجزر الهند، وشاءت الظروف أن يكون جوزيف دوبليكس ابن أحد مديري هذه الشركة هو

---

(١) هو الكردينال Richelieu (١٥٨٥-١٦٤٢م) من كبار رجال السياسة الفرنسيين أسس الأكاديمية الفرنسية، وكان وزيراً للويس الثالث عشر (المعرب).

الذي يوجه المصالح الفرنسية في الهند. فقد طوَّرَ التجارة الفرنسية في البنغال وأقام علاقات تجارية مع الصين وجَدة والمخا.

ولقد كان مَثَلُ المطامع الفرنسية في الشرق مثل إنجلترة، لم تكن وليدة حينها، ولكن الفرنسيين أتوا في وقت متأخر نسبياً إلى البحر الأحمر.

وفي سنة ١٦١٦ أبحر أنطوان يوليو من هونلفور ووصل إلى جاوة، ثم أبحر منها ماراً بساحل جنوب الجزيرة العربية في عام ١٦٢٠. وفي سنة ١٦٦٥ أبحرت السفينة (سانت بول) من (بريست)، وحاولت الوصول إلى المخا وسقطرة من مدغشقر بغية الحصول على أخبار المبعوثين الذين أرسلهم لويس الرابع عشر على ملك فارس إمبراطور المغول، إلا أنه تعذر عليهم دخول البحر الأحمر بسبب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية.

وكان أول سفينة فرنسية تنال شرف الوصول إلى المخا سفينة من (سانت مالو). وفي ٦ كانون الثاني/ يناير سنة ١٧٠٨ رست السفينة كيوريوكس وقبطانها دي ميرفيل، والسفينة (ديليجانت) وقبطانها شامبلوريت في ميناء (بريست)، ثم وصلتا إلى المخا في الثالث من كانون الثاني/ يناير من العام التالي. وقام مدير المركز التجاري الهولندي بضيافة الفرنسيين، وتم عقد اتفاق تجاري بين الفرنسيين وحاكم المخا، وأسس بذلك مركز تجاري فرنسي. وقامت شركة تجار سانت مالو التي مولت هذه البعثة بإرسال السفينة (ديليجانت) وقبطانها بريسيلان والسفينة (بايكس) وقبطانها دي لالاندا في كانون الثاني/ يناير سنة ١٧١٠. ووصلتا إلى المخا في الثاني من كانون الأول/ ديسمبر بعد أن استولتا في الطريق على ثلاث سفن؛ اثنتان منها إنجليزيتان وواحدة هولندية. وقام باربير طبيب السفينة والميجر (الرائد) دي لا جريلودير برحلة طويلة داخل الأراضي اليمنية في زيارة للإمام في مؤاب Muab لمعالجته. كما تمت بعض الصفقات التجارية في المخا.

وفي سنة ١٧١٠ قرر تجار سانت مالو إرسال سفنهم إلى المخا والهند بالتناوب، وفي سنة ١٧١٤ كان نشاطهم التجاري يسير قدماً. وفي وقت مبكر من ذلك العام أبحرت السفينتان شاوسر وبايكس إلى المخا، ثم لحقت بهما السفينة أوغسط في تشرين الثاني/ نوفمبر. وقد تأخرت شاوسر في الوصول لأنها استولت على موريشس في الطريق وذلك في أيلول/ سبتمبر سنة ١٧١٥، ولكنها عادت مع السفينة بايكس إلى سانت مالو من المخا في شباط/ فبراير سنة ١٧١٦. وفي العام التالي أبحرت السفينة (كومتيس دي بونتشارترين) في رحلة إلى جزر الهند استغرقت عامين، وعادت منها في سنة ١٧١٩، وكانت آخر سفينة تبحر من سانت مالو إلى المخا مباشرة، غير أن العلاقات بين فرنسة والسلطات في المخا توترت فيما بعد، وذلك لأنه عندما تبين لحاكم المخا الفقيه أحمد أن الفرنسيين كانوا - بمقتضى الاتفاق الذي أبرم معهم في عام ١٧٠٩ - يدفعون ١/٤ ٪ ضريبة على الصادرات والواردات في حين يدفع الأوربيون الآخرون ٥٪. لما تبين له ذلك رفع الرسوم الضرائبية على الفرنسيين إلى ٥٪ دون سابق إنذار. فأغضب هذا التصرف المتعسف شركة الهند الشرقية الفرنسية إلى درجة جعلتها تقوم بإجراء تأديبي ضده، فاختارت الكابتن دي لا جارد جازير (ابن أخت الأدميرال دو جوي تورين بطل حملة استيلاء فرنسة على ريودي جانيرو في سنة ١٧١١) ليقود أسطولاً صغيراً من سانت مالو. وكان هذا الأسطول يضم أربع سفن هي:

- ماورياس بقيادة دي لا جارد جازير.
- هيرون بقيادة كابتن باشيلير.
- سانت بيير.
- اندوين.

وقام هذا الأسطول بقصف المخا في سنة ١٧٣٧، وأدى القصف إلى أن ترضخ المخا وتدفع ما عليها من ديون للفرنسيين، ثم قطعت على نفسها عهداً بالالتزام باتفاقية سنة ١٧٠٩.

ولكن سرعان ما تلاشى اهتمام الفرنسيين بتجارة بُنّ المخا، وفي تاريخ يرجع إلى سنة ١٧١١ أخذت السفينتان (بايكس) و(ديليجانت) شجيرات البن اليمني لزراعتها في (ريبونيون).

وفي منتصف القرن تورطت فرنسة في صراع عنيف مع إنجلترة في الهند. وبعد سنة ١٧٦١ تبددت آمالها في إقامة إمبراطورية هندية، واستمر التنافس الفرنسي الإنجليزي في صراع من أجل التحكم في طرق مواصلات البحر الأحمر، ودامت تحركات الفرنسيين في البحر الأحمر مدة عشرات السنين من أجل دعم هذه المنافسة فقط.

وفي سنة ١٧٨٥ وصلت السفينة الحربية الفرنسية أوغسط إلى السويس تحمل رسائل، وفي العام التالي رست خمس سفن فرنسية بالمخا. وفي سنة ١٧٨٧ وصلت السفينة فينوس بمزيد من الرسائل إلى السويس بعد أن قامت بعملية كشف واسعة النطاق في البحر الأحمر.

وقد استمر الاهتمام الفرنسي باليمن متقطعاً رغم أن عدة سفن فرنسية طرقت ميناء المخا مثل لويس جولي التابعة لجمعية البحر الأحمر في سنة ١٧٨٨، وبرانس دي كوندي، واميس ويونيس في سنة ١٧٨٩.

وثمة عدة دول صغيرة أخرى كان على فرنسة وهولندة وإنجلترة الدخول معها في منافسة على البحار الشرقية خلال القرن الثامن عشر. ففي سنة ١٧١٧ تكونت في الأراضي المنخفضة التابعة للنمسة شركة الهند الشرقية الملكية الإمبراطورية، وذلك هو الاسم الكامل لشركة أوستند، وقد أصدر الإمبراطور شارلس السادس مرسوماً بذلك في سنة ١٧٢٢.

وقامت سفن هذه الشركة بنشاط تجاري واسع في المخا بين سنة ١٧١٩ وسنة ١٧٢٧، مما سبب حرجاً كثيراً للفرنسيين والهولنديين والإنجليز. وطرحت حكومات تلك الدول خلافاتها جانباً لتجبر شارلس السادس على وضع حد لنشاطها. وفي مدة وجيزة أسس تجار أوستند منظمة تجارية كبيرة بالقرب من مدراس وفي بانكيبازار على نهر الغانج Ganges، ولكن الدنماركيين سبقوهم إلى ذلك بمئة عام.. فقد كوَّن كريستيان الرابع شركة دنماركية (مجازة) في سنة ١٦١٢، وأسست هذه الشركة مركزي سيرامبور وترانكويبار على ساحل الكروماندل بعد ثماني سنوات من ذلك التاريخ. وقد خربت هذه الشركة نتيجة لعداء الهولنديين، إلا أنه قامت شركات أخرى في السنوات ١٦٣٤ و١٦٨٦ و١٧٢٨. وقام الدنماركيون بمعاملات تجارية متقطعة مع المخا خلال القرن السابع عشر، ولكنها لم تكن على نطاق واسع. وكان الملك جوستاف أدولفونس هو القوة المحركة وراء تكون شركة الهند الشرقية السويدية، كما أسست بعض القلاع السويدية على ساحل غرب إفريقية. وكان للشركة السويدية مركز تجاري في كانتون، ولو أنها قامت ببعض التبادل التجاري مع المخا في القرن الثامن عشر.

❁ ❁ ❁

V

# الطّريق إلى الهند

خلال القرون الثلاثة من ١٥٠٠ إلى ١٨٠٠ ساهمت أربع دول أوربية فقط مساهمة فعالة في مجرى الأحداث في المحيط الهندي، ولمدة قرن من الزمان ظل البرتغاليون لا ينازعهم أحد، وحتى حين فشلت خطتهم لتطويق العالم الإسلامي، فالتجارة لم تكن إلا عاملاً ثانوياً بالنسبة إليهم. وبوصولهم إلى البحار الشرقية في بداية القرن السابع عشر بعد اضمحلال البرتغاليين استمر الهولنديون والإنجليز يقومون بنشاطهم التجاري مدة تزيد على مئة عام لا يعيقهم عائق سوى ما يحدث من احتكاك بينهما. وبالرغم من أهمية تجارة اليمن بالنسبة إلى الدولتين فإنها لم تكن من الأهمية بقدر ما كانت عليه التجارة مع الهند وجزر الهند الشرقية.

ولم تكن كل من عدن ولا المخا ذات أهمية كمحطة للتزود بالميرة في الطريق؛ لأن السفن كان يمكنها أن تبحر مباشرة من شرق إفريقية أو زنجبار إلى الهند. وفي بواكير القرن الثامن عشر ظهر التجار الفرنسيون في اليمن ليدخلوا في منافسة مع التجارة الهولندية والإنجليزية التي كان قد توطد مركزها.

ومنذ سنة ١٧٢٠ إلى حوالي سنة ١٧٣٠ سجلت التجارة الأوربية مع المخا رقماً قياسياً، وذلك نتيجة لاشتراك كثير من الدول الصغيرة فيها، ثم أخذت بعد ذلك تتدهور تدهوراً مطرداً على مدى الستين سنة التالية.

وفي خلال ذلك بدأت أحداث بعيدة عن جنوب غرب الجزيرة العربية تؤثر في سياسة بريطانية وفرنسة.

وبحلول عام ١٧٥٠ كانت المنافسة الهولندية قد فقدت فاعليتها وانتقل ما كان من منافسة إنجليزية فرنسية في البحر الأحمر من مجال التجارة إلى مجال المواصلات.

ومنذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أهملت بريطانية تدريجياً تجارة الشرق العربي واتبعت مؤخراً سياسة الحفاظ على علاقة ودية مع الإمبراطورية العثمانية المريضة، كما أنها كانت تؤيد سيادتها على تلك المناطق. وكان الهدف من ذلك هو تفادي سقوطها (أي الإمبراطورية العثمانية) وما ينتج عن ذلك من تسابق بين الدول الأوربية لملء الفراغ، ولكن الفرنسيين كانوا على استعداد لإثارة عداء الحكومة العثمانية إذا كان ذلك ضرورياً لحماية مصالحهم التجارية.

وفي بداية القرن الثامن عشر كان الفرنسيون قد دعموا موقفهم في مصر، وكان حجم تجارتهم مع مصر في ذلك الحين أكبر من حجم تجارة الإنجليز معها بخمس وعشرين مرة، وقد تمكنوا من فرض احتكار أوربي حقيقي على تجارة مصر خلال معظم ذلك القرن. وحين فقدت فرنسة إمبراطوريتها الهندية بعد حرب السبع سنوات بدأت تبحث عن وسائل لدعم مركزها في مصر، حيث تمكنت من تأسيس قاعدة تستطيع منها استعادة ما فقدت في الهند، وفي سنة ١٧٨٥ وقعت معاهدة سرية مع حكام مصر من المماليك، وقد خولتها هذه المعاهدة امتيازات ملاحية في البحر الأحمر إلى جانب منحها حقوقاً أخرى، خلال هذه الفترة قام عدد كبير من السفن الفرنسية والإنجليزية معاً بأول عمليات مسح بحري أولي.

وبسرعة تحول التنافس الإنجليزي الفرنسي في مصر إلى سباق للحصول على امتيازات لحمل البضائع براً بين السويس والبحر الأبيض المتوسط. ولكن قيام الثورة الفرنسية وما تبعها من حروب أوربية صرف اهتمام كل من فرنسة وإنجلترة عن الطريق البري وعن مشروعات قناة السويس التي كانت في طور التكوين. والتي أصبح لها فيما بعد آثار بعيدة المدى على التجارة العالمية.

وفي خريف سنة ١٧٩٨ بدأ احتلال نابليون لمصر. وفجأة وبعد مضي قرنين من التفرد بالتعامل التجاري مع اليمن اضطرت الحكومة البريطانية إلى اتخاذ إجراءات سياسية عاجلة في جنوب غرب الجزيرة العربية. وكانت تلك أول حركة من نوعها في تاريخ أوربة.



## الفصل الثاني

# التحول من التجارة إلى السياسة

I

# العمليات البحرية

## ١٧٩٩ - ١٨٠١

حتم الوجود الفرنسي في مصر حدوث تحولين في مركز بريطانية في البحر الأحمر؛

**الأول**: إرسال حملة عسكرية تنزل على ساحل البحر الأحمر في مصر (وذلك لتعزيز قوة الجنرال ابركرومبي في البحر الأبيض).

**والثاني**: الاستيلاء على نقطة استراتيجية في البحر الأحمر يمكن منها التحكم في كل نشاط بحري للأعداء في تلك المجاري المائية الضيقة.

وقد قدر لثلاثة ضباط أن يؤدوا الدور الرئيس في تلك التحركات العسكرية والسياسية وهم: الأدميرال جون بلانكيت الذي أرسل من إنجلترة لحراسة البحر الأحمر، وكان يقود أسطولاً صغيراً يتكون من السفينة (ليوبارد) وقبطانها (ت ساريدج)، والسفينة (ديدالوس)، والسفنية (أوريستيس).

والعميد البحري السير (هوم بوفام)، وكان على إمرة أسطول صغير يتكون من السفن، (رومني) و(فيكتور) و(سنسيبل)، وكان عليه مرافقة وحراسة رتل من السفن تقل الجنود من رأس الرجاء الصالح وبومباي إلى ساحل البحر الأحمر بمصر.

والمقدم (الجنرال في وقت لاحق) جون ماري الذي قام باحتلال جزيرة بريم ومنح لقب (المعتمد السياسي للبحر الأحمر).

ولم يكن جديداً على الأدميرال بلانكيت زيارة المحيط الهندي، فقد سبق له أن زار مدغشقر في سنة ١٧٨٩. وفي ٩ تموز/ يوليو من سنة ١٧٩٨ غادر الأدميرال بلانكيت بورتسموث، ولكنه واجه عواصف في المحيط الأطلنطي فلم يتمكن من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح حتى أوائل تشرين الأول/ أكتوبر. ووجد نفسه في النهاية (منقطعاً) على ساحل إفريقية الشرقي بفعل الرياح المضادة.

وأرسلت السفينة (ديدالوس) في عودة إلى رأس الرجاء الصالح لجلب المؤن على أن تلحق بالأسطول في عدن. وأخيراً وصلت السفينتان (ليوبارد) و(أورستيس) إلى المخا في ١٤ نيسان/ أبريل سنة ١٧٩٩ لتجدا أن السفينة (سنتوريون) بقيادة القبطان ج. س. رينر و(الالباتروس) بقيادة القبطان وولر قد أبحرتا إلى السويس، وذلك بأمر من القائد العام لجزر الهند الشرقية. وفي أثناء ذلك حملت السفن (فوكس) و(برينسيس شارلوت) و(ستر ومبولو) وبعض سفن النقل والزوارق الحربية، حملت المقدم ماري ومعه ٣٠٠ من الأوربيين من جنود الفرقة ٨٤ و٦٠٠ من الجنود المحليين إلى بريم. ونزل ماري إلى الجزيرة في ٣ أيار/ مايو سنة ١٧٩٩ وأقام بها حامية مستديمة. ولكن حين وصل بلانكيت في ٧ أيار/ مايو وجد أن الحامية كانت رديئة الإعداد والمعدات وينقصها الماء، ولا تستطيع بما لديها من مدافع حماية مضيق باب المندب. وبناء على ذلك نقل ماري حاميته إلى عدن فوصل إليها في ١ أيلول/ سبتمبر ورحب به السلطان العبدلي أحمد بن عبد الكريم الذي قدم أراضيه إلى البريطانيين.

وصل بلانكيت إلى بومباي من البحر الأحمر في كانون الثاني/ يناير سنة ١٨٠٠ وحاول أن يقنع حكومة بومباي لتقل عدن هدية وتقيم لها

حامية هناك. وأشار إلى أنه بما أن معظم عائدات الجزيرة من البن ومن حركة الحج تصرف في شراء الحبوب من مصر، فإن استيلاء بريطانية على عدن سيجعلها تتحكم في الإمدادات الغذائية للنصف الغربي للجزيرة، ويسمح بتحويل تجارة بن المخا عن طريق عدن نفسها. بيد أن الحاكم العام للهند رفض هذه الفرصة العظيمة في شباط/ فبراير سنة ١٨٠٠، وأبحرت قوة ماري إلى بومباي في آذار/ مارس بعد أن مكثت في عدن خمسة أشهر. وعاد بلانكيت أيضاً إلى البحر الأحمر في الشهر نفسه ومعه السفن الآتية: ليوبارد، فورت، فوكس، الباتروس، وامبوينا.

وكانت الأوامر التي وجهت إليه بأن يحبط أي مخططات فرنسية لاستعمال مصر قاعدة لغزو الهند. ولما وجد أن عدن وبريم ليس بهما حاميات عقد اجتماعاً في شهر حزيران/ يونيو مع شريف مكة واستطاع أن يقنعه بالامتناع عن استلام أي عون من الفرنسيين. واستمر في حصار السويس، وفي آب/ أغسطس عاد إلى بومباي مرة أخرى. وفي نيسان/ أبريل سنة ١٨٠١ عاد مرة أخرى إلى السويس. وفي حزيران/ يونيو ساعد العميد البحري السير هوم بوفام في إنزال الجنود الذين رحلهم السير هوم بوفام المذكور من الهند ورأس الرجاء الصالح بالقصير (على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر).

❁ ❁ ❁

II

# بعثة السير هوم بوفام سنة ١٨٠٢

كان السير هوم ريجز بوفام Sir Hume Rijjs Popham المولود عام ١٧٦٢ أول إنجليزي يخول إجراء مفاوضات سياسية رسمية مع إمام اليمن، وكانت حياته في البحرية الملكية حافلة بالأحداث غير تقليدية. وفي بداية حياته برهن على أنه رجل مبادرة وإقدام ويتمتع بالميزة الضرورية للكفاءة، وهي الانتباه إلى التفاصيل ذات الصلة بعمله؛ فأصبح بذلك ذا خطوة عند الرسميين في بلده. ففي عام ١٧٩٤ قضى بعض الوقت تحت إمرة دوق يورك في فلاندرز، وكان يقوم بنقل الرسائل من إنجلترة وإليها، وكثيراً ما كان يستشيره وزراء حكومة صاحب الجلالة، وكان يتمتع بينهم بجاه مرموق. وبصفته قبطاناً تم تعيينه لقيادة السفينة رومني ذات الخمسين مدفعاً التي كانت تقود الأسطول الصغير المتولي نقل الجنود من رأس الرجاء الصالح والهند إلى مصر. وكان هؤلاء الجنود هم الذين عملوا فيما بعد بالتضامن مع قوة الجنرال ابركرومبي الموجودة في البحر الأبيض المتوسط على طرد الفرنسيين من مصر. وفي السابع من أيار/ مايو سنة ١٨٠١ كان بوفام بالقرب من ساحل المخا على ظهر السفينة (رومني)، ومعها السفينة (فيكتور) والسفينة (سينسبل) بقيادة القبطان سوس. وفي اليوم التالي أبحر بالسفينة (رومني) مصطحباً السفينة (فيكتور) إلى جدة لمقابلة الجنرال (بيرد) قائد قوة حملة البحر الأحمر إلى مصر. وفي السادس والعشرين من أيار/ مايو وصل السير هوم إلى جدة

وأخذ الجنرال إلى القصير - ميناء النزول الجنوبي - لغزو مصر، وقد وصل إليها في السابع من حزيران/ يونيو ليجد أن العقيد (ماري) الذي كان مؤخراً قائداً لحامية بريم قد سبقه إلى هناك. وكان بلانكيت حينذاك في السويس، ووصل إلى القصير في ١٦ حزيران/ يونيو بخطاب من الجنرال السير هيلي هتشينسون الذي كان جيشه على أبواب القاهرة طالباً إرسال الفرقة الهندية على جناح السرعة. وغادر الأدميرال بلانكيت إلى جدة في الحال، ولما وصل بوفام إلى هناك في السادس من تموز/ يوليو وجده على درجة من المرض لا تسمح له بمباشرة الشؤون الرسمية، ومات على ظهر السفينة (ليوبارد) في ١٤ تموز/ يوليو في الطريق إلى المخا.

كان الدكتور برينجل الجراح المساعد عند حكومة بومباي والذي رافق ماري إلى البحر الأحمر في سنة ١٧٩٩ في المخا في أيار/ مايو سنة ١٨٠١، وقد بعثه بوفام إلى صنعاء ليحمل رسائل وما قيمته ٣٠,٠٠٠ روبية من الشالات وقماش الأطلس والشاش هدية للإمام. واستطاع برينجل أن ينظم الأمور لمساعدة السفن البريطانية في الموانئ اليمنية، وإعادة الامتيازات التجارية التي كانت تتمتع بها إنجلترة في الماضي، كما حصل على إذن بإقامة مستشفى بحري في المخا. وبالرغم من كل هذه الأعمال المجيدة فإنَّ برينجل أصبح مغضوباً عليه؛ لأنه في آذار/مارس سنة ١٨٠٥ «أصبح مدمناً للمشروبات الروحية لدرجة جعلت أعمال المركز التجاري في فوضى ست سنوات متواصلة في الخدمة بالمخا. وذلك امتحان أي امتحان لشخصية أوربي.

وفي بداية آب/ أغسطس سنة ١٨٠١ وصل السير هوم عائداً إلى الهند، وبعد أن رفع تقريره إلى الحاكم العام تلقى منه في نهاية العام أمر تعيينه سفيراً لحكومات الجزيرة العربية. وكان قد تلقى تعليمات سابقة من

اللجنة السرية لشركة الهند الشرقية لإقامة نظام مستديم من العلاقات التجارية مع إمام صنعاء وشريف مكة.

وقبل أن يغادر بوفام إنجلترة كان سكرتير اللجنة هنري دونداس قد أناط به مهمة سياسية إلى شريف مكة وكل أمراء الجزيرة العربية. واستطاع أن يراقب خلال زيارته الأولى للمخا بعض الأوضاع التجارية في اليمن. وفي تقرير مسهب حول الموضوع رفعه إلى الحاكم العام أوصى بتعيين ممثل تجاري بريطاني مقيم في المخا. وكان يقام في بيت الفقيه معرض تجاري مرتين في العام، وقال السير هوم: إن الممثل التجاري المقيم يجب أن يحضر إلى هذا المعرض. ولعدة سنوات قبل سنة ١٨٠٠ كان أحد البانيان الهنود يصرف الأعمال التجارية لشركة الهند الشرقية في اليمن.

وفي نهاية سنة ١٨٠١ تسلم السير هوم بوفام من الحاكم العام اللورد ويلزل تفاصيل صلاحيته، وبما أنه عين مرة أخرى سفيراً لدى الدول العربية؛ فقد أبحر في أوائل سنة ١٨٠٢. ووصل إلى السويس في شهر آذار/ مارس عازماً على السفر إلى القاهرة لتوقيع اتفاقية تجارية مع والي مصر. كما أنه كان ينوي زيارة الجنرال بيرد في الإسكندرية ليبحث معه أمر نقل الجنود على السفن، ولكنه لم يحقق أياً من الأمرين، وذلك بسبب انتشار الطاعون في القاهرة. وعاد إلى جدة في أواخر حزيران/ يونيو. وفي منتصف تموز/ يوليو ألقى مراسيه في مياه المخا مرة أخرى. وأرسل من هناك الدكتور برينجل ثانية يرافقه هذه المرة و. ب إليوت والملازم لامب إلى صنعاء للتفاوض مع الإمام بغية عقد اتفاق تجاري. وربما كان الحاكم العام يدرك صلف السير هوم فقد رأى من الحكمة أن يبقى السير هوم في المخا وأصدر إليه أوامره بعدم التقدم إلى داخل البلاد إلا إذا كانت هنالك فائدة خاصة تجنى من ذلك. وخلال انتظاره بالمخا سجل السير هوم أنه لن تكون هنالك أية صعوبة في إقامة (وكالة تجارية) في تلك المدينة،

وذلك لأن الوكالة الهولندية قد تعطل نشاطها منذ عدة سنوات بسبب النزاع المستمر الذي دخل فيه الهولنديون مع حكومة المخا، ويبدو أن الوكالة التجارية الهولندية قد ظلت فارغة، ويمكن - مع بعض الإضافات - أن يفي بغرض البريطانيين. وكان مركز الوكالة التجارية البريطانية القديم قد تهدم، وقد رأى السير (هوم) أنه من الأفضل الحصول على بيت آخر بالحجم نفسه أو على إذن من الإمام بإقامة مبنى جديد، وكانت رغبته إذا تعذر ذلك إزالة بعض مباني القائمة بالقرب من مبنى الوكالة القديم، وإذا أمكن شراء الأرض التي كان يقوم عليها إسطبلات الحاكم ومباني السجن العمومي وضمها إلى تلك الوكالة وبذلك فإنه يصبح من الممكن إقامة مبنى مناسب لها.

وكانت هناك معارضة شديدة من الهند لبعثة السير هوم بوفام؛ فقد حاول حاكم سورات جاهداً عن طريق وكيله في صنعاء أن يمنع إعادة فتح الوكالة التجارية في المخا وإنعاش النشاط التجاري البريطاني في البحر الأحمر الذي كان هدفاً هاماً لبعثة السير هوم، كما حاول الحاكم أيضاً منع إنزال أفراد الحرس المرافق للبعثة. وفي النهاية استطاع بوفام أن يجد مسوِّغاً للتوغل داخل البلاد ولكنه لم يتجاوز تعز التي وصل إليها من المخا. وقد أسيئت معاملته خلال تلك الرحلة (وكان السبب الرئيس لذلك أنه أصر على اصطحاب حرسه الخاص المكون من ١٠٠ من الجند السباهية[١]) وأجبر على العودة المخا.

أما بعثة برينجل فقد مات إليوت بالحمى في صنعاء، وعاد ولامب وبرينجل إلى المخا في الخامس عشر من أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٠٢، ولم يعودا من تلك الرحلة دون أن يذكرا ما لقياه من استقبال مؤدب، وكانت البعثة فاشلة، فالإمام لم تعجبه المسدسات والسيوف التي قدمها له

---

(١) السباهي: جندي هندي في الجيش البريطاني حتى عام ١٩٤٧ (المعرب).

بريجنل هدية، ولكنه أصدر أمراً بمنع الإمدادات عن السفن الفرنسية في كل الموانئ اليمنية. ولم يفُتَّ ذلك من عزم السير هوم، فذهب إلى عدن حيث وصل إلى اتفاق مع السلطان العبدلي أحمد بن عبد الكريم الذي كان قد استقبل (موري) وجنوده استقبالاً حسناً في الأشهر الأولى من سنة ١٨٠٠ والذي أبدى في الحال استعداده لتوقيع معاهدة تحالف. وبمقتضى هذا الاتفاق الذي أمضاه بوفام مع السلطان أعلن فتح الميناء (عدن) للبضائع البريطانية إذا كانت على سفن بريطانية. وقد نصت هذه المعاهدة أيضاً[١] - وهي وثيقة مطولة - على إعطاء حماية خاصة للرعايا البريطانيين وإقامة مركز (وكالة) تجاري بريطاني، وتفاصيل أخرى كثيرة بما في ذلك تخصيص قطعة أرض يدفن فيها موتى النصارى. وبالإضافة إلى ذلك وعد البريطانيون بحماية رعايا السلطان إذا ما هاجمهم الفرنسيون.

وعند عودة بوفام إلى إنجلترة على الباخرة رومني سنة ١٨٠٣ حققت معه السلطات البحرية تحقيقاً لم يتم بالطرق اللائقة في موضوع تكاليف ترميم سفينة كلكتا وإعادة تجهيزها، ولكنه وجد في النهاية على حق وقد أوكل إليه لفترة من الزمن بعض المشروعات، كمشروع غواصة فولتون وبطارية صواريخ كونغريف، غير أنه سرعان ما وجد نفسه في مشكلة أخرى لأنه قام بحملة إلى بونس آيريس من رأس الرجاء الصالح دون تكليف رسمي. وقد تم تقريعه أمام محكمة عسكرية في شهر آذار/ مارس، ولكنه اشترك في العام التالي في الحملة التي أرسلت ضد كوبنهاجن ومنح وسام KCB في سنة ١٨١٥ ومات في سنة ١٨٢٠.

❀ ❀ ❀

(١) وقعت المعاهدة في ٦ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٠٢، يراجع عنها وعن هذه الفترة وما سيليها (ص ٨٥ - ٨٦) من كتاب د. فاروق عثمان أباظة: (عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر) ١٨٣٩ - ١٩١٨ وهو دراسة جامعية مفيدة عن هذه الفترة. ط. القاهرة.١٩٧٦ (المعرب).

III

# الخطر الوهّابي

## ١٨٠٦ - ١٨١١

وقعت نصائح (بلانكيت) و(بوفام) على أذن صماء في إنجلترة، وسرعان ما ذهبت اتفاقية (بوفام) أدراج النسيان. وكان رحيل (نابليون) عن مصر وموت حليفه (تيبو) سلطان ميسور[١] في سنة ١٧٩٩ قد أدّيا إلى إضعاف الاهتمام السياسي للحكومة البريطانية بالبحر الأحمر، ولكن الوكالة التجارية البريطانية في المخا ظلت تعمل حتى فترة متأخرة من القرن التاسع عشر، رغم المشاكل المتكررة مع السلطات في المخا وأعمال النهب والسلب التي كان يقوم بها الوهابيون المتزمتون والمتعصبون في أواسط الجزيرة العربية[٢].

وبين عامي ١٨٠٦ - ١٨١١ قام الوهابيون الذين احتلوا الحديدة سنة ١٨٠٤ بقوة اكتسحت تهامة، ولم تفلح القوات المصرية بقيادة إبراهيم

---

(١) تيبو سلطان (١٧٤٩ - ١٧٩٩) ملك ميسور في الهند من القادة العسكريين والشخصيات الوطنية في تاريخ الهند. يعده الهنود بطلاً عظيماً. تغلب مرتين على الجيش البريطاني وحلفائه غير أنه اندحر أخيراً وقتل. (المعرب).

(٢) الحركة الوهابية: نسبة إلى المصلح الديني محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م) الذي ربي على المذهب الحنبلي، طاف الحجاز والعراق وسورية، أحسن محمد بن سعود وفادته في (نجد) فناصره وصاهره، وكان يرى تنقية الدين من الانحرافات بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية. (المعرب).

باشا في طردهم منها إلا في سنة ١٨٢٦ حينما قامت هذه القوات بترك حاميات في الحديدة والمخا وزبيد، وأعادت السلطة الاسمية لإمام صنعاء. وتطور الأمر في سنة ١٨٢٠ حينما قام أسطول صغير بقيادة القبطان ج. لاملي في السفينة (توباز) بقصف المخا وإنزال قوة صغيرة من الرجال للاستيلاء عليها.

وتم اتفاق مع حاكم المخا بإنشاء وكالة (ممثلية)، ولكن الإمام في صنعاء لم يقر هذه الاتفاقية.

وكان اهتمام بريطانية بإنشاء الطريق البري بين القاهرة والسويس والطريق البحري بين السويس والهند قد تجدد لفترة طويلة قبل حلول عام ١٨٣٢. ففي ذلك العام كانت جيوش محمد علي، والي مصر، الذي حارب الوهابيين في السنوات ١٨١٣ - ١٨١٨ قد قوت مركزها في المخا وعزم الوالي على بسط نفوذه على كل أنحاء الجزيرة العربية. وبعد خمس سنوات من ذلك الحين أرسل تعزيزات إلى شبه الجزيرة العربية، فقد أرسل جيشاً إلى الفرات، وثانياً إلى وسط الجزيرة، وثالثاً إلى الحجاز واليمن. وطيلة تلك المدة كان النشاط المصري في جنوب الجزيرة العربية تحت مراقبة أسطول بومباي الذي لم يستطع منع المصريين من احتكارهم لنصف تجارة بن المخا وبيعه بأسعار عالية إلى الأمريكيين الذين حاولوا الظهور للمرة الأولى في المخا في عام ١٧٩٧ بعد أن ظلت تجارتهم عبر البحار تعاني لمدة طويلة من القيود المفروضة عليهم لاعتبارهم جزءاً من الإمبراطورية البريطانية.

❀ ❀ ❀

## IV

# الأمريكيّون في البحر الأحمر

## ١٧٩٨ - ١٨٤٠

كان تدشين سفينة (وتثروب) المسماة (بليسنج أوف ذي بي) Blessing of the Bay في عام ١٦٣١ بميناء (ميد فورد) في نيو إنجلاند، نقطة البداية للنشاط الأمريكي الجاد لبناء السفن على سواحل المحيط الأطلنطي، ولقد أضاف قانون الملاحة الذي صدر سنة ١٦٥١ حيوية لحركة بناء السفن على طول ساحل (نيو إنجلاند)، وذلك لفرضه القيود على تجارة النقل الهولندية وحصر تجارة المستعمرات على سفن بريطانية ومستعمراتها.

وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ أصبح بناء السفن هو الصناعة الرئيسة في بيوبيري بورت، وإيبسويتش، وجلوستر، وبيرفرلي، وماربلهيد، وبوسطن، وسيليم.

ولفترة طويلة قبل نهاية القرن السابع عشر كانت السفن الأمريكية ذات الأشرعة المربعة Square riggers تشاهد في معظم الموانئ الأوربية وموانئ جزر الهند الغربية، ولم تكن مجهولة في بعض الأماكن البعيدة (كالإسكندزيتة) وغينيا الجديدة، في سنة ١٦٩١ شددت القيود على تجارة الإمبراطورية، ولكن بعد اتفاقية أوتريخت للسلام سنة ١٧١٣ رحب التجار الأمريكيون بموجة أخرى من السعة، وكان حوالي ١٢٥ سفينة تدشن في

ماسا شوستس كل عام، ثم انخفض ذلك الرقم بعد حرب الاستقلال إلى لواذ ٤٥ سفينة. وفي سنة ١٧٨٤ كان عدد السفن يتراوح بين ١٢ و٤٥ سفينة تبنى للشركة الفرنسية لتجارة جزر الهند التي كان شارلس الإسكندر دي كالون بصدد إعادة إنشائها في سنة ١٧٨٥، وبين سنتي ١٧٨٥-١٧٨٧ كان ثمة عدد ما قد تم بناؤه من السفن يتراوح بين ١٥ إلى ٢٠ سفينة.

أما سيليم فقد كانت قبل ذلك ميناء للصيد من الدرجة الأولى، وقد أتاح نشاط السفن الخاصة بها للملاحين من أهلها آفاقاً واسعة وطموحاً عظيماً للتجارة، وكانت سادس مدينة أمريكية قبل عشر سنوات من نهاية القرن، وكانت أيضاً هي التي بدأت تجارة أمريكة المشروعة مع الشرق في سنة ١٧٨٨.

وفي عام ١٧٨٤ وصلت السفينة (جراند تيرك) (ذات حمولة ٣٠٠ طن والمزودة بـ ٢٠ مدفعاً) بقيادة القبطان جواناتان انفيرسول إلى رأس الرجاء الصالح.

وفي أواخر كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٧٨٤ كانت إحدى سفن فلاديلفيا وتسمى (يوناتيد ستيتس) بالقرب من سواحل بونديشيري.

وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ أصبحت السفينة (أتلانتيك) بقيادة هنري الكينز أول سفينة من سفن سيليم تصل إلى بومباي وكلكتا اللتين وصلت إليهما قبلها في ١٧٨٧ السفينة (شيزابيك) بقيادة القبطان جون أودونيل.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر من العام التالي وصلت السفينة (أتلانتيك) إلى ساحل وامبوا أسفل كانتون.

وفي سنة ١٧٨٧ وصلت السفينة (جراند تيرك) إلى موريشاس في رحلتها الثانية بقيادة القبطان ابينيزر ويست.

وقد أدت رحلات سفن سيليم هذه ورحلات السفينة (استيريا) (القبطان جيمس ماجي) إلى كانتون في عام ١٧٨٩ إلى تزايد الطلب على السفن الجديدة، ولا سيما في سيليم حيث أقيمت أحواض جديدة لبناء السفن، وبدأ الرخاء يعود إلى نيو إنجلاند، وبالرغم من أن سيليم وبوسطن احتكرتا فيما بينهما تجارة الشرق إلى درجة لم تترك إلا قليلاً لـ (بروفيدانس) و(نيويورك) و(فيلاديفيا) و(بوليتمور). إلا أن نيوبيرى بورت استطاعت أن تحقق ثروة طائلة دونما حاجة إلى تجارة الشرق.

ومن ناحية أخرى فإن الفائض الكبير من الشاي في مستودعات سيليم وبوسطون في سنة ١٧٩٠ دفع تجارهما إلى البحث عن منافذ جديدة للتجارة، وكانت النتيجة أنهم أخذوا يعيدون تصدير البضائع الشرقية إلى حوض البحر الأبيض المتوسط.

إن سطو البريطانيين على التجارة الأمريكية بين سنة ١٧٩٣ وسنة ١٧٩٤ قد كلف أهل نيو إنجلاند كثيراً، وأصبح أي نوع من التعامل التجاري خيراً من عدمه. ومن أمثلة هذه الإجراءات الاضطرارية تأجير السفن (الإيزا) من نيويورك و(ماساشوستس) من بوسطون و(مارجاريت) من سيليم لشركة الهند الشرقية الهولندية. وذلك بين ١٧٩٨ وسنة ١٨٠١ للاشتراك في تجارة نقل بتافيا - ناغازاكي. وكان البحث عن أسواق جديدة جارياً، وكانت تجارة البن في البحر الأحمر إحداها.

وربما كان أمهر بناة السفن في سيليم في بداية القرن التاسع عشر هو ريتاير بيكيت. فقد بنى في سنة ١٧٩٤ السفينة (ريكافاري) التي تبلغ حمولتها ٢٨٤ طناً لالياس هاسكيت داربي الذي كان في ذلك الحين يشارك عائلة كراون شيلد مركز أعظم أصحاب السفن في سيليم.

وفي سنة ١٧٩٦ أخذ القبطان جوزيف روبس السفينة (ريكافاري) إلى كلكتا وإلى المخا عن طريق موريشاس في سنة ١٧٩٨، وكانت بذلك أول

سفينة أمريكية تصل إلى ميناء في الجزيرة العربية على مدخل البحر الأحمر، وبذلك سبقت السفينة (انتربرايس) بقيادة الكابتن ريتشارد كليفلاند الذي أخذها من سيليم قاصداً المخا في سنة ١٧٩٧. ولم يتعد ميناء الهافر عندما تلقى أمراً من أصحاب السفينة بالعودة. واستقبل روبس استقبالاً حسناً في المخا، إلا أنه بعد أن فشل في تحقيق كثير من النجاح التجاري أبحر إلى كلكتا، وعاد في نهاية المطاف إلى سيليم محملاً بالسكر. وفي وقت لاحق قام بقيادة السفينة (أمريكة) في أول رحلاتها المخصصة للهجوم على سفن العدو في سنة ١٨١٢. وفي رحلتها التالية تحت قيادة القبطان استيفن فيليبس أبحرت السفينة (ريكافاري) إلى هامبورج ومنها إلى كلكتا. وفي سنة ١٨٠١ بعد أن تم بيعها إلى القبطان داربي وأصبحت تحت قيادة القبطان لوثردانا جلبت من المخا ٣٢٦,٠٠٠ رطل من البن لأربعة من تجار سيليم (كذا في مخطوطة إرشادات القبطان دانا للملاحة في مياه المخا).

وكانت السفينة بوليسيس ثاني سفينة أمريكية من سفن سيليم تصل إلى المخا. وأشيع في سيليم في ذلك الحين - وربما كان مصدر ذلك أصحاب تلك السفن - أن السفينة (ريكافاري) والسفينة (بوليسيس) هما السفينتان الأمريكيتان الوحيدتان اللتان يسمح لهما إمام اليمن بالدخول في مياه المخا. ولسوء الطالع تحطمت بوليسيس بالقرب من رأس الرجاء الصالح في سنة ١٨٠٢.

وفي سنة ١٨٠٤ تمت محاولة لإنشاء مركز تجاري أمريكي في المخا. واستطاع بعض قباطنة السفن الأمريكيين الحصول على إذن من حاكم المخا برفع علمهم على المنزل الذي استأجروه في المدينة. وكان من بين هؤلاء بنيامين كراوتشيلد وهنري الكينز وبانكروفت ولي ورو. ولكنهم لم يكونوا محبوبين لدى التجار الإنجليز في الميناء الذين

كانوا يعدون أنهم - أي الأمريكان - يفسدون عليهم التجارة بدفع أسعار عالية للبن.

وثمة أمر آخر لعدم هذا الرضا، وهو أن الأمريكان كانوا يصرون على إلقاء صابورتهم في مجاري الملاحة بالمخا. وقام الدكتور برينجل برفع شكوى في هذا الأمر إلى الحاكم، ولكنه فيما يبدو لم يجد عنده كبير اهتمام ولم يكن الإمام قد اعترف بالأمريكان أمة في ذلك الحين، إلا أن التجار الأمريكان الذين ذهبوا إلى اليمن وعدوه بإحضار هدايا من حكومتهم في العام التالي؛ ثم إقامة مركز تجاري بعد ذلك. وقد أقيم أول مركز تجاري أمريكي في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة المخا.

ومع تقدم العقد الأول من القرن التاسع عشر تكاثف النشاط الأمريكي في المخا. وقد وصل إلى موريشاس القبطان دوتون ويليامز الذي كان يقود السفينة (نانسي) ووليام ليتش الذي كان يقود السفينة (سوارو) بعد زيارة ناجحة إلى المخا في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨٠٢.

وفي العام التالي وصلت إلى ميناء المخا السفينة (كورا) بقيادة القبطان جورج بلفورت والسفينة (هيبي) بقيادة القبطان جيمس بيرسول.

وفي نهاية سنة ١٨٠٤ كانت السفينة (أمريكة) ذات العشرة مدافع والتي بناها بيكيت ويقودها القبطان بنيامين كراونشيلد، واحدة من إحدى عشرة سفينة من سيليم وبولتمور رست في مياه المخا. وكان صاحبها جورج كراونشيلد قد أرسلها في الثاني من تموز/ يوليو سنة ١٨٠٤ في أول رحلة أمريكية لجلب الفلفل من سومطرة. ولما وصلت إلى موريشاس في طريق العودة وقرر قبطانها، رغم ما في ذلك من مخالفة لأوامره، أن يذهب إلى المخا لجلب البن، ووصل إلى هناك في اليوم الأول من كانون الأول/ ديسمبر. وفي المخا أخذ شحنة من الصمغ والجلود كما حمل شحنة من السنامكي من كل من عدن والمكلا قبل أن يتوجه إلى بلده.

وفي سنة ١٨٠٤ وصلت إلى المخا السفينة (مارجريت) التي بناها بكيت لجون داربي وبنيامين بيكمان بسيليم في سنة ١٨٠٠، وكان يقودها في هذه الرحلة القبطان هنري الكينز، وكانت سفينة متميزة، فقد قامت قبل ذلك برحلة تجارية إلى اليابان في سنة ١٨٠١ بقيادة القبطان صمويل داربي، وكانت بذلك رابع سفينة أمريكية تقوم بتلك الرحلة.

وفي ٢٥ أيار/ مايو سنة ١٨٠٥ توجه القبطان دانيال براي (الابن) إلى المخا بالسفينة (ماري) من ميناء سيليم، وربما كان يحمل معه في هذه الرحلة الهدايا التي وعد بها الإمام والصلاحيات والتجهيزات الضرورية لبناء مركز تجاري هناك.

ولعل صعوبات الملاحة كانت أقل الأخطار التي كانت تواجهها السفن في البحر الأحمر في ذلك الوقت. وكانت (اسيكس) إحدى سفن سيليم، ويملكها ويليان أورن، وقبطانها جوزيف أورن، قد وصلت إلى البحر الأحمر في سنة ١٨٠٦ متوجهة إلى الحُدَيدة بشحنة من التوابل قيمتها ٦٠,٠٠٠ دولار، وفي المخا عزز طاقم السفينة (اسيكس) بثلاثين بحاراً عربياً اتضح أنهم كانوا في خدمة قرصان يدعى محمد عقيل (Ikil) الذي استطاع أن يخدع أورن فيأخذ سفينته إلى جهة في البحر بالقرب من كمران حيث تم قتل طاقم السفينة وإحراقها، وحملت الأمواج جثة أورن وقد انفصل الرأس منها وأشلاء التجار إلى شاطئ المخا، ومن ثم دفنوا في مقبرة النصارى التي تقع شمال المدينة. وكان الشخص الوحيد الذي نجا من هذه المذبحة صبياً هولندياً يدعى جون هيرمان بول وقد أخذه محمد عقيل عبداً إلى/ مربط/ Morebat في ظفار. (واعتنق الصبي الإسلام وتزوج من فتاة عربية. وقد رآه بعد ذلك بسنوات الملازم شارل كروتندين من بحرية بومباي أثناء رحلته من مرباط إلى صلالة).

ووصلت أخبار المذبحة إلى سيليم من بولتمور عندما وصلت سفينة من المخا إلى هناك تحمل تفاصيل القصة. واتفق أن كان في مسقط سفينتان بريطانيتان هما (مورنيجتون) و(تيرنات) فأخذهما الكابتن ديفيد سيتون الممثل البريطاني المقيم وراح يبحث عن القراصنة، ولكن دون طائل.

ولم تكن السفينة (اسيكس) هي السفينة الأمريكية الوحيدة التي واجهت مثل هذه الكارثة على الساحل العربي في هذه الفترة. فقد تحطمت في تموز/ يوليو سنة ١٧٩٢ إحدى سفن بوسطون واسمها (كوميرس) (وقبطانها صمويل جونسون من جزيرة رودس) بالقرب من مربط ولاقى من نجا من بحارتها معاملة سيئة على الشاطئ. إلا أن عدداً منهم تمكن من السفر براً إلى مسقط حيث تم إرسالهم إلى وطنهم.

في سنة ١٨٠٩[١]، وهي السنة التي صدر فيها قانون جيفرسون للحظر، كانت نيويورك، وبسطون وبولتيمور وشارليستون وبورتلاند بالتتالي أكبر الموانئ في ساحل أمريكة الشرقي. وقد كان بسيليم في ذلك الوقت - وهي ميناء صغير بالقياس إلى نيويورك - ١٨٢ سفينة للتجارة عبر البحار. وقد سبَّب قانون الحظر الذي لا يسمح للسفن الأمريكية بالاتجار إلا مع الموانئ الأمريكية ضيقاً شديداً لسيليم ونيوبيري بورت، وبليموث، ولم تستعد هذه الموانئ رخاءها السابق البتة. وعلى أية حال فقد تمكنت السفينة (مارجريت) من العودة بشحنة من البن من المخا إلى سيليم في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨٠٧ وفي عملية أكثر جرأة استطاعت السفينة (فرانكلين) أن تحمل في العام التالي ٥٣٢,٣٦٥ رطلاً من البن إلى سيليم حيث تسلمها جوزيف بيبودي في كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٨٠٨.

---

(١) كان ذلك في عام ١٨٠٧ عندما وافق الكونجرس الأمريكي على قانون الحظر الذي قدمه إليه الرئيس جيفرسون. (المعرب).

ولما رفع الحظر في آذار/ مارس سنة ١٨٠٩ استؤنفت التجارة مع المشرق في الحال، وقد تم في ذلك العام استيراد مليوني رطل من البن من المخا، وقد كان للسفينة (أمريكة) نصيب الأسد في ذلك المجموع.

وفي سنة ١٨١٢ تعرقلت التجارة مرة أخرى بسبب إعلان أمريكة الحرب على بريطانية. ولما حل السلام في عام ١٨١٥ كان أسطول سيليم للتجارة عبر البحار قد انخفض عدد سفنه إلى ٥٧ سفينة، وعادت تجارة النقل الأوربية التي كانت تشارك فيها هذه السفن خلال السنوات الماضية إلى سيطرة الدول البحرية في غرب أوربة.

وانتعشت تجارة المخا مرة ثانية، ولكن في رحلات منتظمة ولو أنها متباعدة، ففي كانون الثاني/ يناير سنة ١٨١٩ كانت في ميناء المخا أربع سفن أمريكية تشحن بالبن، وقد قامت السفينة (يافا) من سيليم بقيادة القبطان ويليان هـ نيل ومعها سفينة أمريكية أخرى بزيارة الميناء في سنة ١٨٢٢، وقد افتتحت السفينة (بيوله) بقيادة القبطان شارلس فوربس في سنة ١٨٢١ وهي في طريقها عائدة من المخا. وكان القبطان شارلس ميليت على قيادة إحدى سفن سيليم، واسمها (آن) وهي التي غادرت سيليم في ١٢ آذار/ مارس سنة ١٨٢٦ في طريقها إلى زنجبار. وبالرغم من أنها كانت من أوائل السفن الأمريكية التي تطرق تلك الجزيرة، فإن القبطان ميليت لم يتمكن من القيام بأي نشاط تجاري هناك، وحين بلغه أن مجاعة تجتاح المخا قرر أن يستخدم سفينته لحمل الأغذية إلى ذلك الميناء. فوصل إلى المخا في ٢٠ حزيران/ يونيو ومكث هناك يشحن سفينته بالبن إلى بداية سنة ١٨٢٧. وفي النهاية وصل إلى سيليم بعد أن قام برحلة ناجحة كل النجاح. وكانت السفينة (بلاك ووريار) بقيادة القبطان جون بيرترام أول سفينة من سيليم تقوم بالتجارة مع زنجبار. وقد عادت بشحنة كبيرة من البن من المخا في سنة ١٨٣٢.

قامت سيليم بمجهود أخير لإنعاش تجارتها عبر البحار بالرغم من أن ميناءها في الحقيقة لم يعد صالحاً لاستقبال السفن الجديدة التي كان حجمها يتسع بسرعة، وقد استطاعت بذلك المجهود أن تستمر في العمل مؤقتاً.

وقد قامت السفينة (لاندر)، التي يملكها جوزيف بيبودي والتي بنيت في سيليم، بست وعشرين رحلة إلى أوربة وإفريقية والشرق الأقصى خلال ثلاثٍ وعشرين سنة تلت عام ١٨٢١. كما قامت سفينته (جورج) بإحدى وعشرين رحلة إلى كلكتا بين سنتي ١٨١٥ - ١٨٣٧. وقد تشبثت سيليم في يأس بما تخصصت فيه من تجارة كتجارة الكوبال[1] الزنجباري. ولم يعد أصحاب السفن في سيليم على استعداد لتنظيم رحلات تقتصر على البحر الأحمر، ولكن سفنها التي كانت تتجه إلى المحيط الهندي وشرق إفريقية استطاعت أن تحافظ على صلة متقطعة مع المخا. ولكن تجارة الكوبال مع زنجبار كانت بديلاً ضعيفاً للرحلات إلى كلكتا والصين وسومطرة التي انتهت بموت بيبودي.



(١) الكوبال: صمغ راتنجي قاس. (المعرب).

V

# البريطانيّون في عدن
# عام ١٨٣٩

لم تكد المشاركة الأمريكية في تجارة بن المخا تُتِمُّ نصف قرن، ولكنها كانت كافية للتأثير على السياسة البريطانية في جنوب الجزيرة العربية، وبما أن الأمريكان لم يتركوا كبير مجال للبريطانيين ليشاركوا مشاركة ذات بال في تجارة المخا، فإنّ بريطانية العظمى كانت بحلول عام ١٨٣٧ قد بدأت توجه اهتمامها نحو عدن، فقد مرت بكثيرٍ من المشاكل مع سلطات المخا، وكانت عدن تبدو أكثر ملاءمة كمحطة تجارية، وذلك أنها كانت تحكم من قبل سلطان لحج مستقلة عن اليمن منذ سنة ١٧٢٨. وكانت المخا في ذلك الوقت على وشك الخروج من فترة طويلة من فترات التدهور. وكان القبطان س. ب. هينز من بحرية الهند قد رفع في سنة ١٨٣٥ تقريراً بيَّن فيه مزايا عدن كميناء. وفي سنة ١٨٣٧ كشف النقيب جيمس ماكينزي من فرقة فرسان البنغال في تقريره إلى وزارة الخارجية أن محمد علي كان يخطط للاستيلاء على عدن، وكان ذلك بعد أن زار المخا وجدَّة والحديدة في طريق عودته إلى إنجلترة من الهند. ومنذ سنة ١٨٣٢ كان محمد علي مستمراً في دعم مركزه في اليمن. وبحلول عام ١٨٣٩ كان هناك ضغط ثنائي من بريطانية وتركية لإجلاء قوات محمد علي عن تهامة. وقد أكد ماكينزي على ضرورة استيلاء بريطانية على عدن بسرعة، ليس فقط لإحباط خطط والي مصر، بل أيضاً لتثبيت وجود بريطانية في عدن

كمركز تجاري ومحطة لتزويد السفن البخارية الجديدة التي تسافر بين السويس والهند بالوقود. وقد وضح منذ سنة ١٨٢٠ عودة الاهتمام بتطوير الطريق البري بين الإسكندرية والسويس أو القصير على الساحل المصري في البحر الأحمر. وفي العشر السنوات التالية تم القيام ببعض الترتيبات الأولية كرحلات الفلوكات[1] والجمال عبر دلتا النيل، أو الخيل والجمال غير الصحارى المصرية، وذلك لنقل الركاب والبضائع.

وقد دفع استعمال السفن التجارية بعد سنة ١٨٣٠ إلى السير قدماً في استخدام هذه الطريق البرية (في النهاية صرف النظر عن القصير كنقطة تحميل للبضائع) وأصبحت الحكومتان البريطانية والهندية منهمكتين في نقل الفحم إلى الشرق على نطاق واسع.

وفي وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٨٢٨ تم تأسيس محطة لتزويد السفن بالوقود في المخا، وفي أوائل سنة ١٨٢٩ كان الفحم ينقل بالسفينة (تيتيس) إلى جزيرة صيرة في عدن، وذلك لاستعمال السفينة (هيو ليندسي) في سنة ١٨٣٠، وكانت أول سفينة بخارية تقوم برحلات بين الهند والسويس.

وبسبب عدم توافر اليد العاملة في عدن فقد فشل مشروع جعل صيرة محطة لتزويد السفن بالوقود، واستخدمت المكلا مؤقتاً لهذا الغرض. وكان من أهداف بعثة القبطان س. ب هينز الذي أرسل من قبل حكومة بومباي في سنة ١٨٣٤ اختيار المواقع التي تصلح محطات لتزويد السفن بالوقود والقيام بمسح لساحل حضرموت، وقد قام أيضاً بمسح لجزيرة سوقطرة في الوقت نفسه، ثم عاد إلى بومباي على إمرة السفينة (بالينوروس)، وذهب إلى قشن في تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه بناء على أوامر حكومة بومباي لشراء سوقطرة من السلطان الذي

(١) جمع فلوكة وهي السفينة الشراعية الصغيرة الضيقة. (المعرب).

كانت سوقطرة تشكل جزءاً من أراضيه. ولم تكن نتائج مفاوضات قشن مرضية. ولكن توقعاً لنجاح هذه المفاوضات كانت حكومة بومباي قد أرسلت السفينة (يتجريس) بقيادة القائد ر. لو والسفينة شانون بقيادة الملازم (واري) وسفينة أخرى مسلحة تحمل فرقتين من المشاة الهنود مع مهندسين ومدفعية، وكلها تحت قيادة النقيب ر. ا بيلي والنقيب كورسيليس، وكان الهدف من ذلك احتلال الجزيرة. ومكث الجنود بضعة أشهر، وفي النهاية وافق السلطان على إنزال الفحم بسوقطرة. وفي نيسان/ أبريل سنة ١٨٣٥ وصلت السفينة (كوت) بقيادة القبطان روز لتحل في مكان السفينة (يتجريس)، ولكن وباء الحمى أهلك عدداً من أفراد حامية Tamarida مما أدى إلى سحبها في وقت قصير.

ورغم توافر الأسباب للبريطانيين لاحتلال عدن فإنّ الحاكم العام للهند تصرف ببطء. وفي كانون الثاني/ يناير من سنة ١٨٣٦ كانت السفينة (ديريا ولت) من سفن مدراس التي تبحر تحت العلم البريطاني، وتملكها بنت أخت أو بنت أخ فوارن كارناتيك، تحمل عدداً من الحجاج إلى مكة عندما جنحت بالقرب من عدن. فنهب العرب السفينة وعاملوا المسافرين وطاقم السفينة معاملة سيئة للغاية. فأبحر هينز بالسفينة (كوت) التي كانت بالمخا في ذلك الوقت إلى عدن التي وصل إليها في الرابع من كانون الثاني/ يناير سنة ١٨٣٦. وبعد مطالبته برد شحنة السفينة أو دفع تعويض قدره ١٢,٠٠٠ ريال ماريا تريزا قام أتباع السلطان بمحاولة للقبض عليه، إلا أنه تمكن من الهرب وعاد إلى بومباي بعد أن حصل على اتفاق مع سلطان لحج بأن عدن ستسلم إلى البريطانيين حينما يصل الجنود لاحتلالها.

وفي أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٣٨ عاد هينز مرة ثانية في السفينة (كوت) يرافقه الملازم هاميليتون إلى سواحل عدن، وكان معهم على السفينة

النقيب دينتون وثلاثون جندياً أوربياً، ومعهم جون وستيرن من فرقة المهندسين ببومباي، وقد وضع وستيرن استحكامات عدن في وقت لاحق. ورفض السلطان تسليم المدينة، ولما وصلت السفينتان (ماهي) و(آن كريشتون) في ١١ كانون الثاني/ يناير من العام التالي مشحونتين بالفحم إلى جزيرة صيرة نشبت مناوشة. فطلب هينز بعض التعزيزات، واستجابة لذلك وصلت في السادس عشر من كانون الثاني/ يناير سنة ١٨٣٩ السفينتان (فولاج) بقيادة القبطان سميث و(كروزر) بقيادة الملازم أ. و. س. دانيال تحملان ٣٠٠ جندي من الجنود الأوربيين و٤٠٠ جندي من الهنود تحت إمرة الرائد بيلي. وبعد ثلاثة أيام تولى خلالها هينز قيادة السفينة (فولاج) وسميث قيادة السفينة (كوت) تم الاستيلاء على عدن بعد هجوم خاطف.

أصبح هينز أول معتمد سياسي بريطاني في عدن، والملازم جينكينز مساعده الأول، ولكن في أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٤٠ استبدل بالملازم س. ج. كروتيندين أحد ضباط هينز من أيام السفينة (بالينوروس). وقد كانت الوظائف السياسية في عدن من نصيب ضباط أسطول الهند حتى سنة ١٨٥٥ حين حل محلهم ضباط من الجيش، وكان أول من عين مقيماً سياسياً من بين هؤلاء هو العميد و. ن. كوغلان. واستمر هينز وكروتيندين في منصبيهما حتى سنة ١٨٥٤؛ حين تم الاستبدال بهما غيرهما بعد أن اكتشفت لجنة تحقيق عجزاً كبيراً في الحسابات العامة.

وقد أدى الاحتلال البريطاني لعدن إلى ردود فعل عنيفة من القبائل المجاورة، ففي ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر سنة ١٨٣٩ قام السلطان العبدلي بمحاولة فاشلة لاستعادة عدن، كما حدث هجومان آخران فاشلان في ٢١ أيار/ مايو سنة ١٨٤٠. وفي تموز/ يوليو سنة ١٨٤١ في محاولة لطرد البريطانيين من المدينة. وبعد محاول سنة ١٨٤١ ارتدت القوات

المهاجمة إلى بئر أحمد وبنوا لهم حصناً هناك وبدؤوا يشنون منه الغارات من وقت إلى آخر.

وفي العام التالي وبعد مزيد من الهجمات قام صراع عنيف، وتم نتيجة ذلك تدمير قلعتين من قلاع العرب.

وأثناء ذلك وبالتحديد في يوم ٢٢ نيسان/ أبريل سنة ١٨٤٠ انسحب إبراهيم الذي كانت قواته المصرية في العام السابق تحاول مرة أخرى جاهدة أن تحتل منطقة الحجرية الخصبة، انسحب من الحديدة التي احتلتها في اليوم نفسه قوات حسين بن علي بن حيدر الذي سلمه إبراهيم باشا المدينة. وحسين هذا الذي كان في سنة ١٨٣٦ كاتباً لدى الحاكم المصري في المخا أصبح الآن شريفاً لأبي عريش، وكانت قواته في هذه المرة تحت قيادة أخيه أبي طالب. وكان كل من محمد بن عون شريف مكة وإمام صنعاء يطمع في السيطرة على تهامة، ولكن إبراهيم باشا رأى في حسين حاكماً أكثر مقدرة من الآخرين. وكان محمد علي قد دخل في مفاوضات مع الإمام ليعيد له أجزاء تهامة من اليمن التي أخذها شريف أبي عريش مقابل مبلغ كبير من الروبيات، إلا أن الإمام لم يقبل بهذا العرض، وذلك لضعف إمكاناته في ذلك الحين. كما فشل شيخ باجل علي حميدة في محاولته الحصول على حكم تهامة.

ومن المؤكد أن محمد علي كان شديد الرغبة في الاستيلاء على عدن، وقد أرسل، مرة على الأقل، بعثة إلى الإمام يطلب إليه طرد البريطانيين، ولكن الإمام وقف عند رأيه القائل باستحالة ذلك عليه. ونتيجة لذلك سلم إبراهيم باشا مقاليد الأمور إلى حسين على أن يدفع حسين ضريبة سنوية إلى القسطنطينية، وأرسل هينز سفينة إلى الحديدة خلال عملية التسليم والتسلم هذه لحماية المصالح البريطانية، وأظهر حسين الذي أصبح يسيطر على تهامة (وكان قد تم جلاء المصريين عن

زبيد والمخا) عداءً شديداً للبريطانيين في عدن. وكان هذا العداء ينصب بصفة خاصة على نائب القنصل البريطاني والرعايا البريطانيين في المخا. فقد أنزل حسين العلم البريطاني الذي كان يرفرف على المدينة، وأهان الملازم غرودون وقبطان سفينة الشركة المسماة (زنوبيا)، وطلب حسين بصلف تسليم عدن إليه مباشرة من حكومة بومباي. واحتج البريطانيون لدى القسطنطينية ولكن من غير جدوى. وثار متعصب من دنوه DANWA اسمه الفقيه سعيد واستولى على تعز في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨٤٠، وأعلن أنه صاحب رسالة مقدسة لطرد البريطانيين من عدن، ولكنه لقي حتفه بعد شهر على أيدي قوات الإمام.

وبعد أن سلم المصريون الحديدة لحسين بن علي أرسل الإمام ابن أخيه إلى عدن ليحتج على ذلك وليطلب إلى البريطانيين توقيع معاهدة صداقة وتجارة معه. وفي العام التالي أرسل بعثتين إلى عدن يطلب مساعدة الأسطول البريطاني في محاولاته لاستعادة تهامة من حسين. وفوض الإمام البعثة الثانية التي أرسلت في تموز/ يوليو لقبول أية شروط إذا أمكن هزيمة حسين. وبعد محاولته الثالثة الفاشلة لطلب العون في سنة ١٨٤٣ فقد الإمام كل أمل في مساعدة البريطانيين. وقد طلبت هذه البعثة الثالثة ضابطاً بريطانياً يقيم في صنعاء ويعمل مستشاراً للإمام: ولكن حتى هذه الفرصة النادرة رفضها هينز ولم يتجدد مثل هذا الطلب مرة ثانية لأكثر من قرن. ورفضت حكومة بومباي حتى السماح بذهاب كروتيندين إلى صنعاء ليقنع الإمام بأن يجعل حدوده شمال قعطبة، وذلك حتى يترك منطقة محايدة بين مدينة عدن وأراضي الإمام.

وقد رفع كل من الإمام والبريطانيين موضوع السيطرة على تهامة إلى القسطنطينية. ورد الأتراك بإرسال ممثلهم أشرف بك إلى زبيد في أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٤٢ ليتفاوض مع الأطراف المعنية، إلا أنه بعد وصوله

تحاشى مقابلة كروتينندين الذي أرسل للاجتماع به. وكانت نتيجة زيارة أشرف أن نصَّب حسين والياً (باشا) على تهامة مقابل جعل يدفعه إلى القسطنطينية، وفي سنة ١٨٤٧ عاد أشرف إلى تهامة لتقليد حسين المنصب رسمياً.

وفي الشهور الأولى من عام ١٨٤٨ استولى الإمام فجأة على باجل والحديدة وزبيد وبيت الفقيه والمخا وألقى القبض على حسين. ولكن سرعان ما تمكن حسين من الهرب واستعاد زبيد واستطاع الاستيلاء بطرق الخدعة على المخا بعد حصار استمر شهرين. وهكذا تمكن من أن يسترد حكم تهامة.

وفي العام نفسه كتب الإمام مرة أخرى يطلب المساعدة من هينز ولكنه لم يفز بطائل. وأثناء ذلك بدأت الحكومة التركية تتدخل تدخلاً مباشراً في شؤون جنوب الجزيرة العربية. ولم تعمّر سيطرة حسين طويلاً لأن الأتراك استعادوا تهامة حين استولى جيش توفيق باشا على الحديدة في أوائل سنة ١٨٤٩، وأجبر حسين على الانسحاب إلى (أبو عريش)؛ وأصبح توفيق باشا نفسه حاكماً على تهامة، وأبرمت معاهدة في الحديدة تم الاتفاق فيها على وضع حامية تركية في صنعاء وعلى أشياء أخرى. وعاد الإمام مع توفيق باشا من الحديدة إلى صنعاء، وبعد وقت قصير نشرت محتويات تلك المعاهدة.

وفي الليلة التي تلت إعلان المعاهدة قام رجال الإمام في المدينة بمذبحة في صفوف الجنود الأتراك (كانت سيطرة الإمام على اليمنيين في المناطق الساحلية اسمية) ولم يتمكن توفيق باشا الذي أصيب بجراح خطيرة من الهروب مع بعض عساكره إلا بعد دفع رشوة، ولكن الرحلة أرهقته تماماً فمات متأثراً بجراحه بعد وصوله إلى الحديدة بقليل.

VI

# النشاط الفرنسي
## ١٨٢٠ - ١٨٧٠

في سنة ١٧٩٩ عاد نابليون متسللاً من مصر إلى فرنسة ونصب نفسه قنصلاً أول، وحقق سلسلة من الانتصارات في إيطالية وبروسية والنمسة وإسبانية. ولمدة عشر سنوات امتدت حتى سنة ١٨٠٩ كانت حكومته في الشرق الأوسط تقوم بسلسلة من المؤامرات مع الفرس كان هدفها القيام بغزو الهند براً بمساعدة روسية.

وفي سنة ١٨١٠ استولت بريطانية على موريشاس فوضعت بذلك حداً مؤقتاً لقوة فرنسة في المحيط الهندي.

إن الصعوبات التي واجهت فرنسة من جراء حملاتها في البلاد الروسية والإيبيرية صرفت جهودها عن مصر والبحر الأحمر إلى درجة جعلت إنجلترة في ذلك الوقت سيدة الموقف دون منازع في تلك المنطقة.

وعلى أية حال فإنه رغم الاستطلاعات التي كانت تقوم بها من وقت إلى آخر منذ سنة ١٨٠٦، فإنَّ مطامع فرنسة لم تعد موجهة بصفة جدية نحو مصر مباشرة، وأصبحت سياستها تتجه نحو تقوية الإمبراطورية العثمانية للوقوف في وجه أي احتلال روسي متوقع لتركية. وبتقدم القرن أخذت فرنسة توجه اهتمامها إلى دعم مركزها في البحر الأبيض المتوسط

والمشاركة المبكرة في التسابق نحو إفريقية، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف احتلت الجزائر في سنة ١٨٣٠، وبدأت قبل ذلك بسنوات بالقيام برحلات إستطلاعية في البحر الأحمر؛ كان الغرض منها - بوجه خاص - إقامة علاقات تجارية دائمة مع الحبشة، وبدرجة أقل مع الجزيرة العربية، حيث كانت اليمن أول من جذب انتباهها. ففي سنة ١٨٢٣ أرسل شخص يدعى بريون إلى هناك ليجمع عينات من شجيرات البن بغية تحسين بذور البن التي كانت تزرع في جزيرة رينيون. وفي عامي ١٨٣٠ و١٨٣١ قام عالم نبات فرنسي اسمه بوفي برحلة زار فيها منطقة الحديدة، وبعد ست سنوات وصل إلى الحديدة الطبيب الفرنسي اميل بوتا الذي كان في خدمة محمد علي، وقام برحلة إلى تعز عن طريق بيت الفقيه وحيس. وكان بوتا - وهو عالم نبات معروف - مكلفاً في الظاهر من قبل متحف التاريخ الطبيعي بباريس للقيام باستكشاف اليمن، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى صنعاء، غير أنه على أية حال تمكن من تسلق جبل صبر بالقرب من تعز أثناء بحثه، وكان ذلك إنجازاً كبيراً بمقاييس ذلك الزمن. ومن هناك واصل رحلته إلى المخا. وكان هناك طبيب فرنسي آخر في خدمة محمد علي اسمه شيدوفاو، وحين أرسلت حملة بقيادة أحمد باشا القائد العام للقوات التركية في اليمن لاستعادة الأمن في عسير رافق هذا الطبيب الحملة بصفته كبيراً للجراحين. واستطاع موريس تاميسير الذي وصل إلى القاهرة في أواخر سنة ١٨٣٣ أن ينضم إلى الحملة بصفة سكرتير لشيدوفاو ليكتشف في وقت لاحق أن هناك اثنين آخرين من بني وطنه في خدمة جيش أحمد باشا وهما: بلانات وماري، وفي العام التالي زار فيكتور فوتنايز عدة موانئ على جانبي البحر الأحمر بما في ذلك المخا، حيث وجد سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية الفرنسية في مياه ذلك الميناء ونشر وصفاً مفصلاً لملاحظاته التي ترجمت فيما بعد إلى الإنجليزية ونشرت في لندن.

وفي سنة ١٨٣٥ زار المخا عدد من الفرنسيين الذين كانوا قد قاموا بعمليات استكشاف لمساحات واسعة في الحبشة في ذلك العام والعام الذي تلاه. وكان من بينهم موريس تاميسير وإدوارد كومبس والأخوان أ. ت وأرنولد دي أبّادي. وقد حثت التقارير التي وضعها كومبس وتاميسير الحكومة الفرنسية على إرسال حملة إلى سواحل البحر الأحمر والحبشة بين سنتي ١٨٣٩ - ١٨٤٣ بقيادة الملازم شارلمان ليفيبر، وقيام رحالة شاب سياسي ماكر اسمه شارلس روشيت دي هيريكورت في سنة ١٨٣٩ باستطلاعات في المخا. وكان روشيت هذا قد قضى فترة طويلة في إقليم شوا في الحبشة محاولاً كسب تأييد الملك لجانب فرنسة. غير أن جهوده اصطدمت بجهود رجل أكثر تجربة منه هو ج. لودفيك كرابف، وهو مبشر إنجليزي بالتجنس، وكان قد أمضى عدة سنوات في إفريقية والبحر الأحمر. وكان من نتائج رحلة كومبس وتاميسير أيضاً إرسال بعثة علمية إلى عدوة في سنة ١٨٤٠ بقيادة ضابطين فرنسيين من سلاح المهندسين. وفي سنة ١٨٤٠ غادر كومبس وتاميسير في رحلة ثانية بدعم من شركة فرنسية تجارية وبحماية سفينة تجارية مسلحة اسمها (انكوبار). وقد أدى الانزعاج الذي شعرت به لندن نتيجة تزايد النشاط الفرنسي في البحر الأحمر إلى إرسال توجيهات إلى هينز في عدن لشراء أرض يمكن التحكم منها في مجاري تاجورة. ونتيجة لذلك قام هينز بإرسال القبطان روبرت مورسبي على إمرة السفينة (سيستروسيس) ومعها السفينة (يوفريتيز) (قبطانها الملازم باركز) للدخول في مفاوضات مع الزعماء المحليين، فتم شراء ثلاث جزر صغيرة بعضها في خليج تاجورة، وبعضها بالقرب منه بثمن بخس، وذلك لإحباط تأثير حصول الفرنسيين على المجرى البحري في (عد) EDD إلى الشمال. ولكن النشاط الفرنسي استمر، وأدى وصول ا. ت دي ابادي إلى عدن في كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٨٤٠ بطريق غير مباشر إلى إرسال حملة بريطانية إلى إقليم شوا في سنة ١٨٤١ بغية

الحصول على بعض الأراضي وإبرام معاهدة، ولكن لم يتحقق ذلك. غير أن الفرنسيين حظوا في شوا بما لم يحظ به الإنجليز من الترحاب. وفي سنة ١٨٣٨ كانت الحراقة[1] الفرنسية (بريفويانت) تقوم برحلة في البحر الأحمر بقيادة القبطان وليان، وقد قامت أثناء ذلك بعدة زيارات إلى المخا في شتاء سنة ١٨٤١ واشتركت في بعثة بحرية فرنسية لسواحل البحر الأحمر.

وفي كانون الثاني/ يناير سنة ١٨٤٢ رست في مياه المخا وأنزلت الملازم البحري ج باساما للقيام ببعض الاستقصاءات. وبما أن باساما كان ذا اتجاه علمي فقد أعد نتيجة لزياراته حيس وزبيد تقريراً وافياً عن طوبوغرافية المنطقة ومناخها. وكان القنصل الفرنسي في جدة آنذاك، واسمه فولجانس فريسنيل، نشطاً في اهتماماته باليمن، وكان بدوره من هواة العلم، وقد تلقى معلومات كثيرة على طبيب فرنسي هو ت. ج. ف ارنود الذي كان في الجيش المصري والذي زار صنعاء في سنة ١٨٤٣. وبعد زيارة لمأرب أرسل أرنود إلى فريسنيل عدداً كبيراً من النقوش الحميرية التي عثر عليها في الخرائب. وبعد ذلك بفترة طويلة زار مأرب فرنسي يهودي متنكراً بزي حاخام وكان اسمه يوسف هاليفي. وقد بعثته الأكاديمية الفرنسية للنقوش، وكلفه الاتحاد الإسرائيلي العالمي للعمل في اليمن، وقام بزيارة صنعاء وعدة أماكن أخرى في البلاد عامي ١٨٦٩ و١٨٧٠. وأخيراً في أيار/ مايو سنة ١٨٨٧ وصل إلى الحديدة العالم ألبيرت ديفليرس وسافر إلى صنعاء عن طريق مناخة، وكان يقوم أثناء رحلته بجمع عينات نباتية. وتوغل في مناطق كوكبان وعمران النائية التي تقع شمال غرب صنعاء، ثم عاد إلى الساحل ماراً بتعز وزبيد وبيت الفقيه.

(١) الحراقة: سفينة حربية كانت بأشرعة بصف واحد من المدافع، أما الآن فيطلق هذا الاسم Corvette على سفينة حربية صغيرة سريعة تقوم بحراسة السفن التجارية. (المعرب).

وفي سنة ١٨٤٠ كانت فرنسة جددت علاقاتها مع زنجبار، واحتلت (نوسي بي) وهي جزيرة بالقرب من مدغشقر في العام التالي. وأصبحت السفن البخارية في ذلك الوقت منظراً مألوفاً في البحر الأحمر، وكان ربابنة السفن الفرنسية يرهقون هينز بطلبهم للفحم، وكانت فرنسة توجه جهودها لشراء محطات لتزويد السفن بالوقود وقد أحبطت محالاوتها لشراء رأس حافون Ras Hafun في سنة ١٨٤٧ وجزيرة كمران في سنة ١٨٥١ وذلك بتدخل أسطول الهند (وكان ذلك بعد أن قامت بمسح الساحل الصومالي وسُقَطْرة).

ولم يستطع الفرنسيون أن يثبتوا أقدامهم لوضع الأسس لتطوير الصومال الفرنسي والتحكم في مخرج تجارة الحبشة عن طريق ميناء جيبوتي، وذلك بشراء أوبك Obek، حتى سنة ١٨٦٢ حين وصلت حملة بقيادة المسيو شيفر. وكان إنشاء قناة السويس قد بدأ في ذلك الوقت مما جعل فرنسة تضمن لنفسها محطة جاهزة لتزويد السفن بالوقود في مدخل البحر الأحمر، وكان الفرنسيون منذ الأيام الأولى لبداية مشروع قناة السويس يشعرون بتزايد أهمية البحر الأحمر بالنسبة إليهم. وبما أن الحكومة البريطانية كانت تتوقع نتائج مقاصد فرنسة فقد أمرت في سنة ١٨٥٦ بإعادة احتلال جزيرة بريم وبناء منارة لإرشاد السفن بها.

وفي كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٨٥٦ وصلت سفينة أمريكية إلى عدن تحمل أخباراً مفادها أن سفينة فرنسية اسمها (نرجس) (ناركيس) كانت في طريقها من زنجبار لاحتلال يريم بأوامر محددة، وكان المقيم البريطاني العميد كوفان قد تلقى الأوامر من لندن باحتلال تلك الجزيرة. وفي ١١ كانون الثاني/ يناير سنة ١٨٥٧ حين كانت السفينة (ماهي) (الملازم سي - بي تيمبلار) على وشك مغادرة ميناء عدن مع حامية الاحتلال بقيادة الملازم ج. م. قريق والملازم بيلامور وصلت السفينة

الفرنسية إلى ميناء عدن. فرفع العلم الإنجليزي على جزيرة بريم في اليوم التالي واستقرت الحامية بها. وبعد أن أحبطت محاولتهم هذه وجه الفرنسيون جهودهم إلى أماكن أخرى في البحر الأحمر، إلا أنه في سنة ١٨٦٥ استطاع التاجر الفرنسي السيد روبيو شراء شيخ سعيد من أحد الزعماء المحليين وأقام مركزاً تجارياً هناك. وسرعان ما تعطل هذا المركز وترك نهائياً في سنة ١٨٧٠ وعاد الامتياز إلى الحكومة الفرنسية التي حصلت على إذن من تركية في عام ١٨٦٩ لإقامة محطة للوقود هناك. إلا أنه لم يتم العمل بمقتضى ذلك الامتياز نظراً للتدخل الإنجليزي، ولم تقم قائمة للمشروع الفرنسي في إنشاء محطتهم تلك.

وهكذا - بينما ظل البريطانيون بعدن في حالة تحفز استمرت مدة أربعين عاماً، وذلك بسبب مخططات الفرنسيين في البحر الأحمر، قبل فتح قناة السويس وبعده - نجد أن تيقظ سلطات عدن ومقدرتها على اتخاذ الإجراءات المضادة قد حصرت الوجود الفرنسي بالبحر الأحمر في الساحل الصومالي على مسافة بعيدة من عدن واليمن.



# الفصل الثالث

# بداية مشكلة الحدود

I

# القوّات التركية في اليمن

خلال السنوات الأولى للاحتلال البريطاني لعدن واجهت السلطات عدداً من المتاعب الناتجة عن الاضطرابات في الأراضي الداخلية، وأصبح من الضروري اتخاذ إجراءات دفاعية مشددة. وقد شن السيد إسماعيل - وهو زعيم ديني محلي - هجوماً على المستعمرة، وتم صد ذلك الهجوم في ١٧ آب/ أغسطس سنة ١٨٤٦، ولكنه أعاد الكرة بعد تسعة أيام فهزم هزيمة شنعاء بمساعدة الباخرة (سيسوستريس) بقيادة الملازم هاميلتون وبعض القوارب المسلحة التي كانت راسية بالقرب من خور مكسر.

وفي سنة ١٨٥٠ هوجم طاقم زورق تابع للسفينة (أوكلاند) بينما كان أفراده ينزلون على الشاطئ الشمالي لخليج عدن، وقد قتل أحدهم وجرح آخرون وارتكب عددٌ من الفظائع خلال الخمس عشرة سنة التي تلت.

وفي شباط/ فبراير سنة ١٨٥١ قتل ضابط التموين النقيب مِيلن وجرح آخرون من بينهم الملازم ماكفيرسون من الفرقة ٧٨ الإسكوتلاندية، وذلك حين هاجمهم جماعة من سادة الوهط وهم في رحلة قنص.

كما هوجم بعد بضعة أيام الملازم ديليسر، وهو من الفرقة نفسها، ولكنه تمكن من قتل مهاجمه بسكين.

وفي تموز/ يوليو تحطمت السفينة (سونز اوف كوميرس) بالقرب من عدن، وقتل بعض أفراد قبيلة العبدلي وكيل ربانها وأحد بحارتها. وقبض

على المحرض على تلك الفعلة، وأنفذ فيه حكم الإعدام بأمر السلطان العبدلي الذي استمر باقياً لبعض الوقت على صلات ودية بسلطات عدن.

وفي نهاية سنة ١٨٥٧ أوقف ما كان يدفعه البريطانيون للسلطان العبدلي، وذلك لأن رجاله يقومون بنهب البضائع القادمة من بير أحمد إلى عدن. فأوقف السلطان بالمقابل الإمدادات إلى عدن واحتل الشيخ عثمان. وقامت حملة تأديبية بقيادة العميد كوغلان، ومعها فرقة من السفينة (الفينستون). وبعد أن احتلوا الشيخ عثمان قاموا بنسف القلعة والقرية.

وفي نهاية سنة ١٨٦٥ خرج المقدم (وولكومب) على رأس قوة قوامها ٥٠٠ جندي يصحبه المقيم البريطاني السير ويليام (ميريوذر) وأدخل السلطان الفضلي في الطاعة بعد أن قامت قبيلته بنهب القوافل الواردة إلى عدن.

وفي أيار/ مايو سنة ١٨٦٧ تعهد السلطان بوقف أية إغارات أخرى وأن يحافظ على الأمن في أراضيه. وساد خلال السنوات التسع التي تلت سلام نسبي، فقد توصل السلطان العبدلي في نهاية الأمر إلى تفاهم مع المقيم البريطاني.

وبعد هزيمة حملة توفيق باشا إلى صنعاء في سنة ١٨٤٩ تمكن الأتراك من الاحتفاظ بموقعهم على ساحل اليمن. ولكن الأراضي الداخلية تردت الحالة فيها إلى الفوضى. فقد كان تسعة من الأئمة يصطرعون على حكم مرتفعات اليمن خلال السنوات الست التالية، وكان فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ دافعاً للترك على التحرك، فأرسلوا حملة عسكرية إلى اليمن بقيادة رؤوف باشا، فمرض أثناء ذلك، فأرسلت حملة جديدة بقيادة مختار باشا الذي استعاد احتلال صنعاء، وتم وضع حاميات تركية في معظم المدن اليمانية الأخرى. وبعد أن عزز الأتراك مركزهم أخذوا في مناوشة البريطانيين في عدن، وبعد أن ساعدوا القبائل في جنوب اليمن

وحرضوهم على أخذ لحج دخلوا تدريجياً في أراضي العبدلي، والحوشبي، والأميري Amiri إلى أن احتلوا الضالع في النهاية.

وقد دفعت هذه المحاولة لتطويق البريطانيين بالمقيم البريطاني العقيد ج. و. شنايدر إلى التوجه إلى لحج على رأس قوة صغيرة، فانسحب الأتراك على الرغم من ظهور سفينتين حربيتين تركيتين عليهما ١٢٠٠ جندي في ميناء عدن. وقد انسحبت هاتان الباخرتان بسرعة حين وصلت السفينة البريطانية (دولفرين).

وبعد أن هزم الرسوليون الأئمة الزيود الأوائل بقي هؤلاء مغمورين حتى احتلال الأتراك لليمن بعد حوالي ٣٠٠ عام حين عادوا للظهور بصفتهم قادة روحيين للبلد. وفي حوالي سنة ١٨٦٨ ولد الإمام يحيى بن محمد الذي كان عهده أطول عهود الإمامة، وكان جده[(١)] يحيى حميد الدين قد قاد ثورة ضد الحكام الأتراك وقهرهم في سنة ١٨٩١ وحاصر صنعاء لعدة أسابيع، ولم يتم للأتراك تشتيت قواته في سنة ١٨٩٢ إلا بعد إراقة كثير من الدماء، وكان ذلك على يدي القائد التركي أحمد فيضي باشا الذي نزل إلى الحديدة. وبعد أن أحرق ٣٠٠ قرية وهو يشق طريقه عبر الجبال مقاتلاً وصل لنجدة العاصمة.

وحل حسين حلمي باشا محل أحمد فيضي[(٢)] في سنة ١٨٩٧. ومع أنه كان تقدمي النظرة إلا أنه استبدل به عبد الله باشا في عام ١٩٠٠. وبعد وفاة محمد المنصور في سنة ١٩٠٤ خلفه ابنه يحيى بن محمد.

وقاد الإمام يحيى أتباعه في زحف سريع من صعدة شمالاً إلى صنعاء

---

(١) كذا في الأصل الإنجليزي، والثابت أن من قام بالثورة هو المنصور محمد أبو الإمام يحيى. (المعرب).

(٢) جاء في الأصل الإنجليزي (يحيى حميد الدين) ولعله زلة قلم من المؤلف. (المعرب).

في الجنوب. فاحتلها وأخذ في بسط حكمه على المرتفعات. وصدرت الأوامر إلى أحمد فيضي باشا الذي كان في بغداد آنذاك بالتوجه فوراً إلى ينبع، ومن ثم بالإبحار إلى الحديدة ليقود قوة أخرى كان قد تم تجميعها هناك. فشق طريقه محارباً عبر الجبال، واستعاد صنعاء في أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٠٥، وأقام بعد ذلك حاميات في العاصمة وفي بعض المدن الرئيسة الأخرى.

وفي سنة ١٩٠٨ تم تعيين حسن تحسين باشا حاكماً عاماً، وقدم عدة تنازلات للإمام يحيى منها إدارة القضاء الشرعي ونظام الزكاة. ومنذ ذلك الحين تغيرت العلاقات بين الإمام يحيى والأتراك تغيراً جذرياً. ولم يلق محمد علي باشا الذي خلف تحسين باشا في سنة ١٩١٠ الدرجة نفسها من التوفيق. وزحف الإمام يحيى مرة ثانية نحو صنعاء على رأس قوة قوامها ١٥٠,٠٠٠ رجل وحاصرها مدة ثلاثة أشهر، حتى أتت حملة تركية أخرى بقيادة عزت باشا لإنقاذها. وتمكن عزت باشا من التوصل إلى التفاهم مع الإمام يحيى ومع الإيطاليين الذين كانوا في حالة حرب مع تركية. وكانوا يقصفون الموانئ اليمنية بالمدافع وتم التوصل إلى حل وسط فيما يتعلق بمسألة إدارة البلاد.

وفي النهاية صدر بيان في إستنبول في سنة ١٩١٣ بإقامة اتفاق بين الأتراك وبين الإمام[١] الذي تسلم عوناً مجزئاً وعاد إلى شهارة في الشمال؛ حيث سمح له بتعيين بعض عمال (محافظين) على الأقاليم وبإدارة القضاء الشرعي. وهكذا انتهت الأعوام الدامية. ومنذ ذلك الوقت لم يبرز الإمام يحيى عاملاً فعالاً في شؤون جنوب غرب الجزيرة العربية حتى سنة ١٩١٩.

---

(١) كان الإمام يحيى قد وقع مع الأتراك عام ١٩١١ اتفاق (دعان) وبموجبه توصل الطرفان إلى ما أشار إليه المؤلف. (المعرب).

II

# لجنة الحدود الإنجليزية - التركية
# ١٩٠٢ - ١٩٠٤

في تاريخ مبكر يرجع إلى سنة ١٨٩٢ قام الجنرال جوب المقيم البريطاني بوضع ترتيبات خاصة لمسح الأراضي القبلية بين اليمن وعدن، وأمضى النقيب وهب (واوهوب فيما بعد) والنقيب دومفيل بعض الوقت في مسح تلك المناطق. وفي النهاية ترك هذا المشروع بسبب عداء أهل المنطقة له، ولم يتم القيام بعمل يذكر في هذا الشأن حتى سنة ١٩٠٢.

وفي سنة ١٩٠٠ قام محمد ناصر مقبل من قبيلة جهر بإنشاء حصن بالكفوف في أرض الحواشب على بعد ميلين شمال غرب الدارجة بغية تغيير طريق سير القوافل حتى تمر بأراضيه، ويستطيع بذلك أن يزيد من دخله ويرفع من شأنه. وفي تموز/يوليو ذهب نفر قليل من العساكر بقيادة الرائد راو من فرقة رويال وست كنت لمساعدة الحوشبي على طرد الجهر من الحصن، بينما أبلغ مقبل الأتراك في تعز بأن هدف هذه الحملة البريطانية هو الاستيلاء على الأراضي التي تحت سيطرة الترك، وكانت استجابة الأتراك سريعة فقد أرسلوا ٤٠٠ رجل لاحتلال الحصن بالكفوف. وهزمت قوات الرائد راو الجهر من المرتفعات بالقرب من الدريجة، ثم هاجمت الحصن قبل غروب الشمس، ولم يثبت الأتراك لهذا الهجوم فغادروا الحصن ليلاً.

كان وقع ذلك كبيراً على الحكومة العثمانية التي اقترحت - بعد مراجعة سياستها في ذلك الحين - تحديد الحدود بين اليمن وعدن. ونتيجة لذلك عقدت لجنة الحدود التركية - الإنجليزية، التي تكونت في تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٠١ أول اجتماع لها في بداية العام التالي وظلت اللجنة في حيز الوجود حتى ٢٣ أيار/مايو سنة ١٩٠٤.

وفي كانون الثاني/يناير سنة ١٩٠٢ غادر عضوا لجنة الحدود من الجانب البريطاني وهما العقيد وهب والمستر فيتز موريس إلى الضالع بصحبتهما فرقتان من المشاة الهنود، وذلك للاجتماع بأعضاء اللجنة من الجانب التركي الذين وصلوا بعد ذلك بفترة قصيرة. إلا أن الاضطرابات المحلية في بال حاف Bal Haf اضطرت العقيد وهب إلى إرسال حملة من الضالع إلى تلك المنطقة لتدمير أحد الحصون. وظل الأتراك يعرقلون عمل اللجنة خلال عامها الأول. وهكذا لم يحرز أي تقدم بحلول عام ١٩٠٣، واستمر الأتراك في احتلال جليلة. وفي آذار/مارس سنة ١٩٠٣ تجمعت قوة بريطانية قوامها ٢٢٠٠ رجل في ضالع. وفي الحال أرسلت فرقة مدفعية جبلية تعزيزاً إلى هناك، كما وقفت سفينتان من سفن أسطول البحر الأبيض المتوسط على أهبة الاستعداد في ميناء عدن. وقامت فرق المشاة البريطانية والهندية باحتلال دار عجان، غير أنه في نهاية آذار/مارس انسحب الأتراك من جليلة وعادوا إلى قعطبة، وتبعهم الممثلان البريطانيان إلى صنعاء حيث مكثا هنالك إلى آخر سنة ١٩٠٣.

وفي بداية شباط/فبراير سنة ١٩٠٤ تمكنت لجنة الحدود من دخول منطقة صبيحة، وخلال شهر نيسان/أبريل عادت إلى عدن كل القوات البريطانية باستثناء جناح من فرقة مشاة راسل التاسعة التي بقيت لدعم اللجنة، كما تركت حامية قوية في الضالع تحت إمرة الرائد ميريويذر الذي تم تعيينه مؤخراً ضابطاً سياسياً.

وفي ٢٣ أيار/مايو عادت اللجنة أخيراً إلى عدن ومكثت في بريم لإكمال أعمالها.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر خلف المقدم هـ. ف. جاكوب الرائد ميريويذر في الضالع وبقي في ذلك المركز حتى الجلاء عن الأراضي الداخلية في أيلول/سبتمبر سنة ١٩٠٧، ووضعت لجنة الحدود خطاً فاصلاً بين باب المندب ووادي بناء طوله ١٥٠ ميلاً. وقد التزم الأتراك بمراعاة ذلك الحد بدقة حتى بدأ نفوذهم في اليمن يضمحل، وأخذ الإمام يتحرك عبر ذلك الحد في سنة ١٩٠٧. وفي النهاية أدرجت المداولات حول مسألة الحدود في اتفاقية تم توقيعها في نيسان/أبريل سنة ١٩٠٩ كما أدخلت في المعاهدة الأنجلو - تركية لسنة ١٩١٤.



III

# الحرب العالمية الأولى

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ بفترة قصيرة كان بوسع الجيش التركي السابع في اليمن والذي كان تحت قيادة الضابط الشركسي علي سعيد باشا، أن يحشد ١٤,٠٠٠ جندي في خمس وثلاثين كتيبة، مارس معظمهم الخدمة العسكرية في سورية. وكانت الفرقة التاسعة والثلاثون ترابط في صنعاء، بينما كانت الفرقة الأربعون ترابط في الحديدة. وكانت رئاسة الفرقتين ٢١ و٢٢ (مستقلة) ويقود الفرقة الثانية والعشرين غالب باشا، في اللحية Laheia ومكة على هذا الترتيب، وحين هجم الأتراك على لحج في سنة ١٩١٥ كان قوام قوتهم ٢٠٠٠ جندي من الترك و٤٠٠٠ جندي من اليمنيين، كما أنزلوا عشرة مدافع إلى الميدان. وكان في الفرقة الأخيرة (المشتركة) ٣٠٠٠ جندي من المجندين العرب بعضهم من الصبيحة وبعضهم من يافع وكل حواشب الحجرية. وفي مقابل ذلك كانت تقف حامية عدن الصغيرة التي تتكون من فرقة مشاة بريطانية وفرقة مشاة هندية وفرقة من سلاح الفرسان الهندي يبلغ عدد أفرادها حوالي المئة. ولذلك فإنه لم يكن من المستغرب أن يبدأ الأتراك مباشرة في تطويق عدن ويزحفوا إلى أقصى الجنوب الغربي لمنطقة النفوذ البريطاني، ولكن العميد هـ. ف. كوكس الذي يرأس اللواء ٢٩ من سلاح المشاة الهنود وتحميه مدفعية البحرية الملكية نزل في الشيخ سعيد في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩١٤، وتمكن من دحر قوة تركية

كبيرة كانت تهدم بريم. وكان لواؤه جزءاً من قوة كبيرة. ففي ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر غادرت الهند قافلة كبيرة من السفن تحمل خمسة ألوية من المشاة ولواء سلاح الفرسان الإمبراطوري في طريقها إلى مصر وفرنسة، وكانت تحرسها السفينة (ديوك أوف أدنبره) بقيادة القبطان هنري بلاكيت، والسفينة (سويفتشور)، والسفينة (نورث بروك)، (وهي سفينة مساعدة من سفن البحرية الملكية الهندية)، وطلب الإذن لاستخدام بعض هذه القوات لزحزحة الأتراك من الشيخ سعيد، وأُعطي ذلك الإذن شريطة ألا تتأخر القافلة أكثر من ٢٤ ساعة. وفي ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر كانت القافلة تقترب من عدن، وأثناء ذلك أرسلت السفينة (ديوك أوف أدنبره) على عجل بصحبتها ناقلات ثلاث منها السفينة (سيتي أوف مانشستر). وفي فجر التاسع من تشرين الثاني/ نوفمبر قامت بقصف حصن التربة. وبما أنه لم يحدث رد فعل من الساحل فإن بلاكيت قاد الناقلات وأنزل الجنود، فتصدت له القوات المدافعة فجأة ومن دون سابق إنذار. وفي ظهر ذلك اليوم تم إنزال نصف الجنود البريطانيين على الشاطئ وزحفوا نحو ما تبقى من الحصن لإجلاء الأتراك عنه. ولما بدأت الهجمة الأخيرة على الحصن انسحب الأتراك، وفي المساء كانت التلال المحيطة به كلها قد سقطت في يد البريطانيين.

وفي صباح اليوم التالي أنزل بلاكيت (فرقة الهدم) التي قامت بدك الحصن. وفي السادسة مساء عادت القوات جميعها إلى السفن حيث واصلت من ثم رحلتها في البحر الأحمر، وترك العميد كوكس وراءه في عدن فرقة (الرواد السيخ) (السيخ الاستطلاعية رقم ٢٣) ٢٣ Rd Sikh Pioneers الذين استخدموا فيها بعد ليحلوا محل الحامية الصغيرة في بريم.

وفي مسقط على الساحل الآخر للجزيرة العربية كانت فرقة المشاة ٩٥ وفرقة بومباي ١٠٢ المكونة من رماة القنابل اليدوية تؤديان بنجاح

واجبهما في الحماية في الشهور الأولى من سنة ١٩١٥، إلا أنه تقرر تعزيزهما بنصف قوات فرقة ١٢٦ بلوشستان. وأرسل نصف هذه القوة إلى عدن حين كان لواء المشاة الهندي ٣٠ الذي تنتمي إليه في طريقه إلى مصر، وذلك لتعزيز القوات البريطانية في بلاد ما بين النهرين.

وفي بداية حزيران/يونيو سنة ١٩١٥ ضعفت الحامية في عدن نتيجة لإرسال بعض قواتها إلى كمران وفرسان وغيرهما من جزر البحر الأحمر، ولأنه قد بدا أن زحفاً تركياً على عدن كان وشيك الوقوع فقد تشكلت في المدينة من الموارد المحلية المحدودة وحدة صغيرة متحركة عرفت بـ (طابور عدن المتحرك)، وأثناء ذلك قام الأتراك باحتلال الشيخ سعيد مرة أخرى، وفي ١٣ حزيران/يونيو سنة ١٩١٥ قصفوا بريم. وقد استطاعت الفرقة ٢٣ من الرواد السيخ الثبات في وجه الهجوم التركي الذي حدث في اليوم التالي على بريم، كما أنها ألحقت بالمهاجمين بعض الخسائر. (ولما عزم رؤوف بك قائد اللواء الذي كان يرابط بالقرب من الشيخ سعيد على الهجوم على بريم حل Hafat Bey مكانه وأرسل إلى تعز مهاناً). ومع ذلك وبينما نجح البريطانيون في برين رأى العميد د. ل. ب. شو أنه من الضروري إرسال فرقة فرسان عدن إلى لحج لمساعدة السلطان العبدلي الذي قضى الأتراك على قواته قضاء كاد يكون مبرماً، ووصلت هذه الفرقة إلى نوبة دكيم ولكنها لقيت ما لقيت قوات السلطان.

وفي ٣ تموز/يوليو خرج «طابور عدن المتحرك» الذي نقص عدد أفراده إلى ١٠٠٠ رجل لدعم تلك الفرقة، ولكن تمكنت أربع كتائب تركية تقدمت من ماوية والحجرية بقيادة رؤوف بك (وهو الآن على رأس اللواء ١١٥) وحسني بك، تمكنت من التغلب على قوات السلطان العبدلي في تنان Tanan ونوبة دكيم، واستولت على لحج في ٥ تموز/يوليو. وقد

بقيت كتيبة واحدة من اللواء التركي ١١٥بنوبة وأخرى بزايدة. وانهزمت إلى بير ناصر القوات التي كانت تحت القيادة البريطانية والتي كانت تعاني من حركات التمرد والهروب بين أفرادها. ووصلت بقايا القوات البريطانية المنهوكة إلى الشيخ عثمان في الساعة التاسعة من صباح ٧ تموز/يوليو، وبعد أن أعيد تجهيزهم في خور مكسر تمكنوا بعد أسبوعين من طرد الأتراك من الشيخ عثمان التي كانوا قد احتلوها في ذلك الوقت. أما السلطان العبدلي فقد أصابته القوات البريطانية خطأ ونقل إلى عدن حيث مات أثناء إجراء عملية جراحية له. وبلغ اليأس والضيق بعدن حداً جعل السلطات هناك تحاول الاستعانة بـ ٨٠٠ جندي فرنسي كانوا في طريقهم من مدغشقر على سفينة تابعة لـ (مسيجاريس ماريتايم) كانت قد وصلت إلى ميناء عدن، ولكنها - أي سلطات عدن - لم تنجح في هذا المسعى.

ويُعزى النجاح في الشيخ عثمان إلى وصول فرقة المشاة ١٠٨ من الهند إلى عدن في الثامن من تموز/يوليو، ووصول قوة لواء الحدود ٢٨ بقيادة العميد السير جورج ينغهسباند بعد عشرة أيام من ذلك.

وبعد انتصار فرقة الرواد السيخ في بريم في ١٤/٦/ ١٩١٥ اقترح إرسال ينغهسباند على لواء من مصر لطرد الأتراك مرة أخرى من الشيخ سعيد. ولكن هذه الفكرة لم ترق للورد كيتشنر وزير الحربية البريطاني، فقد بعث بإشارة لاسلكية إلى العميد ماكسويل تقول: «هل نستطيع في مدة أسبوع أن نستولي على المعاقل والمدافع التركية التي تقصف بريم؟ وهل نستطيع سحب قواتنا بعد إنزالها؟ إنا لا نريد أن نستنزف قوى مصر[1]... وهل يمكن الحصول على نتائج مجزئة بالوسائل البحرية فقط؟ إنا ننتظر رأي السلطات البحرية».

---

(١) القوات البريطانية التي كانت في مصر.

وعلى أية حال فإن ينغهسباند حين وصل بعد شهر قرر في الحال ألا يحاول الاستيلاء على الشيخ سعيد أو لحج، ولكنه آثر أن يثبت مركزه في شبه جزيرة عدن ويحصن الشيخ عثمان، وتبعاً لذلك فإنه – حتى نهاية الحرب – انحصرت العمليات العسكرية ضد الأتراك في قتال متقطع ذي طابع دفاعي.

وفي آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر سنة ١٩١٥ تم أخذ الوهط وفيوش من الأتراك الذين انهزموا إلى لحج.

وفي العاشر من أيلول/سبتمبر غادر ينغهسباند عدن ومعه اللواء ٢٨ وخلفه العميد برايس الذي أعفي من منصبه في تموز/يوليو سنة ١٩١٦ وحَلَّ محله في القيادة اللواء سير جيمس ستيورات.

وفي كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٦ بدأت القوات في مهاجمة حتوم Hatum ولكنها لم تستطع الاستيلاء على تلك القرية إلا في السابع من كانون الأول/ديسمبر حينما تم احتلال جابر أيضاً.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩١٥ عقد الإمام صلحاً مع الأدارسة الذين كانوا خارج أراضيه شمالاً على ساحل البحر الأحمر، وكثيراً ما كانوا يشنون الغارات على الحدود، وتسلم المقدم جيكوب الذي كان يسعى باستمرار في استمالة الإمام إلى جانب بريطانية، رسالة من الإمام تشير إلى أنه بينما يحتفظ بولائه للأتراك يعد بحسن نواياه تجاه بريطانية العظمى. وقام محمد يحيى شرف الدين زعيم الأسرة المنافسة للإمام بتأسيس رابطة العلماء والأشراف بغية طرد الأتراك من اليمن. وفي السابع والعشرين من نيسان/أبريل سنة ١٩١٦ كتبت الرابطة إلى حكومة عدن تعرض مساعدتها وتعاونها ضد الأتراك مقابل المال والسلاح، ولكن العرض قوبل بالرفض.

وخلال حملة GOC فكر العميد برايس أن إظهار القوة قد يؤثر على رجال القبائل المحلية الذين كان الأتراك يحاولون استمالتهم إلى جانبهم.

وقد شعر أن مثل هذا العمل يمكن تحقيقه بطريقة اقتصادية باستخدام الطائرات، وأن مثل هذا العمل سيكون أيضاً ذا أثر فعال في إزالة الخطر المحدق بعدن، وهكذا قام في شباط/ فبراير سنة ١٩١٦ يحث رؤساءه في مصر على إرسال ما يمكنهم الاستغناء عنه من الطائرات.

وفي ٢٩ آذار/ مارس كانت السفينة رافن[١] II تبحر في البحر الأحمر بعد أن حمّلت بست طائرات بحرية إحداها من طراز (شورت) والخمس الأخرى من طراز سوبويد شنايدر كانت تحملها السفينة بن - ماي - شرى التي كانت تجري لها عمرة في بور سعيد. واتجهت السفينة رافن II إلى ناحية بريم حيث ركبت الطائرات البحرية ثم اتجهت إلى ميناء عدن تحت جنح الظلام في ٣٠ آذار/ مارس.

وتم عقد اجتماع دعا إليه قائد قوات عدن GOC حضره القائد العام لأسطول جزر الهند الشرقية وقائد السرب سي. هـ ك إدموندز، من سلاح الطيران البحري الملكي (وكان هذا الأخير قائداً للطائرات الست)، وتقرر القيام برحلات جوية استطلاعية. في نيسان/ أبريل ألقيت قنابل من ذات العشرين رطلاً في الأيام الثلاثة التالية على المعسكرات التركية بالقرب من الرهط وفيوش وصُبَر Subar ونفذت هذه القرارات حسب الخطة. وبالإضافة إلى ذلك ألقيت المنشورات على المناطق التي كانت يتجمع فيها رجال القبائل المؤيدة للقوات التركية. ولكن لسوء الحظ كانت السلطات البحرية تصر على عودة السفينة (رافن II فأبحرت إلى بور سعيد بعد أن مكثت ثلاثة أيام فقط في عدن».

وبعد شهرين من ذلك التاريخ عادت الطائرات البحرية على ظهر ناقلة الطائرات بن - ماي - شرى. وبينما كانت هذه السفينة تقترب من عدن في

(١) وكانت في الماضي سفينة شحن ألمانية تحمل اسم رابينفيلس.
(جملة توضيحية أقحمها المؤلف فأخرجناها إلى الهامش).

فجر السابع من حزيران/يونيو أرسلت الطائرات في مهمة استطلاعية إلى منطقة لحج لتكتشف عدة معسكرات تركية شمال لحج ومستودعاً كبيراً للتموين في المعسكر الواقع بالقرب من صُبَر. كما اكتشفت معسكرات أخرى ومواقع للمدفعية. وخلال الفترة من ٧ - ١٢ حزيران/يونيو كانت الطائرات تقوم بالانقضاض ملقية قنابلها من ارتفاع منخفض على المراكز التركية في الصباح والمساء من كل يوم. وقد ألقيت في هذه العمليات قنابل أكبر حجماً من ذي قبل، كما تم بنجاح إلقاء قنبلة بترولية بدائية على المستودع بالقرب من صُبر وذلك قبيل مغادرة السفينة بن - ماي - شري عدن في عصر ١٢ حزيران/يونيو. وفي فجر ١٣ حزيران/يونيو كانت هذه السفينة بالقرب من بريم، ومن هناك قامت الطائرات البحرية بقذف معسكرات العدو بجبل مَلُو Malu وجبل عقربي Akrabi كما استخدمت في اليوم نفسه طائرة من طراز Sopwith البحرية في استكشاف لمدفعية السفينة بن - ماي - شري التي قامت بقذف معسكرين.

لم يكن يعرف أن الألمان اشتركوا في القتال بين الأتراك في اليمن والبريطانيين في عدن خلال حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ إلا أنه في سنة ١٩١٤ نزل إلى ميناء الحديدة حوالي ٤٠ رجلاً من الألمان عبروا إليها من مصوع، بيد أن اشتراكهم في القتال إلى جانب الأتراك في ذلك الوقت لم يكن متوقعاً فغادروا الميناء.

وفي ربيع سنة ١٩١٦ وصلت من دمشق إلى المدينة قوة مختارة من الأتراك والسوريين قوامها ٣٥٠٠ جندي، وكانت مجهزة ببطارية مدفعية وسريتين من حملة المدافع الرشاشة من الفرقة التاسعة والعشرين في القسطنطينية، وكانت جميعها تحت قيادة خيري بك، وكان وصول هذه القوات بالسكة الحديدية في طريقها إلى اليمن لتعزيز الفرقتين اللتين كانتا تحت قيادة علي سعيد باشا. وقد قدمت هذه القوة بأربعة وعشرين ملازماً

من الأفواج ١٢٨ و١٢٩ و١٣٠ من الفرقة الثانية والعشرين.

وفي حزيران/ يونيو سنة ١٩١٦ وصلت إلى ينبع من دمشق بعثة ألمانية مكونة من ثلاثة ضباط واثنين من ضباط الصف وجنديين بقيادة الرائد عثمان فون ستويتسجن، وكان الهدف أن تنضم هذه البعثة إلى قوات خيري بك في قنفذة وتسير معها لتعزيز وحدات جيش اليمن السابع. إلا أن قيام الثورة العربية تسبب في فشل هذه الخطة ووقعت هذه البعثة في أسر الأمير عبد الله، وتم احتواء القوات التركية في حامية المدينة، وعاد فون ستويتسجن من ينبع إلى دمشق. ومن الجائز أن عدم وصول هذه التعزيزات إلى اليمن كان سبباً في إنقاذ الإدريسي من الهلاك، إلى جانب أنها منعت إعطاء أي سند مادي للملة المجنون[1] (Mad Mullah) وهو زعيم ديني صومالي قاد ثورة ضد الحكم البريطاني، وكانت له أطماع في إريترية.

وإذا نظرنا إلى الماضي فإننا ندرك أنه لم يكن للثورة العربية دافع آخر يسوغ قيامها، فإنها منعت الأتراك والألمان من احتلال عدن، وفي هذا وحده مكافأة للعمليات التي كانت تساندها بريطانية في الحجاز.

أما مغامرات الجماعة الأخرى من الألمان التي جاءت إلى اليمن بقيادة الكابتن ليفتينانت فون ميوكه فهي أكثر صلة بتاريخ الحرب العالمية الأولى منها بدخول الأجانب في ذلك القطر. كان الطراد البحري إيمدين أحد ثلاثة طرادات ألمانية سريعة خفيفة كانت مرابطة بميناء تسينج - تاو في الصين، وكانت هذه السفن تقوم منفردة بعمليات حربية في مياه الشرق الأقصى. واستطاعت أن تغرق عدداً من السفن البريطانية، وذلك بالإضافة إلى قذف مدراس في ٢٢ أيلول/ سبتمبر سنة ١٩١٤. وأغرق في النهاية

(١) تسمية استعمارية للزعيم الصومالي الوطني الكبير محمد بن عبد الله حسن نور (١٨٥٦ - ١٩٢١) الذي قاد كفاح الصومال ضد الاستعمار البريطاني نحو عشرين عاماً. (المعرب).

الطراد إيمدين بالقرب من جزر كيلينج بواسطة السفينة سيدني، وذلك حين كان بعض أفراد هذا الطراد الألمان يقومون بنسف محطة تلغراف بريطانية فوق جزيرة دايريكشن. وكانت هذه الجماعة الألمانية مكونة من ثلاثة ضباط وستة صف ضباط وأربعين ملاحاً (Mateloes) بقيادة فون ميوكه الذي كان ضابطاً واسع الحيلة، وقد ضيق الخناق في النهاية على هذه الجماعة، ولكنها تمكنت من تسليح مركب شراعي صغير حمولته ٩٧ طناً واسمه (عائشة) وجدوه مهجوراً هنالك. وأبحروا في هذا المركب إلى بادانج حيث تركوه هناك وأخذوا سفينة ألمانية اسمها شويسنج وحمولتها ١٧٠٠ طن وغيروا اسمها إلى شينير متظاهرين بأنها سفينة إيطالية من جَنوة. وقرر فون ميوكه أن يتجه إلى الحديدة. وبعد أن وصلت السفينة شويسنج إلى باب المندب في ٧ كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٥ ألقت مراسيها بالحديدة دون علم دوريات البحر الأحمر التي تحت إشراف الفريق الأول بحري (أمير البحر) ويميس. وفي التاسع من كانون الثاني/يناير كان فون ميوكه يتباحث مع غالب بك قائد الفرقة الأربعين التركية عن أنجع السبل لوصوله هو وجماعته إلى ألمانية. ثم رحل فون ميوكه ومن معه بالقوافل إلى صنعاء حيث مكثوا شهراً، رأى بعده أنَّ صعوبة السفر شمالاً كانت كبيرة، فعاد هو وجماعته إلى الحديدة وأخذوا سنبوكين من خليج الجبانة[١]، وأبحروا إلى ميناء الليث متسترين بالشعاب المرجانية، وبعد عديد من المغامرات وصلت هذه الجماعة أخيراً وقد فقدت عدداً كبيراً من أفرادها، إلى سكة حديد الحجاز بالأعلى ومن هناك سافرت إلى دمشق ثم إلى القسطنطينية.

❀ ❀ ❀

(١) في الأصل الإنجليزي Jebhane ولعله تصحيف لما أثبتناه (الجبانة) وتقع شمال الحديدة مقابل رأس الكثيب.

## IV

# الحرب العالميّة الأولى

## تتمة

وكان الإنكليز قد دخلوا في مفاوضات مع الأدارسة بغية مساعدتهم في مناوشة الأتراك ومضايقتهم في شمال اليمن. وقرر الفريق البحري السير روبرت ويميس قائد أسطول جزر الهند الشرقية، أن يعطي الأدارسة أية مساعدة ممكنة لما يبذلون من جهود لطرد الأتراك عن اللحية. وكانت اللحية قد تعرضت في الماضي لقصف من البحرية الملكية وهجوم من الأدارسة في سنة ١٩١٥، ولم ينجح هجوم الأدارسة الأول، إلا أن الأتراك تخلوا عن المدينة حينما ظهر الطراد البحري المساعد (فوكس) في مياهها في ١٨ شباط/ فبراير سنة ١٩١٧. غير أنّ عقد الاتفاق مع الأدارسة لم يتم حتى شهر نيسان/ أبريل من العام التالي.

استخدمت الطائرات من القواعد الأرضية في جنوب غرب الجزيرة العربية لأول مرة في كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩١٧. وبينما كانت الفرقة السابعة من الراجبوتيين[1] تقاتل قتالاً شديداً في المؤخرة في أحراج (درب) Darab أمكن صد الأتراك بمساعدة مدفعية السلاح الجوي الملكي. وبالإضافة إلى ذلك استخدم السلاح الجوي الملكي في قصف

---

(١) (الراجبوتي) Rajbut أحد أفراد الطبقة الهندوسية العسكرية والمالكية للأرض. (المعرب).

معسكرات الأتراك في الداخل. كما اشتركت القوات البحرية الجوية الملكية في القتال مرة أخرى في شباط/ فبراير سنة ١٩٠٨.

وحين كانت حاملة الطائرات البحرية (سيتي أوف اكسفورد) بالقرب من ساحل اللحية في ٢٢ شباط/ فبراير قامت بإرسال طائرات لاستكشاف وتصوير المواقع التركية في جبل المحل وزهرة، واستمر قصف تلك المواقع أياماً متتالية، وكان من أثر ذلك أن استطاع الأدارسة الاستيلاء على بعض المواضع الجبلية. كما قصفت أيضاً القيادة التركية في زهرة، وذلك بناء على طلب الأدارسة، وكانوا يرمون من ذلك إلى التأثير على القبائل اليمنية المحلية التي تخلى عديد منها عن الأتراك وانحازوا إلى جانب الأدارسة.

وفي ١٩ آذار/ مارس أبحرت السفينة (سيتي أوف اكسفورد) شمالاً إلى ميدي، وقامت طائراتها باستعراض جوي فوق المدينة ووادي حبيل Habil. كما قامت الطائرات بهجمات على المواقع التركية في جبل المحل. وفي ٢٢ آذار/ مارس عادت حاملة الطائرات إلى موقعها السابق بالقرب من اللحية حيث قامت الطائرات بمزيدٍ من الاستعراضات الجوية.

كتب أمين الريحاني الكاتب المهجري الذي زار اللحية في سنة ١٩٢١ في مذكراته:

«وجدنا اللحية لا زالت تعاني من آثار القصف الإيطالي والإنكليزي. فقد قصفت مرتين، مرة من الإيطاليين والثانية من البريطانيين.. كانت اللحية في يد الأتراك حتى السنة الأخيرة للحرب العالمية الأولى. وقد تعرضت للقصف من البر والبحر. وقام نحو من ألفي جندي من جنود الأدارسة بقيادة ضابط بريطاني باحتلال الحلق Halaq التي تبعد خمسة أميال جنوب المدينة (اللحية) بينما كانت حفنة من الجنود الترك تسيطر على الآبار الواقعة على بعد خمسة أميال شرقيها. وكانت الحملة الإدريسية

التي يرافقها الطبيب الدكتور فضل الدين تتلقى الماء والعتاد الحربي من السفن البريطانية، وأجبرت اللحية على الاستسلام بعد هجوم مزدوج من البر والبحر.

وبعد ذلك بقليل وردت أنباء وقف القتال.. ونزل ضباط البحرية إلى البر ليشاركوا ضباط الجيش الاحتفال بنهاية الحرب..».

وقد قدر حتى للقرية الساحلية الصغيرة الصليف أن تؤدي دوراً صغيراً في الحرب. فقد قررت السلطات الإسلامية في مكة استئناف الحج الذي كان قد توقف منذ بداية الحرب. وكان الأسطول الملكي يحتل كمران المحجر الصحي لكل سفن الحجاج المتجهة شمالاً منذ سنة ١٩١٥، وكان لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة قناة ضيقة يقع على جانبها الشرقي ميناء الصليف الصغير حيث كانت ترابط قوة تركية صغيرة معها مدفعان جبليان، إلا أنّ هذه القوة كانت كافية لتهديد رحلات سفن الحج. وقد أمر (الفريق أول بحري)[١] ويميس بالاستيلاء على ذلك الميناء، وخلال تلك العملية تم أسر ٩٣ جندياً من الأتراك بينهم ٨ جرحى وقتل ٦ آخرون، بينما كانت خسائر البريطانيين لا تعدو جرح اثنين وقتل أربعة.

في بداية الحرب قام الأتراك بحبس ٢٠٠ من رعايا بريطانية الهنود بالحديدة وعاملوهم بقسوة لا مسوغ لها. وبعد أن رفضت حكومة الهند طلب الأدميرال ويميس لاستعمال الحامية البحرية في كمران للنزول هناك، أمر الكابتن بويل كبير ضباط البحرية بالبحر الأحمر أن يحاول إنقاذ السجناء البريطانيين، ورفض الإنذار الذي وجهه الكابتن بويل، فأخذ في قصف المباني التركية العامة بالقرب من المدينة، ولكن المدفعية ردت

(١) يستعمل في الإنجليزية وفي الجيوش الأوربية هذه الرتبة باسم (أدميرال Admeral) المحرفة من التسمية العربية الأصلية (أمير البحر) وقد استخدمنا المصطلح العسكري العربي الحديث المستعمل الآن في الرتب العربية. (المعرّب).

عليه من الشاطئ بالمثل، فلم يتمكن من النزول وأخذ في محاصرة الميناء. ولما كان قد أخذ عدد من الإنجليز الذين كانوا يعملون في مناجم الملح بالصليف قبل الحرب إلى صنعاء وحبسوا هناك في سنة ١٩١٤. وأن نائب القنصل البريطاني في الحديدة الدكتور ريتشارد سون قد أخذ أيضاً إلى صنعاء تحت الحراسة في سنة ١٩١٥، وحبس نائب القنصل الفرنسي المسيو روكس بالعاصمة. لذلك كله فإنّ الحكومة الفرنسية قررت أن ترسل السفينة دسيكس بقيادة الكابتن دي فيسو فيرقوس للتفاوض مع الأتراك بشأن إطلاق سراحهم.

بانتهاء الحرب العالمية الأولى بدأ الإمام - ببعد نظر - يسعى إلى تحالف مع عدن بالإضافة إلى طلب العتاد الحربي، ولا سيما المدافع سريعة الطلقات (مع من يعرف استخدامها) وسعى أيضاً إلى أن تعترف بريطانية بسيادته على البلاد بين رأسي حالي Hali وحضرموت عدا عدن والأراضي المحيطة بها. لكن الأدارسة الذين وقع معهم الإنجليز اتفاقية في نيسان/أبريل سنة ١٩١٥ لم يرحبوا بهذه المقترحات ولذلك رفضتها الحكومة البريطانية، إلا أن هذا الرفض لم يمنع المقدم جاكوب من مواصلة جهوده لتطوير علاقات ودية مع الإمام الذي ظل (جاكوب) يناصر وجهة نظره.

وفي كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨ وبعد عمليات عسكرية محدودة استمر الأتراك الذين لم يعترفوا بالهدنة في احتلال لحج.. فأرسل الطابور المتحرك من عدن لمحاربتهم..

وفي منتصف كانون الأول/ديسمبر ألقت القوات التركية المحيطة بلحج أسلحتها وسار علي سعيد باشا الذي كان جندياً نبيلاً حتى في الهزيمة وجاء على رأس ١٠٠٠ جندي إلى عدن حيث سلم سيفه. بيد أن أحد الضباط الأتراك ومعه ٨٠٠ جندي أخذ معظم الأسلحة والعتاد

التركي إلى صنعاء حيث انخرط هذا الضابط في خدمة الإمام. وقام الشيخ محمد بن علي الإدريسي بتجريد الأتراك الذين كانوا في منطقته من أسلحتهم وأرسلهم بالسنابيك إلى كمران حيث أخذهم البريطانيون بالسفن إلى مصر. وقد فضل نقيب تركي ومعه ستون جندياً البقاء في عسير والدخول في خدمة الشيخ..

وفي منتصف كانون الأول/ ديسمبر وصلت إلى قرب الحديدة السفينة جونو بقيادة الإسكندر بالمر والسفينة بروسيربابن بقيادة هارولد - بيدويل وطراد بحري تجاري مسلح بقيادة هـ. بيوكانان - وولاستون وأخذت هذه السفن بقصف المدينة لحماية عملية إنزال الوحدة الثانية من الفرقة ١٠١ من رماة القنابل اليدوية الذين أجبروا الحامية التركية على الاستسلام. وكان الدكتور ريتشارد سون نائب القنصل السابق في تلك الأثناء يساعد في توجيه المدفعية من على ظهر إحدى السفن، ونجا من الأسر قائد الحامية القائمقام غالب بك الذي كان قائداً للفرقة ٤٠ والتحق بخدمة الإمام بصنعاء حيث سبقه إلى ذلك قائد المدفعية التركية وعدد من الضباط الآخرين و٣٠٠ جندي إلى جانب الوالي التركي محمود نديم بك.



V

# محمود نديم بك

كان محمود نديم بك عنصر استمرار في إدارة حكم اليمن خلال معظم الربع الأول من القرن العشرين. فقد عاش في اليمن عدة سنوات قبل الحرب بعد أن خلف عزت باشا على ولاية اليمن سنة ١٩١٢ في أعقاب ثورة ١٩١١. وكان سورياً أسمر اللون عريض الفك بديناً، ينتعل الأحذية العسكرية ذات المهماز، ويتختم بخواتم ذهبية ضخمة ولم يكن يرى بغير لفافة غليظة من التبغ التركي.

وفي سنواته الأخيرة أخذ يلبس الكوفية أحياناً بدل الطربوش، وهو الغطاء الرسمي للرأس عند الأتراك وذلك ليؤكد انتماءه العربي. وكان طويل القامة قوي البنية، ويظهر أنه بدن أثناء مدة خدمته الطويلة في اليمن، وهناك صورة قديمة يظهر فيها رشيقاً أنيقاً في بزة كبار الإداريين الأتراك. وكان شاربه كبيراً حتى في تلك الأيام.

وكان يقوم خلال سنة ١٩١٤ - ١٩١٥بنشاط شديد في محاولته كسب الشيخ الإدريسي في عسير إلى جانب الأتراك. وكان ذلك عملاً عسيراً استنفذ منه معالجة ماهرة، ويعزى استمرار العلاقات الطيبة بين الأتراك وبين الإمام خلال الحرب العالمية الأولى إلى جهوده الشخصية. وفي أثناء تلك الفترة كان يقوم بنشر قدر كبير من الدعاية المعادية للبريطانيين في عدن. ولما انتهت الحرب واستسلم علي سعيد باشا في

عدن بقي محمود نديم باشا في قصره بصنعاء وكان هو الذي سلم مقاليد الحكم للإمام في سنة ١٩١٩.

وحين قام شيوخ قبيلة القحري سنة ١٩١٩ باحتجاز بعثة المقدم جاكوب كان نديم بك هو الشخص الذي أوكل إليه الإمام أمر التفاوض في إخلاء سبيلها مقابل فدية قدرها ٤٠٠٠ جنيه تركي. وبما أنه كان صريحاً ومتحمساً في آرائه حول إدارة اليمن فإنه أدرك مدى عدم الاستقرار بين سكان هذا الجزء الفقير من أجزاء الإمبراطورية العثمانية والمدى الذي يمكن أن يصلوا إليه في سبيل رفع ظلاماتهم.

ولما كان غالب الموظفين من العرب قبل سنة ١٩١٩ فقد حملهم مسؤولية معظم أسباب عدم الاستقرار والاضطراب، ولكنه اعترف أنّ الأتراك لم يحسنوا إدارة اليمن، مثله في ذلك مثل بقية الولايات العثمانية الأخرى.

وفي مركزه الجديد مستشاراً للإمام قال في مناسبة من المناسبات: «لو هيئ لي أسباب الاستمرار لقمت بتأديب هؤلاء العرب الكلاب كما كنت أفعل في الأيام الخالية».

وفي واقع الأمر وعلى الرغم من إيمانه الراسخ بعدم إمكانية قيام وحدة تامة بين الشعوب العربية، فإنه كان يحب اليمنيين ويتمنى صادقاً أن تتحسن أحوالهم. وفي آخر أيامه لم يحتف به الإمام كثيراً، وهو لم يكن الموظف التركي الوحيد السابق من الحكومة العثمانية الذي بقي في اليمن بعد الحرب العالمية الأولى. وكان ياوره التركي (الضابط المرافق له) يعاونه بمقدرة وكفاءة، وقد سمح لهذا الضابط أن يستمر محتفظاً بزيه العسكري التركي. وكان نديم ذا شخصية قوية صريحاً حلو المعشر، على حرص شديد على إرضاء الأوربيين الذين يتصلون به. ولم ينل لقب

(باشا) إلا أن هذا اللقب أطلق عليه تأدباً بعد سنة ١٩١٢. وفي النهاية عاد إلى سورية سنة ١٩٢٤ بعد عشرين عاماً من الخدمة المتواصلة في اليمن.

❁ ❁ ❁

# VI
# بريطانية والإمام يحيى

خلال آذار/ مارس من سنة ١٩١٩ انسحب الأتراك انسحاباً كاملاً من اليمن حسبما نصت عليه بنود اتفاقية مدروسة لسنة ١٩١٨، كما تنازلوا رسمياً فيما بعد عن جميع ممتلكاتهم في الجزيرة العربية تنفيذاً لشروط اتفاقية لوزان لسنة ١٩٢٣.

واستولى الإدريسي على بعض الأراضي نتيجة للحرب، بيد أن الإمام يحيى أصبح الآن صاحب السيادة على مرتفعات اليمن من غير منازع، ولم يعتبر هزيمة الأتراك هزيمة له. وبما أنه أصبح في واقع الأمر على رأس الدولة التي خلفت دولة الترك في اليمن، فقد كان عليه أن يعترف بالاتفاقيات التي أبرمتها تركية قبل الحرب، ولكنه في الحقيقة لم يعترف البتة بصلاحية لجنة الحدود الأنجلو - تركية لسنة ١٩٠٢ - ١٩٠٥ أو المعاهدة التركية الإنجليزية لسنة ١٩١٤. وبناء على ذلك فقد وطن نفسه على مضايقة الإنجليز في عدن والبدء في فعل ما كان يفعله الأتراك من تهديد كل عمليات التعامل التجاري بين عدن وأراضيه.

وبالرغم من أنَّ البريطانيين استطاعوا نظرياً أن يقووا مركزهم تدريجياً بمرور الزمن إلا أن وضعهم في الأراضي المحيطة بعدن لم يكن مستقراً. وكانت اتفاقية بوفام Popham لسنة ١٨٠٢ قد أصبحت طي النسيان عندما أبرم هينز اتفاقية مع سلطان لحج سنة ١٨٣٩، وقد أدى وجود الأتراك في اليمن إلى عقد ما لا يقل عن ١٤ اتفاقية حماية على مدى

الأعوام الستة والعشرين التي تلت سنة ١٨٧١ وأدت النشاطات والعمليات العسكرية إلى دعم لجنة الحدود الأنجلو - تركية إلى إبرام أكثر من ١٣ اتفاقية أخرى، كما تم التوقيع على ثلاث اتفاقيات أخرى بين سنتي ١٩١٢ - ١٩١٥ وذلك في أعقاب الحرب التركية الإيطالية.

وفي سنة ١٩١٩ كان في الأراضي المحيطة بعدن والجزر المجاورة ٣١ زعيماً وقعت معهم اتفاقيات .Treaty Chiefs وقد كانت الاتفاقيات مع هؤلاء الزعماء تسير على المبادئ نفسها: فالبريطانيون يبسطون حمايتهم على المنطقة المعنية، والحاكم في مقابل ذلك يتعهد بعدم الدخول في أية علاقات مهما كان نوعها مع الحكومات الأجنبية الأخرى باستثناء بريطانية، ولا يبيع أو يؤجر أي جزء من أراضيه لسلطة أخرى. وكانت كل اتفاقية تمهر بإعانة يكون استمرارها رهيناً بحسن سلوك الزعيم ورعاياه. وكان هينز قد أدرك الحاجة إلى إيجاد منطقة محايدة بين عدن واليمن في المستقبل، ولتحقيق هذه الغاية قام بعقد اتفاقات مع حكام العقربي والفضلي والحوشبي والصبيحي ويافع السفلى.

وفي سنة ١٩١٩ كانت اتفاقيات الحماية ترمي إلى ذات الهدف وهو إيجاد منطقة خلف عدن خالية من تدخل أي حكومة أجنبية. فقد احتلت بريم سنة ١٨٥٧ تحت بصر وسمع الفرنسيين، وقد أعطى سلطان عمان في سنة ١٨٥٤ جزر كوريا موريا للبريطانيين، ولكن جزيرة كمران التي تنازل عنها الترك رسمياً في سنة ١٩٢٣ بقيت غير محددة الوضع الرسمي. إلا أنه قبل انتهاء القرن التاسع عشر بمدة طويلة كانت بريطانية قد بسطت نفوذها على المطلة وسوقطرة وثبتت أقدامها بدرجات متفاوتة في بربرة وبورت سودان وسواكن في أول القرن العشرين. وفي سنة ١٩١٩ كانت المشكلة الملحة لبريطانية هي التوصل إلى اتفاق مع الإمام يحيى.

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع

# العلاقات اليمنية الإنجليزية
# بين
# الحربين العالميتين

I

# بعثة جاكوب ١٩١٩

تم تسليم ميناء الصليف إلى الإدريسي بعد وقت قصير من احتلاله من قبل حامية بريطانية صغيرة سنة ١٩١٩، كما أعطي بقية تهامة بما في ذلك الحديدة التي كان بها حامية بريطانية أيضاً. وقد تنازل الأدارسة عن المطالبة بالقنفذة لمصلحة من يؤيدهم حسين ملك الحجاز. وانتهز الإمام الفرصة بسرعة ليحتج لدى المقيم البريطاني في عدن على احتلال الحديدة، فردت عدن بأن القوات البريطانية في الحديدة كانت لحفظ الأمن والقانون، وأن إدارة المدينة ستؤول إلى الإمام خلال وقت قصير، ورغم ذلك التأكيد فإن الحامية بقيت بالحديدة وسلمت المدينة إلى الأدارسة في كانون الثاني/يناير سنة ١٩٢١ حين دخلها وزير عسير على رأس فرقة من جنوده. وكان على رأس سلطات عدن خلال ذلك ضابط سياسي هناك وهو الدكتور محمد فضل الدين، وعزلت المدينة عن الأراضي المحيطة بها، ولم يتمكن الإمام في واقع الأمر من تسلم المدينة إلا في نيسان/أبريل سنة ١٩٢٥ حين تنازل عنها السيد (الشريف) علي بن محمد شيخ الأدارسة واستلمها ابن الإمام، سيف الإسلام أحمد. ففي سنة ١٩٢٤ قامت ثورة في المدينة ضد السيد علي، ولم يضع الإمام الفرصة في السيطرة عليها دون سفك دماء وبتأييد من السكان. وبذا كان حصول الإمام على هذا المخرج الجيد من المرتفعات إلى البحر الأحمر ذا فائدة عظيمة له؛ ولا سيما أن تجارة القوافل أصبحت صعبة مؤخراً. وسقطت

باجل في يد الإمام وتقدمت قواته شمالاً، منتشية بنصرها فاستولت على اللحية وميدي مجبرة السيد علي بن محمد على ترك أراضيه واللجوء إلى عدن. وبعد فترة وجيزة حضر إلى جيزان حسن بن علي عم السيد علي دون سابق إنذار، وكان يقيم في عدن وجمع إليه الناس واستنجد بابن سعود. ذلك ما دفع بالإمام إلى الدخول في مفاوضات مع حسن بن علي والاعتراف بسيادته على المنطقة الجنوبية من عسير إلى نقطة شمال ميدي بقليل (وتكون عاصمته أبو عريش).

وبعد مغادرة الأتراك مباشرة في سنة ١٩١٩ قام الإمام بإقفال الطريق إلى الضالع وهكذا وقف إلى وقت ما حائلاً في وجه النوايا البريطانية لاستعادة حدود سنة ١٩٠٤ القديمة. وفي محاولة لتنمية صلات ودية مع الإمام قامت بعثة من القاهرة على رأسها المقدم هـ. ف. جاكوب لتناقش معه في صنعاء أمر مستقبل اليمن بعد استسلام الأتراك. واصطحب جاكوب معه من القاهرة الرائد (السير آلان) بيرنارد رايلي والنقيب ريتشاردسون والنقيب بروك من (RAMC) والسكرتير الهندي لجاكوب والمغيرة الذي كان عضواً في حزب العروبة. ووصلت البعثة بحراسة ٢٥ رجلاً من جنود عدن وفريق من راكبي البغال إلى الحديدة في ١٨ آب/ أغسطس سنة ١٩١٩ ووصلت إلى باجل في مساء اليوم التالي حيث اعتقلها شيخ قبيلة القحري أبو هادي. ولم يجد تدخل الإمام الذي أرسل ١٣٠ جندياً بقيادة محمود نديم بك و٤٠٠٠ جنيه تركي فدية، ولا تدخل البريطانيين الذين عرضوا ٥٠,٠٠٠ جنيه إسترليني لإطلاق سراحها. وفي ٣٠ أيلول/ سبتمبر تسلم قائد سلاح الجو الملكي بعدن طلباً بإرسال طائرات للتحليق فوق باجل فنقلت طائرتان من طراز سوبويد سنايب إلى كمران، ومعهما ثلاثة ضباط من السلاح الجوي وثمانية من رجال الطيران، وتمت عملية التحليق الأولى في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر، ويعد

ذلك بيومين قامت طائرة بالتحليق فوق باجل لاكتشاف موقع البعثة. ولم تلق أية قنابل في هذه العمليات. ويستشهد بعملية الطيران هذه على أنها أول مرة تستخدم فيها الطائرات في عملية أمن داخلي في وقت السلم، وجاء في مؤلف موثوق به فيما يبدو نشر في ذلك الحين أن الفضل في إطلاق سراح البعثة يرجع إلى طائرتين. ولكن ذلك مخالف للحقيقة، فظهور الطائرات كان له، بلا شك، أهميته ولكنه كان عاملاً مساعداً فقط. فقد كانت المفاوضات في شأن إطلاق سراح البعثة جارية في الحديدة حين حلقت طائرة فوق باجل وكادت تهبط هبوطاً اضطرارياً بسبب خلل في محركها. وبما أن ذلك اليوم كان يوم سوق فقد كانت باجل تعج برجال القبائل الذين بدؤوا يطلقون النيران عشوائياً على الطائرة، وبعد أن حلقت بعيداً عنهم فتحوا نيرانهم على البيت الذي كانت فيه البعثة واستمروا في إطلاق الرصاص مدة خمس عشرة دقيقة، وكانت القحري على استعداد للسماع للبعثة بالعودة إلى الحديدة في الأسبوع الثاني من أسرها، ولكن مضت أربعة أشهر قبل أن تصدر الحكومة البريطانية الأمر بعودتها إلى عدن، في حين كانت المفاوضات ما زالت مستمرة بين الضابط السياسي البريطاني في الحديدة والقحري. ولم يحدث إلا في ١٢ كانون الأول/ديسمبر أن رافق ٢٠٠ من رجال القحري المسلحين البعثة عائدة إلى الحديدة. وفيما بعد اعتذر الإمام من عدم مقدرته على منع حبس البعثة أو التمكن من إطلاق سراحها رغم وجود جنوده وعروض الفدية المالية.

II

# بعثة كليتون سنة ١٩٢٣ وعمليات سنة ١٩٢٨

أمر الإمام بعد ذلك قواته بغزو المحمية - محمية عدن - وهدفه الواضح من ذلك طرد القوى المستعمرة. فاستولوا على البيضا في سنة ١٩٢٣، وعلى الجزء الأعلى من أراضي العوذلي في العام التالي. وصدرت التعليمات إلى المقيم البريطاني الجديد في عدن للدخول في مفاوضات سلمية مع الإمام. فأرسلت الهدايا إلى القصر في صنعاء، وكان من بينها خيول وعربة فورد. ورد الإمام بدوره بإرسال هدايا، وعين القاضي عبد الله العرشي ممثلاً له في عدن، ومكث هناك عامين يحاول الوصول إلى اتفاق، إلا أن استمرار وجود الأدارسة في الموانئ اليمنية كان له ضلع كبير في عدم نجاحه.

وبعد ستة أشهر من إرسال الإمام إلى أنقره (حزيران/يونيو سنة ١٩٢٣) يسأل عن إمكانية إرسال مندوب إلى Grand Assembly (للاستعانة بمساندة الأتراك السياسية ضد البريطانيين)، حاول المقدم جاكوب مرة أخرى التفاوض مع الإمام. وتمكن في هذه المرة من الوصول إلى صنعاء. وفي كانون الأول/ديسمبر من سنة ١٩٢٣ حاول أن يرتب أمر إرسال ممثل دبلوماسي بريطاني دائم في العاصمة اليمنية، ومد خط حديدي عدن - لحج إلى صنعاء والحصول على امتيازات تجارية لمصلحة بريطانية.

ومقابل ذلك عرض على الإمام الاعتراف بسيادته على سلطنة لحج وحضرموت. واستقبل جاكوب دون كبير اهتمام، وعاد إلى الحديدة ولم يحقق شيئاً سوى بيان نشره يعبر فيه عن رغبته في علاقات ودية مع بريطانية العظمى. ومع ذلك حدث مزيد من التعدي على الحدود.

وفي ٩ تموز/يوليو سنة ١٩٢٥ استخدمت طائرتان من عدن في محاولة لإجبار القوات اليمنية على الانسحاب من أراضي العوذلي.

وفي تشرين الأول/أكتوبر التالي قامت الطائرات من مطار الشقري في محاولة أخرى لاستعادة ما فقد من أراضي العوذلي.

وفي سنة ١٩٢٦ استولى الإمام على جزء من أراضي العوذلي السفلى، ولكنه اضطر للتخلي عنها بعد القيام بعمليات جوية ضده. وأدت هذه العمليات ببريطانية إلى أخذ زمام المبادرة، ففي العام التالي رحب الإمام في صنعاء بالسير جيلبرت كليتون بعد عودته من محادثات ناجحة مع ابن سعود حول الحدود السعودية مع الأردن والعراق، وكان السير جيلبرت الذي استمرت بعثته من ٢٤ كانون الثاني/يناير - ٢١ شباط/فبراير ١٩٢٦ يرمي إلى تسوية مسألة الحدود والتواصل إلى اتفاقية صداقة. ولما كان الإمام يطالب بمنطقة جنوب غرب الجزيرة العربية كلها فقد عاد السير جيلبرت خالي الوفاض ليكتشف أن السنيور جاكوبو غاسباريني حاكم أريترية قد نجح حيث فشل هو.

وفي ٢ أيلول/سبتمبر سنة ١٩٢٦ نشرت المعاهدة اليمنية الإيطالية التي كانت مدتها عشر سنوات. كما أفلح الألمان أيضاً - بتوددهم إلى الإمام - في صرفه عن التحمس للبريطانيين فقد قاموا، بدورهم، بإرسال الهير وايس - سوننبيرج سفيرهم في أديس أبابا ليسعى في التوصل إلى معاهدة صداقة.

وفي سنة ١٩٢٧ قامت اليمن بهجمات على قرية (أم ميزة) Am Myza التابعة للصبيحي، ولم تتوقف هذه الهجمات إلا حين قام السلاح الجوي الملكي بإلقاء منشورات الإنذار، مما أجبر رجال القبائل على الانسحاب.

وفي ذلك الوقت كان رجال الإمام قد وصلوا إلى نقطة لا تبعد عن عدن إلا بمقدار أربعين ميلاً.

وفي العام التالي تم نقل مهمة الدفاع عن المستعمرة من وزارة الدفاع إلى وزارة الطيران، وتم بذلك توفير ما يقدر بـ ١٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني في العام في مدة ترجع إلى ما قبل تشرين الأول/أكتوبر من سنة ١٩٢٦ بزمن طويل كان المقيم البريطاني اللواء ج. هـ كيث - ستيوارت قد قدر أن فرقة واحدة من قوات الهند مع بطارية مدفعية واحدة وحامية عدن العادية ستكون كافية لاستعادة الضالع، كما أوصى بأن يستكمل سلاح الطيران الملكي في عدن ليصبح سرباً. ولم تر الحكومة البريطانية (هوايت هول) العمل بمقترحات المقيم، وكان من حسن الحظ أنه لم تحدث أي هجمات ذات خطر على المحمية حتى ربيع سنة ١٩٢٨ حين أسر قائد قوات الإمام في قعطبة شيخين من المحمية.

وفي ٢٥ آذار/مارس عرضت الهدنة على الإمام، وذلك بعد قصف بعض مدن الحدود وإطلاق سراح الشيخين.

وفي الخامس من حزيران/يونيو طلب الإمام مد أمد الهدنة إلى ١٧ تموز/يوليو في حين رفض طلب بريطانية منه إخلاء الضالع في ٢٠ حزيران/يونيو للتدليل على حسن النية. ونتيجة لذلك قامت ثماني طائرات من السرب الثامن بقيادة قائد السرب ج. هـ. بومان بالتحليق فوق المدن اليمنية الرئيسة حتى ذمار شمالاً. وألقيت المنشورات من هذه الطائرات محذرة اليمنيين بأنه إذا لم يتم الجلاء عن الضالع في مدة

تنتهي في ٢٤ حزيران/يونيو فسيكون من المحتمل قصفهم بالقنابل، وبالرغم من نفوذ قائد قوات تعز وسيف الإسلام محمد الابن الأكبر للإمام اللذين كانا يجنحان إلى المهادنة فإن الإمام لم يتخذ أية خطوة لإخلاء الضالع وأرسل تعزيزات إلى قعطبة وتعز.

وفي وجه هذا الاستفزاز قصفت تعز قصفاً مكثفاً في الصباح والمساء من الخامس والعشرين من حزيران/ يونيو. وخلال الأسبوع التالي قامت الطائرات بسبع وأربعين غارة جوية على الحاميات اليمنية في مناطق المفاليس وقعطبة والضالع، كما ألقت بعض القنابل على بريم. وقام اليوسفين بطرد الحاميات اليمنية من عدة قرى من قراهم في منطقة المفاليس. وطلب محمد نعمان كبير قواد الإمام في المنطقة التعزيزات ليمنع قيام ثورة شافعية[١] واستولى الكتيبي Koteibi على نقطة بالسليق AS - Sulaiq في أقصى حدود الإمام الجنوبية وكان ذلك في ٢٨ حزيران/يونيو، وقصفت أيضاً قعطبة والضالع وذمار ومنطقة المفاليس خلال الأسبوع الثاني للعمليات الجوية.

وفي ٣ تموز/يوليو قامت قوات الإمام بهجوم مضاد على السليق، فتصدى لهم الكتيبي وتقدم إلى الحمراء.

وفي التاسع من تموز/يوليو قامت قوات الباكني (Bakni) من جماعة ردفان بإخراج حامية الإمام من العرقوب، وبذلك تم إجلاء القوات اليمنية عن منطقة ردفان.

وفي أثناء ذلك سار نحو السليق أمير الضالع يصحبه الملازم الطيار ا. د. م. ريكادرز ومعه جهاز لاسلكي، وذلك لتكوين قوة من رجال القبائل المحلية. إلا أن رجال القبائل شبه المتمردين رفضوا التقدم معهم. فواصل

---

(١) سيكرر المؤلف هذه الصيغة في أكثر من موضع من الكتاب. (المعرب).

الرائد ت - سي فاول القائم بأعمال المقيم وسلطان لحج على متن الجو لفرض النظام. وقد كللت مجهوداتهم بالنجاح واستطاع أمير الضالع في ١٤ حزيران/يونيو تكوين قوة بالحوطة قوامها ١٠٠٠ رجل، كما تمكن من احتلال الضالع حيث أثبت أقدامه في وقت قصير.

وقامت قوات الإمام بين ١ - ٥ آب/أغسطس ببعض المحاولات لاستعادة المدينة. ولكن أوقف تقدمهم حين قصفت أوابل Awabil[(١)] وصنعاء. وكنتيجة لمواصلة قصف أوابل تمكنت قبائل المحمية من احتلالها في ١٥ آب/أغسطس.

وبالرغم من نجاح هذه العمليات الجوية التي تمكنت بصفة عامة من إخراج قواته من معظم إمارة الضالع، فإن الإمام ظل يسيطر على هضبة العوذلي واستمر في تهديد وادي بيحان وشن الغزوات على أراضي الصبيحي.

وبعد ثلاثة أشهر من ذلك الوقت وقع الإمام معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتي[(٢)]. وقد رفع المستر جيمس لودار بارك نائب القنصل الأمريكي في عدن والذي كان في صنعاء في آب/أغسطس وناقش الموقف مع الإمام فيما بعد، رفع تقريراً فحواه أنه كان للقصف أثر معنوي كبير في كل أنحاء اليمن. فقد توقفت التجارة واضطر ثلثا سكان صنعاء إلى النزوح والسكن في المناطق الريفية المجاورة. وقد أنحى رجال القبائل باللائمة على الإمام لفشله في التوصل إلى حل سلمي، وكان هناك شعور عام بعدم جدوى مواصلة القتال ضد الطائرات.

---

(١) لعل المؤلف قصد (عيال) ولم يحدث أن قصفت صنعاء. (المعرب).

(٢) الأول من تشرين الثاني/نوفمبر تم توقيع معاهدة صنعاء بين الإمام والاتحاد السوفييتي (المعرب).

ومرة أخرى اتجه الإمام إلى تركية، وقام هذه المرة بإرسال أحمد أفندي أحد الضباط الأتراك السابقين الذين كانوا في خدمته برسالة إلى مصطفى كمال في أنقرة. وكانت النتيجة الوحيدة لهذه الحركة بقاء أحمد أفندي ممثلاً لليمن في أنقرة.

وحدثت اشتباكات على الحدود في السنوات القليلة التالية وفي منطقتي الضالع وبيحان بشكل خاص. ففي آذار/مارس سنة ١٩٣٠، مثلاً، وصلت تقارير بأن اليمنيين كانوا يقومون بحشد قواتهم في رداع بغية شن الهجوم على بيحان، إلا أن مشهد ثلاث طائرات استكشاف أدى إلى تفرق اليمنيين. ومع ذلك فإنَّ الصحيفة الزيدية (الإيمان) نشرت بعد شهرين أن سكان الجوبة بمنطقة مراد رفعوا شكاوى بعدم استتباب الأمن في منطقتهم فأرسل الإمام الشريف عبد الله الضمين لإعادة الاستقرار وتأسيس إدارة للمنطقة. وقد تشككت السلطات بعدن في مدى صحة هذا التقرير، ولا سيما أن المعلومات التي وصلت إلى عدن كانت تشير إلى أن الضمين قد احتل الجوبة في ١ أيار/مايو بقوة قوامها ٣٠٠٠ رجل تقريباً ومعها ٣ مدافع وطابور إمداد ضخم. وكانت قبائل بيحان تعتقد أن هدف الإمام كان احتلال أراضيهم. ونتيجة لذلك أرسل المقدم موريس ليك (الذي أسس في سنة ١٩١٩ أول فرقة مشاة يمنية في عدن) ومعه أحد رجال قبائل بيحان في رحلة جوية استكشافية في ٢٦، ٢٧، و٣٠ أيار/مايو ليدونوا ملاحظاتهم من خلال الصور الفوتوغرافية التي يمكن استخدامها في العمليات العسكرية مستقبلاً.

❀ ❀ ❀

## III

# حوادث الحدود

## ١٩٣١ - ١٩٣٤

استمر الإمام يبادر ببث الدعاية والتظاهر عسكرياً بالجنوب. ففي سنة ١٩٣١ احتل قرى العين التابعة للمسابعي Masabi الذين كانوا متحالفين مع شريف بيحان. ولم تكن الحدود في تلك المنطقة قد حددت إلا أنه نتيجة لعملية استطلاع تمت في آذار/مارس سنة ١٩٣١ تقرر أن منطقة العين تابعة لبيحان جغرفاياً وسياسياً.

وفي ٢٥ أيلول/سبتمبر و٥ تشرين الأول/أكتوبر وجه إلى الإمام إنذار بالانسحاب من جميع أراضي المسابعي Masabi، ومع الإنذار تهديد باستعمال سلاح الطيران الذي قام بعمليات استطلاعية في سماء رداع والجوبة وغيرهما من المناطق اليمنية، وألقيت منشورات تنذر السكان باحتمال القيام بقصف جوي. وانسحبت القوات اليمنية من العين في ٤ تشرين الأول/أكتوبر بعد أن نهبت وأحرقت عدداً من القرى في أثناء ذلك.

وفي الوقت الذي كانت فيه حكومة عدن تقدر التعويضات على ما نجم من خسائر وصلت من الإمام مقترحات لاتفاق جديد. ولما كانت هذه المقترحات تشكل تقدّماً كبيراً بالقياس إلى أية مقترحات سابقة فقد صرفت النظر عن المطالبة بالتعويض.

لم يكن سلاح الجو الملكي يستخدم دائماً ضد اليمن، إذ إن طائراته كثيراً ما كانت تستخدم في مساعدة قبائل المحمية والأفراد في اليمن. ففي أيار/مايو سنة ١٩٣٢ - على سبيل المثال - وصلت رسالة لاسلكية مستعجلة إلى عدن عن طريق كمران من سيف الإسلام أحمد يطلب فيها إرسال طبيب بريطاني إليه بالحديدة. وفي اليوم التالي طار قائد الجناح ب. أ. بلين كبير الضباط الأطباء بالسلاح الجوي والملازم الطيار أ. هـ. مونتجومري إلى كمران ومنها إلى الحديدة عن طريق ابن عباس. ونصح قائد الجناح بلين الأمير بما ينبغي عليه اتباعه من العلاج. وبعد وصوله إلى عدن في ١١ أيار/مايو أرسل تقريراً طبياً وافياً ليطلع عليه الأمير. وتحسنت صحة سيف الإسلام أحمد، وفي ٢٤ أيار/مايو سافر إلى حجة. وتلقى المقيم رسائل شكر من الأمير والإمام، ونقل عن الأمير أنه عبر عن رغبته الجادة في تسوية الخلافات بين عدن واليمن بأسرع ما يمكن.

وبالرغم من بوادر الصداقة هذه وخلق روح ودية مؤقتة حدثت هجمات أخرى على المحمية. ففي حزيران/يونيو من سنة ١٩٣٣ قام رجال القبائل والجنود اليمنيون بهجوم على قرية أم نبيه Am Nabia في منطقة الصبيحة ووصلوا إلى الساحل في وقت لاحق، إلا أن الإمام سحب قواته كلها نتيجة إنذار من عدن، وأدرك الإمام أن عليه أن يختار عاجلاً أو آجلاً السلام أو الحرب مع عدن. وبالإضافة إلى ذلك فقد تفاقم التوتر على الحدود الشمالية إلى مناوشات مع القوات السعودية. فقد التقى في آذار/مارس سنة ١٩٣٣ ممثلون عن ابن سعود والإمام يحيى في ميدي في محاولة للوصول إلى اتفاق حول حدودهم، ولكن المحادثات منيت بالفشل وحين بعث ابن سعود بممثلين إلى صنعاء فيما بعد، قام الإمام بحجزهم رهائن وأغار على نجران وعسير.

وفي نيسان/ أبريل من سنة ١٩٣٤ تطورت المعارك المتقطعة إلى حرب شاملة وسقطت جيزان وميدي والحديدة في يد ابن سعود.

وفي خلال الشهر التالي حملت السفينة (بنزانس) (وقبطانها ر. هـ بيفان) تقريراً إلى عدن مفاده أن القوات اليمنية جلت عن الحديدة وانفرط عقد الأمن والنظام فيها، مما عرض حياة نحو ٣٠٠ من السكان الهنود وممتلكاتهم للخطر. واستجابة لطلب القائد بيفان قامت بعض طائرات السرب رقم ٨ بطيران استعراضي فوق المدينة، ثم هبطت هذه الطائرات بكمران لبضعة أيام حتى احتلت القوات السعودية الحديدة وأعادت الأمن والنظام.

وكما اهتمت إيطالية وفرنسة خلال هذه المدة بالخطر المحتمل على رعاياهما في الحديدة انضمت إلى السفينة بينزانس في ميناء الحديدة ثلاث سفن إيطالية مسلحة من مصوع وسفينة فرنسية قديمة مطاردة للغواصات.

❀ ❀ ❀

## IV

# معاهدة صنعاء
# سنة ١٩٣٤

وفي أثناء ذلك، أي في سنة ١٩٣٢، انتقلت مسؤولية إدارة عدن إلى الحاكم العام بدلهي وأصبح حاكمها يلقب بالمعتمد Chief Commissioner بدلاً من لقب (المقيم)، وكان أول من حمل هذا اللقب هو المقدم برنارد رايلي، وقد كان (المقيم) في ذلك الوقت أحد أعضاء بعثة جاكوب في سنة ١٩١٩، واعتبر فيما بعد (أبا مستعمرة عدن)[١]. وكان المقدم رايلي ينتظر فرصة مناسبة يطرح الإمام فيها حذره. وبعد انسحاب القوات اليمنية من أرض الصبيحة نتيجة لإنذار حزيران/ يونيو سنة ١٩٣٣ رأى أن الفرصة مواتية، ولا سيما أنه كان قد تنبأ بأن دخول الإمام في حرب مع ابن سعود في الشمال لم يكن إلا مسألة وقت. وكان الإمام يدرك جيداً أنه في معاملته مع رايلي سيضطر حتماً إلى تقديم تنازلات يمكنه معها المحافظة على ماء الوجه رغم قسوتها. فقد حان الوقت إذن للدخول في مفاوضات جادة بغية الوصول إلى اتفاق أنجلو - يمني. وبدأت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في الثاني من كانون الأول/ ديسمبر بإرسال السكرتير السياسي المستر (السير فيما بعد) ريجينالد شامبيون جواً إلى لودر Lodar، لينبه السلطان العوذلي إلى ضرورة استمرار العلاقات السلمية بينه وبين منافسه

---

(١) استمر ب. رايلي مقيماً سياسياً لعدن من ١٩٣٢ - ١٩٤٠ (المعرب).

في هضبة الظاهر أعلى لورد، وذلك توقعاً لإجلاء الإمام عنها. وكان الانسحاب من الجزء الأعلى من أراضي العوذلي والمراكز المتبقية في إمارة الضالع شرطاً أساسياً لإمضاء المعاهدة التي أملاها المقدم رايلي على الإمام.

وفي ١٥ كانون الأول/ ديسمبر غادر رايلي والنقيب ر. أ. ب. هاميلتون (اللورد بلهافن فيما بعد) غادرا عدن على ظهر السفينة هاستيتجز (بقيادة القبطان سي، س، ساندفورد) في طريقهما إلى صنعاء ولحق بهما شامبيون الذي كان قد تأخر بسبب المرض والذي وصل جواً إلى كمران في ٢٢ كانون الأول/ ديسمبر.

وبعد مفاوضات مطولة تمت بين المقدم رايلي والمستر شامبيون من جهة وراغب بك وزير خارجية اليمن من جهة أخرى، وقعت الاتفاقية في ١١ شباط/ فبراير سنة ١٩٣٤. ومما وافق عليه الإمام الاعتراف بوضع قائم على الحدود يماثل ذلك الذي تم الاتفاق عليه مع الأتراك قبل ثلاثين سنة.

ومن الجدير بالملاحظة أنه لم يرد ذكر في نص الاتفاقية للجنة الحدود الإنجليزية التركية للأعوام ١٩٠٢ - ١٩٠٥. ولأول مرة تعترف بريطانية العظمى بالإمام يحيى ملكاً على اليمن ولو لم يكن ذلك إلا مسكناً، وكانت مفاوضات السير جيلبيرت كليتون في صنعاء سنة ١٩٢٦ قد فشلت بسبب تمسك الإمام بحق السيادة على جنوب غرب الجزيرة العربية كله بما في ذلك عدن والمحميات. وكان هذا المطلب يقوم على أساس أن الأئمة الزيود كانوا يحكمون تلك المنطقة كلها منذ سنة ١٦٣٠ إلى الوقت الذي انفصل فيه سلطان لحج في سنة ١٧٢٨.

وكان الإمام في سنة ١٩٣٣ لا يزال متمسكاً بهذا المطلب، بينما كان البريطانيون يطالبون بكل الأراضي الممتدة إلى الخط المتفق عليه مع الأتراك في سنة ١٩٠٥.

وفي حين توقيع معاهدة صنعاء لسنة ١٩٣٤ كانت قوات الإمام كلها قد اضطرت إلى الانسحاب إلى ما وراء ذلك الخط، باستثناء القوات التي كانت تحتل سلطنة البيضاء. وكان ذلك هو الوضع القائم الذي أقرته معاهدة صنعاء.

وبمقتضى بنود تلك الاتفاقية لم تصر بريطانية على مطلبها الخاص بالبيضاء، كما أن الإمام لم يصر على مطلبه الخاص بعدن والمحميات ولم تتطرق المعاهدة عن قصد إلى التخلي عن المطالب الخاصة بالأراضي لأي من الطرفين، ولكنها وضعت لتكفل بقاء الحدود لمدة أربعين عاماً على ما هي عليه وقت التوقيع.

في ١٧ كانون الثاني/ يناير وصل النقيب باسل سيجر إلى لودر Lodar بطريق الجو منتدباً لمدة ثلاثة أشهر من المفوضية البريطانية بعدن، وذلك خلال إجراء مفاوضات الاتفاقية، وكان الهدف من وصوله الإشراف على عملية تسلم هضبة الظاهر. وبعد التحاقه بمكتب إدارة المستعمرات في سنة ١٩٣٤ قضى سيجر فترة من ذلك العام في بير أزيا Bir Azia مع أحد موظفي الإمام في محاولة للوصول إلى تسوية الخلافات القائمة حول مسألة الحدود. وفي ٧ كانون الأول/ ديسمبر عاد إلى عدن. وبعد وقت قصير نشب القتال ثانية على حدود منطقة الصبيحة في نقطة لم يتقرر فيها تحديد الحدود بصفة نهائية.

❀ ❀ ❀

V

# تحسين العلاقات الأنجلو - يمنيّة

ساد الهدوء منطقة الحدود بين عدن واليمن نتيجة لتوقيع اتفاقية صنعاء، ومع أن المشاكل كانت تطل برأسها من وقت إلى آخر وتنشب بعض الاشتباكات على الحدود بين المحمية والقبائل اليمنية فإن العلاقات بين بريطانية العظمى والإمام يحيى استمرت علاقات ودية، ولكن مسألة وضع منطقة شبوة من ناحية القانون الدولي سببت بعض المشاكل في سنة ١٩٣٨: ففي أواخر خريف ذلك العام قام القردعي الحاكم السابق للواء حريب باحتلال شبوة وإعلانها جزءاً من أراضي الإمام. وفي ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر سلم الرائد سيجر إنذاراً من حكومة عدن إلى الإمام في صنعاء، ولكنه قوبل بعدم الاكتراث فقام الكابتن ر. أ. ب. هاميلتون على رأس قوة من الحرس الحكومي و٢٥٠ من رجال القبائل وأجبر القردعي على الاستسلام. وأخذ رجال الحاكم السابق مخفورين إلى الحدود، بينما نقل القردعي جواً إلى النقب في طريقه إلى مأرب. وبقي الكابتن هاميلتون في شبوة بضعة أسابيع إذ إنه كان يتوقع ردود فعل انتقامية من جانب الإمام. ولكن الإمام لم يقم بتقديم الاحتجاج إلى بريطانية لاحتلال ما أسماه جزءاً من أراضيه إلا في حزيران/يونيو سنة ١٩٣٩، وقد ردت بريطانية رداً لطيفاً ووعدت بتسوية

ودية للمسألة، وحين زار سيف الإسلام أحمد لندن في سنة ١٩٣٩[1] أكدوا له صداقة بريطانية لليمن.

فتحسن العلاقات الأنجلو - يمنية الناتج عن معاهدة صنعاء مكن سلطات عدن من الالتفات إلى موضوع استتباب الأمن في المحمية. وبين سنتي ١٩٣٧ - ١٩٥٤ وافق ما لا يقل عن ١٣ من الحكام المحليين في المحمية على قبول إرشادات حاكم عدن ونصائحه في كل الأمور المتعلقة برفاهية مناطقهم وتطويرها[2]، وتم تشكيل جماعات صغيرة من الحرس القبلي في كثير من المناطق لمساعدة حكامها على حفظ الأمن الداخلي.

وبالإضافة إلى ذلك نظمت قوات حرس حكومي تحت قيادة ضباط بريطانيين وعرب لدعم الحرس القبلي. وكان الغرض من ذلك استخدام هاتين القوتين اللتين تم تجنيد أفرادهما من الوطنيين شرطةً مدنيةً. ومع أنه بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٩ كان معظم جهود بريطانية في عدن موجهاً نحو المحمية، إلا أنها وجدت أنه من الضروري أيضاً أن تراقب بانتباه شديد التطور التدريجي للتسلل الأجنبي في اليمن. وكان الإيطاليون أكثر الدول بروزاً ونجاحاً في هذا المجال.

❁ ❁ ❁

---

(١) لم يحدث أن زار الإمام (سيف الإسلام) أحمد لندن، ولعل ذلك كان أحد أشقائه. (المعرب).

(٢) قامت بريطانية في هذه الفترة بتعميم ما سمي بنظام (الاستشارة) بدلاً من نظام (الحماية) والفرق هو تخفيف التسمية في حين أن هذا النظام كان يعني الحكم البريطاني تحت ستار المستشار ومن عارض من المشايخ فمصيره العزل بعد تقديم النصح له! (المعرب).

VI

# الخطر الإيطالي

## ١٨٦١ - ١٩٤٣

حين ذهب الإخوان دي أبادي إلى الحبشة في سنة ١٨٣٠ أخذوا معهم شاباً من العازاريين(١) اسمه جوسيبي سابيتو. وخلال مدة طويلة كان سابيتو هذا يلح على حكومته بأن تأخذ لنفسها نصيباً في البحر الأحمر، لتستفيد من الفرص العظيمة التي يتيحها في التجارة وصيد الأسماك، وبعد اكتمال وحدتها في سنة ١٨٦١ كانت إيطالية مستعدة لتوسع استعماري محدود، علماً بأن إيطالية لم يكن لها، عملياً، تجارة تذكر في البحر الأبيض المتوسط. وكان طريق تجارتها إلى الشرق سيصبح أقصر طريق تجاري لدولة أوربية رئيسة، إذا ما تم فتح قناة السويس. وبعد محاولة فاشلة لإقامة مستعمرة تستعمل للنفي والعقاب في البحر الأحمر عام ١٨٦٧ اشترت إيطالية في سنة ١٨٦٩ خليج عصب على الساحل الأرتيري لشركة روباتينو للشحن البحري، واحتل الإيطاليون عصب سنة ١٨٨٥، كما احتلوا مصوع في الوقت نفسه. وكان من الطبيعي في هذا الحين أن يتطلع الإيطاليون إلى إقامة علاقات ودية مع اليمن. وكان ريتزو مانزوني، ابن الروائي، قد تجول كثيراً في اليمن قبل سنة ١٨٨٠، كما مكث موسى شابيرا اليهودي الإيطالي تاجر التحف القديمة بالقدس أربعة أشهر هناك

---

(١) Lazzarist.

في سنة ١٨٧٨ حين سافر من الحديدة إلى صنعاء. وعاد بطريق ذمار إلى الساحل بعدن، وفي سنة ١٨٨٣ أرسل لويجي وجوسيبي كابروتي إلى صنعاء لتمثيل شركة التجارة العامة الإيطالية، (مازو شيلي وبيرارا) وكانت مهمتهما في الظاهر التصدير والاستيراد، ولكنها كانت في الواقع مد روما بالمعلومات عن اليمن والنشاط السياسي والعسكري للبريطانيين، ومات لويجي في العاشر من كانون الثاني/يناير سنة ١٨٨٩ وبقي أخوه بالمدينة حتى سنة ١٩١٨ حين اضطر إلى العودة إلى وطنه، وقد تقدمت به السن كثيراً.

وفي سنة ١٨٧١ طلبت إيطالية الإذن من بريطانية في شراء سقطرة. ورغم أن هذا الطلب قد رفض فإنهم قاموا بعدة محاولات سرية لاحتلالها في السنوات القليلة التالية. وكان كتاب Manzoni مانزوني[١] عن اليمن قد ذاع وانتشر حينما ظهر كتاب آخر ألفه جيان باتيستا روسي[٢] الذي أمضى ثلاثة أشهر في صنعاء أثناء ثورة الإمام ضد الترك سنة ١٨٩١.

وقد برهن فرديناندو مارتيني أحد الرواد المكتشفين لأرتيرية والذي عين حاكماً في سنة ١٨٩٨ على تفوقه على معظم من خلفه. فقد استطاع أن يعطي بلده سمعة حسنة وذلك بتجنيد اليمنيين في جيشه وضمهم إلى فرق العمل لديه ليعودوا إلى أهليهم ببعض المال والثناء على الإيطاليين.

وفي كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٠٩ أرسل الماركيز قيتانو بنزوني في بعثة إلى المخا بغية مزيد من التجنيد حيث انضم إلى المكتشف الألماني هيرمان بيركهارت في رحلة إلى الداخل، ولكنهما قتلا في ظروف غامضة لم يكشف فيها ألبتة عن الجناة.

---

(١) الكتاب هو: Manzoni , R. Il Yemen , 1884

(٢) الكتاب هو: Rossi , G. B. IL - Yemen Turin , 1927

ولم نطلع على ترجمة لأي منهما. (المعرب).

وفي أوائل القرن العشرين أبدى الإيطاليون اهتماماً بإنشاء خط حديدي بين الحديدة وصنعاء، ولكن العقد أعطي لشركة فرنسية. وفي أثناء الحرب الإيطالية التركية أصيبت بعض منشآت الخط الحديدي الجديدة بالقرب من الحديدة إصابة طفيفة من جراء قصف قام به الأسطول الإيطالي الذي كان يفرض حصاراً على الموانئ اليمنية في البحر الأحمر، وقد قصف هذا الأسطول أيضاً المخا والشيخ سعيد. وبعد انتهاء الحرب في سنة ١٩١٢ أنشأ الإيطاليون مركز إسعاف طبي في الحديدة. وبحلول عام ١٩٢٠ كان الإيطاليون يديرون محطة اللاسلكي وأعمال الميناء. وفي مؤتمر فرساي سنة ١٩١٩ لم يحظ الإيطاليون بكثير اعتبار، بيد أنه بمجيء سنة ١٩٢٥ اختلف الموقف كثيراً، فقد توطدت دعائم النظام الفاشيستي وقطع موسوليني شوطاً طويلاً في رفع بلده إلى مصاف الدول الكبرى. وبما أن إيطالية كانت قد ثبتت موقفها في إريترية في ذلك الحين فقد اتجهت ببصرها صوب الشاطئ الآخر للبحر الأحمر، وذلك بغية زيادة تأمين مستعمراتها في شرق إفريقية والبحث عن امتيازات اقتصادية أخرى، وقد أوكلت مهمة القيام بأول اتصال رسمي مع الإمام إلى الدكتور جاكوبو جاسباريني أول حاكم فاشيستي لأريترية. وبعد أن وطدت إيطالية مركزها في شرق البحر الأبيض المتوسط باحتلال ليبية، بدأت تستعد لتطويق عدن ولخلق إمبراطورية لها في جنوب الجزيرة العربية. ومن أجل ذلك كانت ترى أن صداقتها مع اليمن ستتيح لها سهولة الوصول إلى عدن كما تمنحها فرصة استعمال الموانئ اليمنية.

وفي الثامن من أيلول/سبتمبر سنة ١٩٢٦ وقع جاسباريني معاهدة صداقة مع الإمام في صنعاء. وكانت هذه الاتفاقية لمدة عشر سنوات، وهي أول معاهدة أوربية تعترف بالإمام يحيى ملكاً على اليمن، وتضمنت ترتيبات لبعض الامتيازات التجارية. وكان للضابط الطيار الإيطالي الكابتن

اريجوني الذي كان عضواً في بعثة المعاهدة، كان له شرف إنزال أول طائرة في صنعاء وإهدائها إلى الإمام، وكانت تلك الطائرة من طراز Sva وكان من بين أعضاء البعثة البارزين ماسيمو رافا الذي نشر في العام التالي كتاباً وافياً عن أريترية. وبعد توقيع المعاهدة أرسل مزيداً من الطائرات الإيطالية إلى صنعاء، ونظراً لاهتمام الإمام الشديد لهذه الطائرات فقد أرسل عدداً من اليمنيين[١] ليتدربوا على الطيران في مصر، كما أسس مدرسة أولية للطيران في صنعاء. ولكن سرعان ما فتر حماس الإمام، وذلك لأنه اضطر إلى منع الطيران مدة عشر سنوات لاحقة، وكان السبب في ذلك موت أحد أعضاء البيت المالك(٧) في حادث طائرة حين اصطدمت طائرتان كان يقودهما طياران ألمانيان فوق صنعاء. وبعد ذلك الحادث تركت بقية الطائرات الإيطالية في حظائرها حتى أصابها التلف. غير أن ذلك لم يمنع إيطالية من تكوين الشركة الإيطالية العربية التي أخذت في العمل على تصدير المنتجات البترولية إلى اليمن بمجرد توقيع اتفاقية سنة ١٩٢٦.

في الأول من حزيران/يونيو من سنة ١٩٢٧ وقبل مضي عام على توقيع المعاهدة الإيطالية الأولى تم التوصل إلى اتفاق سري بين إيطالية واليمن. وكان هذا الاتفاق السري يهتم في المكان الأول بموضوع مد الإمام بالأسلحة الإيطالية، وأدى تسرب خبر هذا الاتفاق إلى استنكار عالمي، ولم يكن ذلك بسبب مد الإمام بالأسلحة فقط، بل لأن الاتفاق السري يمنح إيطالية أفضلية في مجال التجارة، وربما تم تدبير أمر تسرب

(١) كانت تلك البعثة مكونة من عشرة أشخاص من بينهم (عبد الواسع العلفي وعبد الله كامل القليسي وأحمد السراجي وأحمد الكبسي وآخرون) وقد أرسلت إلى إيطالية وليس إلى القاهرة، أما الحادث المذكور فكان ضحيته الطياران الأخيران (السراجي والكبسي) في أول وآخر استعراض شاهده الإمام يحيى عقب عودة البعثة وانتهت بذلك قصة الطيران اليمني المبكر. (المعرب).

المعلومات عن هذه الاتفاقية الثانية أثناء زيارة الابن الأكبر للإمام سيف الإسلام محمد ووزير الخارجية اليمني راغب بك إلى نابلي وروما في تموز/يوليو سنة ١٩٢٧. ولما كانت بريطانية لا تريد أن تبدي انزعاجها لتسرب هذه المعلومات فإنها شعرت بأن عليها أن تصدر بعض التصريحات التي تظهر عدم اكتراثها بالأمر وذلك بغية حفظ ماء الوجه.

وفي آب/أغسطس سنة ١٩٢٧ صرح مسؤول في مجلس العموم البريطاني بأن بريطانية العظمى لا تعارض في الواقع المعاملة التفضيلية التي تلقاها إيطالية في تجارة اليمن، وأن المصالح البريطانية لن تصاب بالضرر بالاتفاقات الإيطالية اليمنية، لا، ولن تتأثر المفاوضات البريطانية مع الإمام من جراء ذلك. (ورغم هذه التأكيدات البرلمانية فقد أبدت الصحافة البريطانية امتعاضها من ذلك بسبب اعتقادها بأن الإمام كان مجبراً على السماح لإيطالية باحتكار التجارة مع اليمن)[١].

ومع ذلك فإنه في الواقع قد أخذ في تحويل تجارة الجلود من عدن إلى مصوع، كما أن إيطالية قدمت عوناً إلى الإمام طائرات وذخائر حربية؛ لكي يحمي نفسه من تهديدات ابن سعود على حدوده الشمالية. وبالرغم من حاجة الإمام الماسة إلى الدعم ضد ابن سعود وبريطانية فإنه كان شديد الحذر في عدم تسليم أمره جملة إلى إيطالية.

وفي سنة ١٩٢٨ خلف السير ستيوارت سيمس اللواء كيث ستيوارت مقيماً في عدن، واتخذت الحكومة الإيطالية بعض الإجراءات المحلية لتهدئة خاطر بريطانية في ذلك الوقت. فقد وجه السنيور زولي حاكم أريترية دعوة غير رسمية إلى سيمس ليقضي معه بعض الوقت في أسمرة. وطلب سميس الإذن لذلك من وزارة الخارجية وحصل عليه، واستغل

(١) ما بين القوسين من كلام المؤلف.

سميس هذه الزيارة لإقناع زولي بالحد من التآمر الإيطالي في اليمن، وأبلغ زولي بطريقة لبقة بأن الحكومة الإيطالية كانت تعد السياسة المندفعة التي كانت ينتهجها جاسباريني - سلفه - مكلفة، وأنه - أي زولي - ربما يرغب في انتهاج سياسة أقل عدوانية في المستقبل. ولكن وبالرغم من الصداقة الشخصية التي نمت بين الرجلين فإن الزيارة من الناحية الدبلوماسية لم تحقق نجاحاً كبيراً.

في السنوات التي تلت اتفاقات سنة ١٩٢٦ و١٩٢٧ استغل الإيطاليون رغبة اليمن في استخدام أطباء أوربيين كوسيلة تمكنهم من أن يكون لهم عمل في اليمن. فالدكتور موريس، مثلاً، دخل البلاد لأول مرة في سنة ١٩٣٦ وبقي هنالك عشرين عاماً. وسيزر انسالدي الذي ظل طبيباً للإمام عدة سنوات تمكن من التنقل في البلاد على نطاق واسع يمارس مهنته بين القبائل اليمنية منذ سنة ١٩٢٦، أما في سنة ١٩٣٤ فقد هزم ابن سعود الإمام الذي كان يحاول التوسع داخل المملكة العربية السعودية عن طريق العمليات الحربية على الحدود، وكان جيش ابن سعود يتفوق بعدد جنوده على اليمنيين الذين كان يعوز قواتهم النظام. ولذلك أصيبت نوايا الإيطاليين بنكسة عظيمة. وكان في اتفاقية صنعاء نصر معنوي لبريطانية.

وفي أثناء مفاوضات اتفاقية الطائف التي جرت في أيار/مايو من سنة ١٩٣٤ بين العربية السعودية واليمن أصر ابن سعود على الحد من التغلغل الإيطالي في اليمن، ولكن في سنة ١٩٣٦ تم تجديد المعاهدة الإيطالية اليمنية لسنة ١٩٢٦ مدة سنة أخرى، وبقي الأطباء الإيطاليون العملاء، وقام أحدهم واسمه ايتروي روسي بجولة في البلاد ذلك العام.

وحتى ذلك الوقت لم يفلح الإمام في إنتاج ذخيرة الأسلحة الصغيرة دون عون الأوربيين، ومنذ سنة ١٩٢٠ أخذ في الاعتماد على نمساوي

يدعى جورج غيريشيش ليدير له مصنع قذائف البنادق (الفشك) في صنعاء. وكان هذا المصنع في قصر غمدان قلعة صنعاء، وكان في هذه القلعة أيضاً السجن[١] ومصنع سك العملة، وكان المصنع يقوم بإعادة تعبئة الخراطيش الفارغة كما يقوم بصنع نوع بدائي من طلقات الرصاص. وكان الرصاص يستورد لهذا الغرض بينما تنتج النترات محلياً.

وفي سنة ١٩٢٥ أنشئ مصنع ذخيرة آخر مكان المصنع الذي كان يديره غريشيش واختير للإشراف على هذا المصنع إيطالي اسمه رومولو كيبريسي كان يعمل مع شركة بولونيا بيروتكنيكا. ويمكن القول بأن كيبريسي أصبح بذلك رائد التطور التقني في اليمن، وبعد أن تسلم كيبريسي المشروع بدأ في جمع المعدات اللازمة له. ووصل إلى الحديدة في ٢٦ شباط/فبراير سنة ١٩٢٦، ومعه معظم المعدات، إلا أنه مر عام آخر قبل أن تصل المعدات الضرورية كلها إلى صنعاء. وبعد مزيد من الأخير تم أول إنتاج للمصنع في الأشهر الأولى من سنة ١٩٢٨، وأصبح كيبريسي المهندس الأول لدى الإمام، وأوكلت إليه المشروعات الهندسية العامة. فقام بإنشاء مضخة المياه بالروضة بعد أن بدأ مصنع قذائف البنادق (الفشك) إنتاجه، كما قام بمسح طريق بين الحديدة وصنعاء. غير أن إيطالية استدعته أخيراً في الثلاثينيات وبلغ مرتبة عالية في بولونيا بيروتكنيكا، وحل محله في اليمن رباعي عجيب من الفنيين الإيطاليين مكون من ميكانيكي عام وسباك وعامل لاسلكي ونجار.

وقد بلغت المصالح الإيطالية في اليمن مستوى عالياً في أواسط الثلاثينيات، وفي سنة ١٩٣٦ نشر في روما كتاب سالفاتور أبونتي عن اليمن[٢].

---

(١) ولا يزال.

(٢) نقله إلى العربية المرحوم الدكتور طه فوزي باسم (مملكة الإمام يحيى) (المعرب).

وفي العام التالي وصل جاسباريني إلى صنعاء على رأس بعثة دبلوماسية تحف بها الأبهة والفخامة وقد أنفقت عليها إيطالية ببذخ، وتم توقيع اتفاقية صداقة جديدة وكان من بنودها اعتراف الإمام بشرعية سيادة إيطالية على الحبشة، وكان طبيب الإمام الشخصي في ذلك الوقت ولعدة سنوات هو الدكتور إميليو دوبيوسي ويعاونه حوالي اثني عشر طبيباً إيطالياً.

وفي سنة ١٩٣٨ كان لموسوليني سبعة من الممثلين الدبلوماسيين، في حين لم يكن لبريطانية غير وكيل واحد، وهو موظف سياسي يدعى صلاح جعفر، ولم يكن سبب بقائه هناك إلا تسامحاً من الإمام وانحصر نشاطه في منطقة الحديدة.

وقام الإيطاليون في أوائل عام ١٩٣٨ ببعض المحاولات للتوصل إلى تفاهم مع البريطانيين.

وفي نيسان/أبريل تم توقيع الاتفاق الأنجلو - إيطالي الذي وضعت بنوده نهاية لأحلام إيطالية في إقامة إمبراطورية في جنوب الجزيرة العربية. فاتفقت بريطانية العظمى وإيطالية على احترام استقلال الأراضي اليمنية وسلامتها وعدم السعي للحصول على أية امتيازات في اليمن أو المملكة العربية السعودية. غير أن النفوذ الإيطالي ظل مسيطراً في اليمن حتى فترة طويلة أثناء حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وقد استمرت محطتان للإذاعة مواليتان للمحور في البث حتى أغلقهما الإمام أخيراً، وبالرغم من أن الإمام استمر في دعايته ضد بريطانية في بداية الحرب وذلك في جريدته (الإيمان) إلا أنه خفف من لهجته ضد الحلفاء بعد هزيمة الألمان في العلمين، وفي ٢٦ شباط/فبراير سنة ١٩٤٣ قطع علاقته نهائياً مع دول المحور، وحبس أو طرد أعضاء البعثة الطبية الإيطالية، وكان ذلك بضغط السلطات البريطانية في عدن.

❁ ❁ ❁

## VII

# فرنسة ومشروع الخط الحديدي ١٩٠٩ - ١٩١٢

بينما كان النشاط الإيطالي في اليمن أكثر تركيزاً من نشاط أية دولة أوربية أخرى بين عامي ١٩١٨ - ١٩٣٩ فإن فرنسة لم يكن يعوزها الاهتمام بذلك القطر، ففي وقت مبكر من القرن قامت بمحاولات جريئة لتجد نفسها موضعاً في الاقتصاد اليمني، وذلك لاستكمال مجهوداتها على الشاطئ المقابل من البحر الأحمر، فبين سنتي ١٩٠٢ - ١٩٠٨ عهدت الحكومة العثمانية في بناء حواجز ورصيف في ميناء الحديدة إلى مهندس فرنسي تعاقد بدوره تعاقداً فرعياً مع أحد الإيطاليين لتنفيذ هذا المشروع. ولكن المشروع لم يحظ بالإشراف الكافي من قبل الحكومة العثمانية، ولم يكتشف مدى سوء تنفيذه إلا بعد إتمام العمل في الميناء، وكان المشروع في جملته غلطة كلفت الحكومة العثمانية ١٤,٠٠٠ جنيه إسترليني. وحتى أوائل الخمسينات حين تم تنظيفه فإنّ هذا المرفأ الصغير الذي يتكون من حاجزين للأمواج وجدار واق، ظل مليئاً بالطين والرواسب إلى درجة لم يمكن من الممكن معها حتى استخدامه أرصفة للناقلات الصغيرة المحملة، ولم يكن من الممكن أن تدخل إليه إلّا السفن الشراعية الصغيرة فقط. وكان على السفن الشراعية الكبيرة والبواخر أن ترسو في المجاري البحرية على بعد ميلين أو ثلاثة من الساحل، وبعد عام ١٩٠٦ وضع الأتراك خططاً لإنشاء ميناء عمقه

خمس قامات[1] في خليج الجبانة على بعد ١٧ كيلو متراً من شمالي الحديدة بين رأس الكتيب والبر الرئيس، وكان الهدف أن يتسع الميناء لرسو ١٢ سفينة تفرغ حمولتها في الوقت نفسه على رصيف من الحجر، وكان يزمع ربط هذا الميناء بخط حديدي مع الحديدة. وأعطى امتياز بناء الخط الحديدي والميناء وعقده إلى شركة فرنسية على رأسها البنك الفرنسي للتجارة والصناعة، وأطلق عليها اسم شركة الحديدة - صنعاء العثمانية والخط الحديدي الفرعي، وكانت قيمة العطاء ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه (مليونين من الجنيهات الإسترلينية).

وفي شباط/فبراير سنة ١٩٠٩ اقترح أ. زابوريسكي المستشار الهندسي للشركة أن يوكل أمر إدارة المسح إلى أ. ج. بنيتون وهو فرنسي كان تابعاً له يعمل في تركية والصين. وقد استمرت أول بعثات بنيتون إلى اليمن من آب/أغسطس سنة ١٩٠٩ إلى تموز/يوليو سنة ١٩١٠. وكانت النتيجة مشروعاً لمد خط حديدي من رأس الكتيب عبر الحديدة فباجل فعبال فصنعاء إلى عمران عن طريق وادي سهام ووادي...، ولم يقبل هذا الاقتراح جملة، وذلك لاعتبارات مالية أخرى تتعلق بحالة الأمن في المناطق المحيطة، إلا أن الموافقة قد تمت بمد خط حديدي عبر تهامة ماراً بباجل والحجيلة، وبدأ العمل فعلاً في هذا الخط. وقام بنيتون برحلة أخرى بين كانون الثاني/يناير من سنة ١٩١١ وتشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩١٢ ليبت في أمر مد خط بديل يمر بأغنى المراكز في اليمن كبيت الفقيه، وزبيد، وتعز، وإب، وبريم، وذمار، ومعبر، وصنعاء، وعمران، غير أنَّ الحكومة العثمانية لم توافق على الصرف إلا على الخط الواصل إلى تعز. وأثناء ذلك وصل بعض المهندسين من أوربة ليبدؤوا العمل في رأس الكتيب.

---

(١) القامة: Fathom مقياس لعمق المياه ويساوي ٦ أقدام. (المعرب).

وفي آذار/مارس من سنة ١٩١١ بدأ إنشاء الخط الحديدي دون عمل الترتيبات اللازمة لإنزال المعدات الثقيلة. بعد ٩ أشهر أصاب التلف معدات قيمتها مليونا فرنك ظلت مكدسة في رأس الكتيب، وحتى نهاية سنة ١٩١١ وبعد اتفاق كلفته نحو ٥٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني لم يتم بناء مرفأ ولم يتم ربط رأس الكتيب بالحديدة. ولم يتم أيضاً مد أكثر من خمسة أميال من قضبان السكة الحديدة. وبسرعة صرف النظر عن المشروع.

وبعد القصف الإيطالي للحديدة خلال الحرب الإيطالية التركية في سنة ١٩١٢ وحتى عام ١٩١٣ لم تزل المباني المصنوعة من الحديد المموج (الزنك) في رأس الكتيب في حالة جيدة، كما كانت قاطرة معها عربتان تركت مهملة على الخط الحديدي، والرصيف المؤقت الذي بني في رأس الكتيب لإنزال الأحجار المجلوبة لبناء الخط من جزيرة زقر ما زال موجوداً. وهكذا تمخض هذا المشروع الضخم عن لا شيء.

هذا المثال المحزن لعدم كفاءة العثمانيين كان فوق احتمال الفرنسيين، فلم يحاولوا القيام بأية مشروعات أخرى في اليمن في ذلك الوقت، ولو أنهم في آب/أغسطس سنة ١٩١٢ عينوا المسيو روكس نائب قنصل لهم بالحديدة لأول مرة.

وخلال سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ جند معظم الفرقة الصومالية في الجيش الفرنسي والبالغ عدد أفرادها ١,٤٠٠ باليمن. وقتل منهم ٤٠٠ في أثناء الحرب، وأشيد بشجاعة هذه الفرقة.

كان الفرنسيون يقومون بنشاط واسع في اليمن خلال العقد الذي بدأ في سنة ١٩٢٢. ففي ذلك العام نزل في المخا أحد المنقبين عن البترول واسمه فبنسينت شاراو، وسافر إلى صنعاء بطريق تعز. وبعد فترة قصيرة تبعه المسيو سيكارد الذي أولاه الإمام من حسن الاستقبال ما جعله يمكث في صنعاء عدة أسابيع، بينما كانت المحادثات تجري مع الإمام بغية إقناعه بشراء

محطة لاسلكي تمكنه من الاتصال المباشر بجيبوتي. وعاد شاراو إلى اليمن مرة أخرى في سنة ١٩٢٩ وبعد نزوله في الحديدة تمكن بعد زيارة صنعاء من الوصول إلى حجة وعمران والقيام برحلة في وادي بنا.

وقامت الدول الأوربية بعدة محاولات لاستنباط البترول من جزر البحر الأحمر قبل سني الحرب (١٩١٤ - ١٩١٨) وبعدها، لكي لا يكونوا خارج حلبة السباق قرر الفرنسيون أن يكون اليمن منطقتهم للتنقيب عن البترول. وبالتالي قام في سنة ١٩٣١ الجنرال جاسوين مدير الشركة الفرنسية الأمريكية للنفط (ستاندارد أويل كومباني) بإرسال بعثة مكونة من جيولوجيين أمريكيين متخصصين في النفط هما ألفريد إيلي ور. أ. ماكفا فارن ليدرسا إن كان استخراج الزيت سيكون مجزئاً، كما أرسلت شركة فرنسية بيير لامير الجيولوجي للبحث عن مناطق ترسب المعادن في البلاد. وأوكل متحف التاريخ الطبيعي بباريس إلى لامير مهمة القيام بمسح جيولوجي. وبعد أن لحق بايلي وماكفافارن بجيبوتي غادر المخا يصحبه أيضاً شاراو الذي عين منظماً للحملة. ومن المخا اتجهت الجماعة إلى صنعاء بطريق تعز فيريم، فإب، وذمار وغادروا بطريق ذمار - يريم - قعطبة - الضالع إلى عدن. وقدموا إلى الإمام هدايا ثمينة، وعرض الفرنسيون استعدادهم لفتح المخا كميناء وأن يشتروا كميات كبيرة من البن ويبيعوا الأسلحة والذخائر إلى حكومة اليمن، ولكنهم عادوا دون تأكيدات إيجابية من الإمام.

في سنة ١٩٣٢ جرت محاولة أخرى لكسب الإمام حين اكتشفت سفينة مسح فرنسية إمكانية بناء مرفأ على بعد نصف ميل من شمال الحديدة، بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل حين رفض الإمام عرضهم لإنشاء ميناء هناك دون مقابل.

وقبل ذلك بعامين حدث شيء مماثل حينما فشلت بعثة ميفري، وكان روجر ميفري الوزير الفرنسي المفوض بجدة وأحد قدماء السلك العسكري

والإداري في المغرب، قد جاء على رأس وفد في محاولة لتوقيع اتفاقية صداقة مع الإمام في سنة ١٩٣٠. وفشلت البعثة لأنها لم توافق على طلب الإمام الاعتراف بسيادته على الجزء الغربي من محمية عدن وحضرموت. ولم يحرز أي نجاح إلا بعد مضي ست سنوات. ففي سنة ١٩٣٦ قضى البروفسور روبير مونتاغ مدير المعهد الإسلامي بدمشق ومؤسس مركز الدراسات الإدارية الإسلامية العليا ومديره في باريس بضعة أسابيع في اليمن. وتم في الخامس والعشرين من نيسان/ أبريل التوقيع على معاهدة صداقة بصنعاء، ووقع عن الجانب الفرنسي روجر ميفري وعن الجانب اليمني راغب بك وزير الخارجية.

بيد أن بعض المشاكل بقيت معلقة ونجمت بعض الصعوبات، وذلك لأنّ الفرنسيين تمسكوا بمطالبتهم بالشيخ سعيد بحجة أنها لهم بموجب امتياز منح لهم في عام ١٨٧٠. وعلى كل حال فقد تمت المصادقة النهائية على هذه المعاهدة في صنعاء بعد مرور عام تقريباً وذلك في ٤ شباط/ فبراير من سنة ١٩٣٧، ونشرت في الجريدة الرسمية في باريس في ٢٢ نيسان/ أبريل.

وقد سهلت هذه العلاقات الرسمية مع الإمام قيام العالم الأموي المشهور جولس بارثوكس ومصوره كليمنت بزيارة لبعض الخرائب في منطقة وادي الخارد في سنة ١٩٣٨، إلا أنه لم تحدث أي اتصالات دبلوماسية أخرى حتى حلول العام التالي. وفي محاولة لجبر خاطر الإمام في موضوع الشيخ سعيد أرسل الوزير الفرنسي المفوض في جدة في ذلك الوقت بياناً إلى الإمام يقول فيه: إن فرنسة لن تصر على حقوقها في الشيخ سعيد إذا ما وافق الإمام على عدم منح امتيازات لأية دولة أخرى في بلده، إلا أن الحرب عرقلت سير المفاوضات ولم تصل فرنسة واليمن إلى اتفاق بصفة نهائية حتى عام ١٩٤٦.

❀ ❀ ❀

VIII

# الأمريكيّون والألمان والهولنديّون واليابانيّون في اليمن ١٩٢٠ - ١٩٤٠

لم يزر اليمن من الأمريكيين حتى سنة ١٩٤٥ سوى عشرين شخصاً. ففي عام ١٨٩٢ وعام ١٨٩٤ زار صنعاء الدكتور صمويل زويمر من البعثة العربية التابعة للكنيسة الإصلاحية Reform الهولندية بأمريكة، وجاء أيضاً مبشر آخر يدعى شارلس ف. كامب ومعه زوجته إلى صنعاء من الحديدة في سنة ١٩٠٥ حيث أمضيا بضع سنين في المنطقة ثم استقر بهما المقام في مناخة. وفيما يبدو أن كامب قتله الأتراك في وقت لاحق.

وبعد مضي خمس سنوات قام شارلس ك. موسر قنصل الولايات المتحدة في عدن برحلة إلى هناك ليستفسر عن أسباب موت كامب.

وقام أمين الريحاني الأمريكي الشامي الأصل برحلة طويلة في اليمن في سنة ١٩٢١ - ١٩٢٢ ظاهرها الدعوة إلى توحيد الصف العربي، واتضح في ذلك الوقت عدم جدوى عمليات التنقيب عن النفط التي كان يقوم بها فريد إيلي ور. أ. ماكفافارن.

وفي بداية سنة ١٩٢٦ قام رجل الأعمال الأمريكي الخيّر شارلس كرين ذو الاهتمام الكبير بالعالم العربي بزيارة الإمام في صنعاء بغية التبرع بمعونات تساعد الإمام على تطوير بلده. ونتيجة لهذه الرحلة قام المهندس

كارل تويتشيل الذي كان لوقت طويل حجة في شؤون المملكة العربية السعودية ولوي هوايتينج بزيارة إلى اليمن في سنة ١٩٢٧ ثم في سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٤٧. ولم تكن هذه الزيارات ولا تلك التي قام بها فريد ايلي ور. ا. ماكفافارن في سنة ١٩٢٣ للتنقيب عن البترول مفيدة، وبالتأكيد لم يكن هنالك نفط بكميات تجارية. غير أن تويتشيل استطاع أن يقدم بعض المشورة فيما يختص ببناء الطرق والجسور، ويمكن حتى الآن مشاهدة نتيجة هذه الجهود.

وفي سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٨ قام جيمس لودار بارك نائب القنصل الأمريكي في عدن بزيارة ودية للإمام. وفي سنة ١٩٣٣ قام الدكتور كارليتون س كون وزوجته ورالف فوربس برحلة قصيرة أنتروبولوجية دراسية إلى ذلك القطر. كما وصل إلى الحديدة في سنة ١٩٣٧ جيولوجيان أمريكيان من المتخصصين في شؤون النفط للتنقيب. إلا أن حظهما لم يكن أفضل من حظ من سبقهما.

وقد كان من المعروف منذ سنة ١٩١٠ أن في جزر فرسان صخوراً تحتوي على النفط. وقام الألمان الذين منحتهم الحكومة التركية امتياز التنقيب بسبر المنطقة. غير أن الأمر لم يتعد هذه العمليات الأولية التي لم تسفر عن نتائج مرضية، ولم يحرز أي تقدم آخر قبل استيلاء الإدريسي على هذه الجزر في سنة ١٩١٢.

وسبق للألمان استخدام تلك الجزر لبضع سنين في الماضي. فقد سمح لهم السلطان عبد الحميد بإقامة محطة وقود هناك في نهاية سنة ١٩٠١. وبدؤوا باستخدام جزيرة (قم KHUM) غير أنهم في سنة ١٩٠٢ حولوا نشاطهم إلى أصغر الجزيرتين الرئيستين، تلك التي أطلق اسمها على بقية مجموعة الجزر. ولم تعمر المحطة طويلاً إذ سرعان ما هجرت.

وفي آذار/ مارس سنة ١٩١٣ حاولت الحكومة الألمانية أن ترتب مع الأتراك تأسيس محطة وقود في المخا. أما البعثة الألمانية إلى الإمام في سنة ١٩٢٦ التي كان على رأسها وايز سونينبريدج الوزير المفوض في أديس أبابا والوفد الآخر الذي ذهب إلى صنعاء في سنة ١٩٣٠ وبقي بها ٦ أسابيع فإنّ نتائجهما لم تسفر عن شيء يذكر. وكان سبب فشل الوفد الثاني أن الألمان، كالفرنسيين، لم يعترفوا بسيادة الإمام على محمية عدن (وذلك لمضايقة الإيطاليين أكثر منه لإرضاء الإنجليز) ومرد نجاح الألمان الوحيد في اليمن قبل نهاية الحرب العالمية الثانية يعود إلى نشاطهم في تجارة البنادق في عامي ١٩٣٤ و١٩٣٧ وهذا النشاط وحده كان شبه رسمي.

في الثلاثينيات وقع الإمام معاهدات صداقة مع[1] الحبشة وتركية، وفي سنة ١٩٣٢ وقع أيضاً معاهدة مع العراق. وفي أيار/مايو سنة ١٩٣٤ وقع اتفاقية الطائف مع العربية السعودية لإنهاء الحرب مع ابن سعود. وفي ربيع سنة ١٩٣٧ أمكن إقناعه بالالتزام بمعاهدة التضامن والصداقة العربية بين السعودية والعراق. ورحبت الأقطار الثلاثة بالتوقيع على تلك المعاهدة باعتبارها خطوة عظيمة في طريق الاتحاد العربي الذي سيقف في وجه الصهيونية، ولكنه، أي توقيعه المعاهدة، كان ذا مغزى أكبر في تجربة وضع أساس الجامعة العربية بعد حوالي تسع سنوات.

وكان لليابان نشاط تجاري كبير مع اليمن بين عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٩ واستطاعت أن تحتكر نحو ٨٥٪ من تجارة المنسوجات تاركة بقية النسبة المئوية لبريطانية العظمى والولايات المتحدة الأمريكية وإيطالية. وفي الواقع فقد كان معظم المصنوعات القطنية والصوفية والحريرية الواردة إلى اليمن قبل سنة ١٩٣٠ ترد من اليابان.

(١) راجع مقدمة كتابنا عن علاقة اليمن الخارجية زمن الإمام يحيى: (وزارة الخارجية إحصاءات ووثائق) ١٩٧٦. (المعرب).

وفي سنة ١٩٣٨ بعث الإمام يحيى ابنه الرابع سيف الإسلام الحسين إلى طوكيو ليحضر افتتاح أول جامع في اليابان في ١٢ أيار/مايو من ذلك العام. وأبحر الحسين بصحبة عدد من المستشارين الإيطاليين على ظهر السفينة كونت فيردي من برنديسي. وتم هناك تكوين جمعية يابانية يمنية لتقوية أواصر الصداقة بين البلدين. ولكن بعد إعلانها لم يسمع شيء عنها. ومما لا شك فيه أن انشغال اليابان بالإعداد للحرب العالمية الثانية أدى إلى إهمالها.

وكانت الأقطار الأجنبية الرئيسة المتنافسة في كسب رضا الإمام بين سنتي ١٩٢٠ - ١٩٣٩ هي: إيطالية، وفرنسة، وألمانية، واليابان، وروسية. وقد دخلت روسية القطر اليمني قبل سنة ١٩٣٨ بيد أن نشاطها أخذ يزداد أهمية منذ عام ١٩٥٠ فما بعده. وما عدا ذلك فإن (الأراضي المنخفضة) كانت البلاد الأوربية الوحيدة التي دخلت في علاقات رسمية مع الإمام. فقد كان لبلجيكا قنصل فخري في جدة لعدة سنوات يدعى ديبوي، وكان برتبة عقيد احتياطي في الجيش البلجيكي. وعاش هذا الرجل في البلدان العربية أكثر من ثلاثين عاماً، وكان يقوم بأمر المخابرات السرية ويذيع عن نفسه أنه من أصل عربي منتحلاً اسم الشيخ إبراهيم، ولكنه كان في حقيقة الأمر ضمن أشياء كثيرة، ممثلاً لشركة الصناعة الوطنية بليج Fabrique National of Liege. وأمضى معظم وقته يتجر بالأسلحة في الشرق الأوسط، وتمكن من الفوز برضا كثيرين من الحكام العرب. وحين حل في صنعاء سنة ١٩٣٦ وقِّعَت معاهدة صداقة بين اليمن وبلجيكا.

ومنذ إهمال مركزهم التجاري في المخا في القرن الثامن عشر لم يكن للهولنديين كبير اتصال باليمن. إلا أنه في سنة ١٩٢٦ أسست قنصلية هولندية في جدة لرعاية شؤون الحجاج الأندونيسيين القادمين إلى مكة.

وعين لها قنصلاً الدكتور دانيال فان دي مولين الذي اشتهر برحلاته واكتشافاته في حضرموت، وقام برحلة استكشافية في اليمن سنة ١٩٣١ حيث سافر من الحديدة إلى صنعاء عن الطريق الجنوبي. وتمت له مقابلة ودية مع الإمام يحيى، كما قام بزيارة سيف الإسلام أحمد في حجة وسيف الإمام محمد الذي كان حاكماً على الحديدة.

وفي سنة ١٩٣٣ عين المستر أدريانس قنصلاً لهولندة في جدة، فقام في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل من ذلك العام بزيارة صنعاء وأمضى اتفاقاً تجارياً مع الإمام. وبعد تسع سنوات عاد فان دي مولين مرة أخرى قنصلاً إلى جدة وأذن له رسمياً بأن يقوم بزيارة مجاملة أخرى للإمام.

وقد تسببت الحرب في قلة وسائل المواصلات البحرية فسافر فان دي مولين براً من جدة إلى الحديدة عن طريق اللحية. وبمساعدة أولاء استطاع أن يسلك المسالك نفسها التي سلكها جيش الأمير فيصل في ربيع سنة ١٩٣٤ فوصل إلى صنعاء في آب/ أغسطس سنة ١٩٤٢، وعاد إلى اليمن في سنة ١٩٥٨ لزيارة الإمام أحمد في تعز.

وبالرغم من كثرة تيارات النفوذ الأجنبي في اليمن بين الحربين العالميتين فإن مشاكل بريطانية العظمى في عدن تركزت بشكل رئيس في تصفية منازعات الحدود مع الإمام يحيى وإنهاء النفوذ الإيطالي في اليمن وإقرار الأمن في الأراضي الداخلية الواقعة بين ساحل المحميات واليمن. وبنشوب الحرب العالمية الثانية اتجهت معظم الجهود السياسية إلى مسألة حياد اليمن.

❀ ❀ ❀

IX

# الحرب العالمية الثانية ومقدماتها

في كانون الثاني/يناير من سنة ١٩٣٧ وقبل إجبار القبائل اليمنية بقيادة القردعي على الجلاء عن شبوة في تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٣٨ بفترة طويلة، حاولت قبائل عبيدة التي كانت منطقة شبوة تشكل المجال الرئيس لنشاطها حاولت التقرب إلى السلطان في عدن.

وبعد عام وجهت الدعوة إلى سيف الإسلام الحسين لزيارة إنجلترة. وفي الثالث من كانون الثاني/يناير سنة ١٩٣٨ وبمناسبة افتتاح القسم العربي للإذاعة البريطانية أذاع هناك كلمة ودية. ولكن الإمام لم يكن راضياً عن اتصالات بريطانية بقبائل شبوة وزاد الأمرَ سوءاً منح السلطات لبريطانية (شركة امتيازات البترول المحدودة) البريطانية Petroleum Concessions Ltd ترخيصاً للتنقيب عن البترول في محمية عدن كلها. وكان احتمال وجود البترول في منطقة شبوة معروفاً لدى الإمام منذ وقت طويل، وكان بطبيعة الحال تواقاً إلى ضمان أي فوائد يمكن الحصول عليها من تلك المنطقة لمصلحة مملكته. ونظراً لأنه من ثم لم يكن على استعداد لقبول أن تكون شبوة ضمن إطار محمية عدن فقد اتجه، دون طائل، إلى الإيطاليين لدعم طلبه، في حين استمرت بريطانية تحتل مركز بوليس صغير في حصن العبر على بعد حوالي خمسة وخمسين ميلاً شمال شبوة.

وبما أن الفرنسيين كانوا يتوقعون نشوب حرب سنة ١٩٣٩ فقد حاولوا الحصول على وعد بحياد اليمن من سيف الإسلام أحمد حين مر بباريس في طريقه إلى لندن سنة ١٩٣٩[١].

وكان أحمد يحمل رسالة من الإمام إلى الملك جورج السادس يحتج فيها على النشاط البريطاني في شبوة، غير أن الرسالة كتبت بأسلوب ودي ولم تحمل تهديداً بالقيام بأعمال انتقامية. ومع ذلك فإنه حين نشوب الحرب في أيلول/ سبتمبر ورغم تسلل اليمن إلى مناطق وادي مرخة وبيحان فإن وزير الخارجية راغب بك أصدر تصريحاً رسمياً بالحياد. وبشكل عام فإن العلاقات البريطانية - اليمنية استمرت ودية بالرغم من أن (نظام ضباط الحدود) Frostier officer System أبطل تدريجياً.

وكان الدكتور ب. و. ر. بيتري الذي أرسل إلى العاصمة اليمنية في أوائل عام ١٩٣٧ مشرفاً على البعثة الطبية البريطانية في صنعاء واحداً من أحسن السفراء البريطانيين غير الرسميين فيما يختص بالحفاظ على العلاقات الطبية بين البلدين. وكانت البعثة مكونة من أعضاء بعثة كيث - فولكونر الطبية بالشيخ عثمان التابعة للكنيسة الاسكوتلاندية.

وقد سبق للدكتور بيتري القيام من عدن في كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩٣١ بزيارة إلى اليمن حيث بقي أسبوعين في تعز، باشر خلالهما علاج زوجة ابن سيف الإسلام أحمد. وقد أدّت هذه الزيارة ثم إقامته سبع سنوات مع زوجه وطفله في صنعاء دوراً كبيراً في الحفاظ على العلاقات الطبية بين بريطانية واليمن.

---

(١) لعل المؤلف يقصد سيف الإسلام الحسين، إذ إن سيف الإسلام (الإمام) أحمد لم يغادر اليمن إلا في زيارته المشهورة للمعالجة في روما، عام ١٩٥٩. (المعرب).

وكان في سقوط الصومال البريطانية في أيدي الإيطاليين سنة ١٩٤٠ خطر واضح على البريطانيين في عدن. ولم يكن بوسع الإمام، رغم حيادة المعلن، أن يمنع غزو الإيطاليين سهول تهامة الساحلية. وكان أهل تهامة الذين هم في معظمهم من السُّنّة على استعداد للترحيب بأي غاز يساعدهم على الإطاحة بالأسرة الشيعية الزيدية الحاكمة.

وإزاء مشكلة إقناع الإمام بأن بريطانية سوف تكسب الحرب فقد قام حاكم عدن السير جون هاتهورن هول بإرسال رسالة إلى الإمام يقترح عليه فيها إرسال بعض الرسميين في زيارة صنعاء. وكان رد الإمام سريعاً ومشجعاً، فسار العقيد لايال المستشار السياسي بعدن إلى صنعاء في بداية شباط/فبراير سنة ١٩٤٠. وخلال بقائه هناك الذي استمر ستة أسابيع استقبله الإمام استقبالاً طيباً وكانت رحلته ناجحة نجاحاً كاملاً. وقد اصطحب العقيد لايال معه صديقته الآنسة فريا استارك التي كانت تعمل مع حكومة عدن حينذاك والتي استطاعت الدخول على نساء الأسر المهمة في صنعاء وتعز وذلك لاستعمال نفوذ النساء ضد الدعاية الإيطالية. وكانت نتيجة نجاح مقابلات العقيد لايال مع الإمام تدبير زيارة أخرى إلى صنعاء. وقد قام بها هذه المرة ريجينالد شامبيون الذي أصبح حاكماً لعدن في سنة ١٩٤٤. وكانت الغاية من زيارته للإمام في سنة ١٩٤٠ هي بصفة رئيسة إيجاد حل للخلاف حول مسألة شبوة. ومع أن إيجاد مثل هذا الحل قد تعذر إلا أنه أمكن، على الأقل، إقناع الإمام بالبقاء في موقف حياد تجاه الحرب الأوربية. إلا أن الإنجليز رأوا أنه من الضروري مواصلة الضغط، ففي العام التالي بعث السير جون هاتهورن هول بسكرتيره الأول هارولد انجرامز إلى صنعاء لمناقشة طرق مناقشة مسائل الحدود ووسائلها، وقد وصل أنجرامز إلى العاصمة اليمنية تصحبه زوجته في ٢٥ نيسان/أبريل سنة ١٩٤١ بعد أن مرّ بتعز والمخا والحديدة.

وقد جاء نجاح زيارته متأخراً بعض الشيء إذ إن الإمام قطع علاقاته الدبلوماسية مع إيطالية في سني الحرب الأولى.

وفي كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٤١، أي بعد مضي ثمانية أشهر على محادثاته مع أنجرامز صرف الوزير الألماني المفوض باليمن، وبعد ذلك بما يزيد عن العام قليلاً قطع علاقاته بدول المحور وحبس معظم رعايا تلك الدول الذين كانوا يعملون في اليمن في ذلك الحين.

وفي أواخر سنة ١٩٤٣ انتشر وباء التيفود في صنعاء بصورة خطيرة، وكان في ذلك ضربة عنيفة للبعثة الطبية البريطانية هناك. فقد أصيبت الآنسة كاوي وهي إحدى ممرضات البعثة بهذا الداء، وقرر الدكتور بيتري أن يأخذها وبقية أفراد البعثة إلى عدن. وفشلت كل المحاولات لعودة البعثة إلى اليمن مرة أخرى.

واستمرت المناوشات على الحدود خلال الحرب واحتلت بعض القبائل اليمنية البيضاء لبعض الوقت في سنة ١٩٤١.

وفي عامي ١٩٤٣ - ١٩٤٤ حدث اعتداء خطير على الحدود في أقصى الجنوب الغربي للمحمية. ففي نهاية سنة ١٩٤٣ وضعت قوة يمنية صغيرة في حيد الماء Haid Al-Ma على جانب المحمية من الحدود، وتبع ذلك مفاوضات استطاع الإمام أن يطيلها مدة ستة عشر شهراً بينما كان يحاول أثناء ذلك كسب مساعدة الأمريكان والمصريين والسعوديين. وحين باءت محاولاته بالفشل سحب قواته في استياء لم يخف على أحد.

❁ ❁ ❁

# الفصل الخامس

# ملك آخر*

* لم نحاول التعقيب على أي خبر أو وجهة نظر (للمؤلف) في هذا الفصل مكتفين بتصويب اسم أو تاريخ نعرفه، وذلك منعاً للإطالة على أمور نختلف فيها مع المؤلف ولا زالت ماثلة في أذهان كثير ممن شاركوا في أحداثها وهم أحرى الناس بالكتابة عنها وإماطة اللثام عن كثير من خفاياها.

I

# مقتل الإمام يحيى

حين كان سيف الإسلام حاكماً على تعز تدهورت العلاقات بعد الحرب بسرعة بين اليمن وبريطانية، وأخذ أحمد يشجع علناً النشاطات التخريبية في محمية عدن. وانضمت اليمن إلى الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ وإلى هيئة الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧.

وفي شباط/ فبراير سنة ١٩٤٨ زار سيف الإسلام عبد الله لندن، وضرب نغمة مشجعة حينما طلب تسوية منازعات الحدود، وتعيين وزير بريطاني مفوضاً في صنعاء واستعارة بعض الخبراء الفنيين البريطانيين.

وبينما كان سيف الإسلام عبد الله يقوم بهذه الزيارة أخذت المشاكل تطل برأسها في بلده، وقعت اليمن لمدة عدة أسابيع فريسة للاضطرابات وسفك الدماء.

خلال سنة ١٩٤٧ تزايد التذمر داخل مملكة الإمام، كما بدأت بعض التحركات في الخارج (لتحرير) اليمن من قبل الجامعة العربية، وانتشرت الشائعات لبعض السنوات بتدهور صحة الإمام، وأصبح موضوع من يخلفه مثار التكهنات في أسواق صنعاء. ومما زاد الأمر سوءاً الخلافات بين الزيدية والشوافع، والغيرة والتنافس بين أبناء الإمام يحيى. وبدأ الخوض في مسألة إعادة إمارة الحديدة القديمة، وإحياء حزب الأحرار اليمنيين الذي كان يعمل سراً في عدن مدة عدة سنوات بدعم فعال من

سيف الإسلام إبراهيم، وكان الحزب يحظى بتعاطف كبير في عدن، وطالما اقتصر هدفه المعلن على الضغط على الإمام لإجراء إصلاحات، واقتصرت نشاطاته على التعبير عن الرأي فإن السلطات في عدن لم تر ضرورة للتدخل، وكانت دوافع إنشاء الحزب هي الوسائل الاستبدادية التي اتبعها الإمام في حكمه والتنافس بين أبنائه على خلافته.

وكان التدهور الذريع في صحة الإمام مثاراً للشائعات المتناقشة حول موته، فمن ناحية قيل: إنه كان يعاني من الشلل (الفالج)، ومن ناحية أخرى ورد خبر مبكر يقول بوفاته سنة ١٩٤٣[١]. ففي ١٥ كانون الثاني/يناير من ذلك العام قيل: إنه مات وإن علماء وأعياناً معينين في صنعاء قاموا باختيار السيد عبد الله بن أحمد الوزير خلفاً له. وقيل إن ذلك كان وفقاً للميثاق المقدس الذي قبلته الأمة بأجمعها قبل موته، أي موت الإمام، ولكن اتصال الوزير بذلك الإعلان نفي في مصر إن لم يكن في غيرها من الأقطار.

وكان السيد عبد الله بن أحمد الوزير في سنة ١٩٤٨ في الستين من عمره وكان صاحب أراضٍ وتاجر بُنٍّ ثرياً، وكان قبل ذلك بسنين أميراً (محافظاً) للواء تهامة (وعاصمته الحديدة) كما أنه مثل الإمام في مفاوضات اتفاقية الطائف التي جرت في أيار/مايو سنة ١٩٣٤. وكان ابن عمه السيد علي الوزير (٦٣ سنة) أميراً للواء الجنوبي (عاصمته تعز). وقد تم إقصاء الاثنين من منصبيهما ليحل محلهما أبناء الإمام.

وفي سنة ١٩٤٤ حين توفي السيد عبد القدوس من أسرة الوزير بالتيفود[٢]، وكان زوجاً لابنة الإمام يحيى وأميراً على اللواء الأوسط

---

(١) لعل هذا خطأ مطبعي صوابه سنة ١٩٤٨.

(٢) هو السيد عبد القدوس بن أحمد الوزير توفي في ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، وكان الإمام قد نقله قبل ذلك من ذمار إلى يريم التي أسعف منها قبيل وفاته إلى صنعاء.

(عاصمته ذمار) ألغى منصبه وأعيد تنظيم الإدارة في البلاد. وكان ثمة لواءان آخران هما لواء صنعاء واللواء الشمالي (عاصمته صعدة)، إلا أن إعادة تنظيم الإدارة هذا الذي قسم بمقتضاه القطر إلى أربع مناطق إدارية، ألقى بأزمة الحكم المحلي في أيدي سيف الإسلام أحمد وسيف الإسلام مطهر في لواء، وسيف الإسلام عبد الله في لواء، وسيف الإسلام حسن في اللواء الثالث، أما اللواء الرابع - أي لواء صنعاء - فقد كان تحت إدارة الإمام مباشرة.

وكان أول نقد علني وجه إلى طريقة الإمام يحيى في الحكم هو ذلك الذي أعلنه مطيع دماج[1]، أحد الأثرياء في عدن في ١٤ أيار/مايو سنة ١٩٤٤. وفي الرابع من حزيران/ يونيو انضم إليه أربعة من اليمنيين المعروفين، وهم الشيخ محمد أحمد نعمان، والسيد زيد المشكى[2]، والقاضي محمد محمود الزبيري، ومحمد الشامي[3]. وقد ساعدتهم صحيفة (فتاة الجزيرة) العدنية بلفت النظر إلى مُجْريات الأمور في اليمن.

ونتيجة لذلك التذمر والسخط نشأ حزب الأحرار اليمنيين، وبين تشرين الأول/أكتوبر وشباط/ فبراير من سنة ١٩٤٥ ظل الحزب يعمل في هدوء، ويرجع ذلك بصفة رئيسة إلى عدم التشجيع من قبل سلطات عدن، ولكن خلال سنة ١٩٤٥ وأوائل سنة ١٩٤٦ بدأ الحزب في تكوين حملة دعائية نشطة ضد الإمام بلغت أوجها في وقت زيارة سيف الإسلام أحمد لعدن في ١١ نيسان/أبريل سنة ١٩٤٦ بقصد استرضاء دعاة الإصلاح، وصرح لـ (فتاة الجزيرة) بأن الحكومة اليمنية ستقوم بإنشاء علاقات دبلوماسية مع العالم العربي، وسوف تستقدم بعثات أجنبية لاستغلال ثروة البلاد

---

(١) Mutib Bin Dumaj هكذا كتبه المؤلف.

(٢) Al - Muhki هكذا كتبه المؤلف.

(٣) هو السيد أحمد محمد الشامي السياسي والأديب اليمني المعروف.

المعدنية. كما قال: إن التعليم سيتوسع تمشياً مع سياسة الجامعة العربية، إلا أن الأحرار اليمنيين لم يقتنعوا بتلك التصريحات، وطالبوا بقيام جمعية لوضع الدستور مكونة من كبار الرسميين، ومنع أسرة الإمام من تولي أية مناصب حكومية، واستمر النقاش محتدماً بين اليمنيين الأحرار وممثل الإمام طيلة ستة أسابيع، وفي النهاية تم تشكيل (الجمعية اليمنية الكبرى) بعد أن تبرع لذلك الغرض ثلاثون من أثرياء اليمن، والتجار الشوافع من بقية أنحاء العالم الإسلامي بمبلغ ثلاثين ألف ريال (نحو من سبعة آلاف جنيه إسترليني). وبدأ إصدار صحيفة (صوت اليمن) كما صدر عدد كبير من الكتب والمنشورات الداعية إلى إجراء تغيير في نظام الحكومة.

وفي سنة ١٩٤٦ اندمج الأحرار اليمنيون في الجمعية اليمنية الكبرى. وفي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٤٦ وصل إلى عدن سيف الإسلام إبراهيم للانضمام إلى هذه الحركة الجديدة.

وفي أيلول/سبتمبر من سنة ١٩٤٧ قامت حملة جديدة ووجه الشعراء والكتاب جهودهم إلى التأليف في الدعاية ضد الحكومة بشكل لم يسبق له مثيل.

وقبل شهر من مقتل الإمام يحيى كانت قد جرت في صنعاء محاولة لاغتياله؛ ففي منتصف كانون الثاني/يناير من سنة ١٩٤٨ رسمت الجمعية اليمنية الكبرى خطة مفصلة بإرسال شخص للدخول إلى القصر واغتيال الإمام. وقد أفلح الرجل في الدخول إلى القصر، ولكن اعترضه عبد أمين من عبيد القصر قبل أن يصل إلى الغرفة التي كان الإمام يستجم فيها. غير أن هذا العبد واسمه الأمير عنبر لم يستطع أن يمسك به لمدة طويلة فقد أفلت المتآمر من قبضته وتسلّق الحائط هارباً خارج القصر ومر بـ (حي بئر العزب) لينضم إلى رفاقه. بيد أنه قبل أن يقص عليهم ما حدث له كانوا قد أرسلوا برقية إلى العالم الخارجي يعلنون بها موت الإمام.

وعليه فقد نشرت الصحافة العالمية نبأ موت الإمام يحيى وهو على قيد الحياة معزولاً في قصره في صنعاء! ولم يبق معه من المؤيدين ذوي الشأن غير القاضي عبد الله العمري والسيد [القاضي][1] حسين الحلالي الذي كان أميراً على لواء الحديدة آنذاك. وسرعان ما اتضح عدم صحة خبر موت الإمام في كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٤٨. وتولية الوزير خلفاً له، إلا أنه كان ثمة اجتماع للأعيان والعلماء في الشهر نفسه تقرر فيه رفض قاعدة حق الابن الأكبر في خلافة الأب مفضلين قاعدة الخلافة القديمة، فاختاروا الوزير إماماً جديداً. ولما كان الإمام يحيى يعرف مطامع الوزير في اغتصاب العرش فقد قام قبيل موته بإخفاء ذهبه المقدر بنحو عشرة ملايين جنيه استرليني في الريف، وقتل العبيد الذين قاموا بعملية إخفاء هذا الكنز حتى لا يُعرف مكانه، وقيل: إن الوزير اكتشف ذلك الكنز وأعاده إلى صنعاء، غير أنه فيما بعد أعلن في القاهرة «أن اليمن طلب قرضاً من بريطانية العظمى لأن الإمام كان قد أخفى كل الاحتياطي من الذهب». ورغم هذه الإشاعات اتضح أن كنز الإمام يحيى لم يمس، وقد استولى عليه سيف الإسلام أحمد فيما بعد.

وفي شباط/ فبراير من سنة ١٩٤٨ وردت أخبار إلى القاهرة - وكانت صحيحة هذه المرة - تحمل نعي الإمام يحيى، وقد اغتيل حقيقة في ١٧ شباط/ فبراير بمدفع رشاش أطلق عليه من سيارة نقل مغطاة وهو في طريقه لزيارة مزرعته في جزيرة جنوبي صنعاء. وقد وجد في جسده فيما بعد خمسون طلقة، وفي الوقت نفسه اغتيل القاضي عبد الله العمري رئيس الوزراء وعبد الرحمن بن الحسن (حفيد عبد الله العمري)[2] وشخص آخر.

(١) أضفنا ما بين القوسين، وقد توفي القاضي حسين بن علي الحلالي بصنعاء في يوم الأربعاء ١٣ ربيع الثاني عام ١٣٧٣هـ (المعرب).

(٢) لم يكن ذلك حفيداً للقاضي عبد الله العمري بل حفيداً للإمام يحيى نفسه.

وخلال ذلك كان في صنعاء جمال جميل - وهو ضابط عراقي أوكل إليه أمر كنز الإمام - يحاول منع الدهماء من اقتحام القصر ونهبه، وفيما تبع ذلك من اضطراب قتل سيف الإسلام حسين، وسيف الإسلام محسن، وسلّم سيف الإسلام يحيى نفسه وأطلق سراحه فيما بعد بأمر من اثنين من مؤيدي والده هما عبد الله أمير صدقة والداسيمي[١].

وفي العشرين من شباط/ فبراير عين الوزير السيد حسين الكبسي وزيراً لخارجيته، وبعث ببرقيات إلى حكومات الدول العربية وحكامها يبلغهم بتوليه الأمر بعد الإمام يحيى، وقررت الجامعة العربية عدم الاعتراف بالوزير حتى تقوم لجنة سداسية برئاسة الأمين العام للجامعة العربية عزام باشا بزيارة اليمن لدراسة الوضع.

وعليه فقد توجه بطريق الجو من القاهرة إلى صنعاء في ٢٢ شباط/ فبراير مبعوثان من الجامعة هما عبد المنعم مصطفى بك من وزارة الخارجية المصرية والدكتور حسن إسماعيل القنصل التجاري بالمفوضية المصرية في بيرن وذلك للقيام بتحريات أولية، وقد استقبل السيد حسين الكبسي هذا الوفد إلا أن النتائج كانت سلبية.

وبمجرد تلقي سيف الإسلام أحمد أخبار مقتل والده وإخوته، وقد أبرق له بذلك أخوه سيف الإسلام قاسم، غادر في الحال تعز التي كان أميراً عليها طيلة السنوات العشر الماضية، وتوجه إلى حجة التي كان أميراً عليها مدة بضع سنوات من قبل وجعل قلعتها قصراً لقيادته، وأخذ بإعداد العدة للهجوم على الوزير. وكان عليه أن يرتب أمراً قافلة كبيرة في تعز فأخذ معه إلى حجة ١٨٠ جندياً وسيارة بها مئة ألف ريال وحقيبة ذهب. وبعد أن مر بالحديدة حيث نجا من الموت على أيدي الدهماء بأعجوبة،

---

(١) لم يطلق أحد من أولاد الإمام يحيى طيلة حكم عبد الله الوزير الذي استمر أربعة وعشرين يوماً ابتداء من ١٨ شباط/ فبراير سنة ١٩٤٨. (المعرب).

وذلك بمساعدة أحد الرسميين الذين تبعوا الوزير أولاً ثم خرجوا عليه، تنقل في الأرياف فترة قصيرة متنكراً جامعاً حوله معظم قبائل حاشد وبكيل.

ولدى وصوله إلى حجة في ٢٢ شباط/ فبراير وجد في انتظاره أخويه سيف الإسلام عباس وسيف الإسلام مطهر[١]، ومن حجّة أعلن سيفُ الإسلام أحمد نفسه أميراً للمؤمنين وإماماً على اليمن، وانضم إليه هناك عديد من القبائل الجبلية التي جذبتها إشاعات غزو بريطاني والتي رفضت الاعتراف بالوزير إماماً، كما وقف إلى جانبه عدد كبير من الجيش اليمني النظامي الذي كان سيف الإسلام أحمد قائداً عاماً عليه مدة سنوات عدة.

وفي نهاية شباط/ فبراير حاول الوزير القيام بهجوم على حجة، وبالرغم من انتشار الفوضى في المملكة في الأسبوع الأول من آذار/ مارس أخذ الوزير عهداً على نفسه بالحكم كملك دستوري، وأكد لمواطنيه أنه سيكافح من أجل رفاهيتهم لأنهم «عانوا طويلاً من الاستعباد والحرمان ولن يصبروا بعد الآن على الاستبداد والإرهاب»، غير أن الوزير عاقه تفاقم الخلافات بين صفوفه، فنجد مثلاً أن الخلاف قد نشب بينه وبين اليمنيين الأحرار الذين وصلوا من عدن، كما نجد الخلاف قد احتدم بين محمد محمود الزبيري والشيخ محمد أحمد نعمان، وهما من أبرز قادة حركة الأحرار. ولم تثن هذه المشاكل من عزم الوزير فحاول - دون نجاح - استئجار طائرتين من الحكومة الأثيوبية لجمع المتطوعين. وحدثت بعض الاشتباكات الصغيرة بين قوات سيف الإسلام أحمد وقوات الوزير.

وفي الثالث عشر من آذار/مارس استولى سيف الإسلام عباس في عشرين ألفاً من أتباع أخيه على مدينة صنعاء دون مقاومة تذكر.

---

(١) لم يكن أحد من إخوته موجوداً في حجة عند وصول أحمد إليها. (المعرب).

ورغم أن الوزير كان يتمتع بتأييد شعبي معتبر في صنعاء ونواحيها فإنه لم يكن قادراً على التحكم في أتباعه الذين أفلت زمام أمرهم من يده، فأخذوا في نهب العاصمة على نطاق واسع.

ولما أحدق الخطر بصنعاء طلب الوزير من سلطات عدن إعارته طائرة يهرب بها إلى بر السلامة، ولكن الحاكم هناك لم يحبذ مساعدة قائد طغمة قاتلة مغتصبة.

وفي الثالث عشر من آذار/مارس حاولت طائرتان مصريتان الهبوط في صنعاء لإجلاء الرعايا المصريين، ولكنهما لم تستطيعا الهبوط في العاصمة أو قريباً منها بسبب القتال فعادتا إلى جدة.

وفي ١٤ آذار/مارس دخل سيف الإسلام أحمد صنعاء رسمياً ونصب إماماً، وتلقب بالناصر لدين الله[١].

وكان الوزير قد بعث وفداً إلى الملك ابن سعود برئاسة السيد الفضيل الورتلاني[٢] وعبد الله بن الوزير[٣]، وذلك للحصول على تأييده إلا أن ابن سعود رفض مقابلة الوفد. كما طلب الوزير أيضاً من حكومة سورية

(١) لم يغادر أحمد حجة إلا بعد أن وصل الإمام الوزير وحكومته بمن فيهم من قدم من عدن وبعد أن أودعهم في السجون غادرها إلى تعز، ولم يمر بصنعاء التي لم يزرها إلا عند زيارة الملك سعود المشهورة سنة ١٩٧٢م. (المعرب).

(٢) كان (الفضيل الورتلاني) - الجزائري الأصل - من أقطاب (حركة الإخوان المسلمين بالقاهرة) وقد زار اليمن تحت ستار إنشاء شركة تجارية ساهم فيها بعض التجار اليمنيين، وكانت له علاقة تنظيمية مع بعض قادة حركة ١٩٤٨ ولم يعد مع ذلك الوفد إلى اليمن حيث أنهى بقية عمره مغترباً، ومات بتركية عام ١٩٥٧ أو ١٩٥٨. (المعرب).

(٣) كان الوفد مكوناً من الفضيل، وعبد الله بن علي الوزير والقاضي محمد محمود الزبيري، وكان هدفه شرح وجهة نظر الحكم الجديد ومخاوفه من دخول القبائل لنهب مدينة صنعاء مؤكداً ضرورة سرعة دخول الوفد إلى صنعاء. (المعرب).

والعراق وبريطانية العظمى أن تقوم بمناورات عسكرية لتأييد حكومته الجديدة، بيد أنه بالرغم من أن هذه الحكومات الثلاث لم تقم بشيء من ذلك فإن إحدى طائرات سلاح الجو الملكي من طراز ويلينجتون حلقت فوق المنطقة لاستكشاف ما كان يجري هناك، كما أنّ بعض المدمرات البريطانية بما فيها المدمرة (كوميت) كانت تقوم في ذلك الوقت - وربما لا يكون ذلك مجرد مصادفة - بمناورات في البحر الأحمر بالقرب من الحديدة.

وأثناء ذلك استغل سيف الإسلام إبراهيم الذي تلقب بسيف الحق متحدياً والده بذلك، والذي كان قد لجأ إلى عدن قائداً للأحرار اليمنيين استغل اضطرابات سنة ١٩٤٨، وعاد إلى وطنه وانضم إلى الوزير بصفة رئيس لوزرائه، بينما أعلن محمد البدر ابن الإمام الحالي معارضته لأبيه..

وبعد الاستيلاء على صنعاء واستواء الإمام الجديد على العرش قام بالتخلص من الوزير بإرساله مع جماعته في الثامن من نيسان/أبريل أسرى إلى حجة حيث أعدم الوزير مع ثلاثين من مؤيديه بعد محاكمة إيجازية. كما اعتقل سيف الإسلام إبراهيم ثم أطلق سراحه فيما بعد، غير أنه مات في ظروف غامضة بعد عودته إلى صنعاء[١]. وعين الإمام الجديد أحمد الحلالي[٢] رئيساً للوزراء، كما أعاد راغب بك إلى منصبه القديم

---

(١) لم يطلق سراحه بل مات في سجنه في ظروف غامضة كما أشار المؤلف. وفي اليوم الثاني لوفاته أمر الإمام أحمد بإعدام الأمير علي بن عبد الله الوزير، ومعه الخادم غالب الوجيه، وقد أعدما كغيرهما علناً في ميدان حورة بحجة. (المعرب).

(٢) يقصد القاضي حسين الحلالي وقد عين رئيساً للديوان الملكي وليس للوزارة. (المعرب).

وزيراً للخارجية[1] وأصبح السيد حسين بن علي الحلالي فيما بعد رئيساً للديوان الملكي.

واستمرت معارضة قليلة للإمام أحمد في بعض المناطق حتى منتصف أيار/مايو، إلا أنها لم تشكل خطراً كبيراً على الأمن.

وحين أجمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لبحث موضوع الاعتراف بالإمام الجديد، التزم ابن سعود الحذر من هذا الأمر ريثما تنشر اللجنة نتائج استقصاءاتها.

وحين توصلت اللجنة إلى قرار الاعتراف بأحمد إماماً عبرت عن أملها في أن يعامل الإمام الجديد الذين عارضوه بالحلم والشفقة، ووعدت بأن الجامعة العربية ستقدم كل مساعدة ممكنة لتحقيق الإصلاح المطلوب.

ولم يصل أعضاء اللجنة التي غادرت السويس قبل أحد عشر يوماً من مقتل الإمام، إلى اليمن مكتفين بمراقبة الموقف من الرياض حيث بقوا هناك بناء على اقتراح الأمير فيصل.

وفي بداية آذار/مارس أعلن الملك عبد الله ملك الأردن وسيف الإسلام عبد الله تأييدهما للإمام أحمد[2].

وفي بداية أيار/مايو استقر الإمام الجديد في تعز حيث زاره وفد سعودي لبحث تسوية مسألة حدود قديمة، بينما أناب عنه في صنعاء سيف

---

(١) أعفي من عمله ولم يزاول أي عمل حكومي آخر حتى توفي سنة ١٩٥٨. (المعرب).
وراجع عنه مقدمة كتابنا عن وزارة الخارجية اليمنية - (وثائق وإحصاءات ط: سنة ١٩٧٦م). (المعرب).

(٢) قام بزيارة الملك عبد الله في الأردن ابن الإمام أحمد سيف الإسلام محمد البدر (آخر إمام وكان معه عمه سيف الإسلام يحيى وآخرون). (المعرب).

الإسلام الحسن الابن الثالث للإمام يحيى، أما سيف الإسلام إبراهيم الابن التاسع للإمام يحيى فقد أودع السجن ثانية ليموت بعدها بقليل، بينما أطلق أتباع الوزير سراح سيوف الإسلام إسماعيل الابن العاشر والقاسم الابن السادس ويحيى الابن الثاني عشر.

واعتقل الإمام الجديد أخاه سيف الإسلام إسماعيل بعد إطلاق سراحه مباشرة، وعين سيف الإسلام القاسم وزيراً للمواصلات، وقد كان قبل ذلك وزيراً للصحة، وأدى سيف الإسلام يحيى يمين الولاء للإمام الجديد. أما سيف الإسلام عبد الله الابن السابع للإمام والذي أصبح رئيس الوزراء الجديد[1] فقد كان يعتقد أنه كان لجماعة الإخوان المسلمين ضلع في المؤامرة الرامية إلى الحيلولة دون وصول أخيه إلى سدة الحكم، ولا سيما أن اثنين من قادة هذه الجماعة كانا باليمن في أوائل ذلك العام وقد تم اعتقالهما[2].

وبعد أربعة أيام من دخول أحمد رسمياً إلى صنعاء سافر سيف الإسلام عبد الله إلى القاهرة حيث أجرى محادثات مع الملك فاروق في ١٨ آذار/ مارس.

وفي ١٤ نيسان/أبريل سافر السيد حسن إبراهيم الذي عين مندوباً لليمن لدى الأمم المتحدة إلى نيويورك، وبعد أسبوع من ذلك أجازت الجامعة العربية قراراً بالاعتراف بأحمد إماماً لليمن. وفي اليمن تسلم - من ثمّ - برقية تهنئة من الملك فاروق، كما اعترفت به رسمياً حكومات بريطانية العظمى، فرنسة، هولندة، إيطالية، الولايات المتحدة، الهند

(١) كان وزيراً للخارجية حتى مقتله سنة ١٩٥٥ ولم يعين أحد رئيساً للوزراء.

(٢) لعل المؤلف يقصد الأستاذ عبد الحكيم عابدين صهر حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين بمصر وسكرتيره الخاص، أما الآخر فهو (الفضيل الورتلاني) الذي سبقت الإشارة إليه، ص ١٦٥. (المعرب).

وباكستان، ولم يكن بدّ من إلقاء تبعة أحداث اليمن على بريطانية. فقد كتبت إحدى الصحف المصرية ما فيه «إن بريطانية ستتدخل مستخدمة أحمد مخلب قط لتحقيق أهدافها الاستعمارية».

وبعد مقتل الإمام يحيى أخذ عدد كبير من اليمنيين يسافرون إلى الخارج في دعوة لتأييد الإمام أحمد في جهوده لتطوير اليمن. غير أن الترحيب بالأجانب في اليمن ظل محدوداً.

واستمر الإمام أحمد في مدينة تعز ليس فقط بسبب تفضيله مناخها، بل أيضاً لعدم تأكده من ولاء قبائل الشمال التي كانت دائماً تعتقد أن نهب صنعاء وسلبها في سنة ١٩٤٨ كان بأمر منه. وبالإضافة إلى ذلك فإن وجوده في تعز مكنه من السيطرة على القبائل الجنوبية التي كانت بالتأكيد ستثير له المتاعب لولا وجوده بينها. وكان يعتقد أيضاً بوجود ميل شديد بين هذه القبائل لتكون اتحاد كونفيدرالي شافعي يضمهم مع قبائل المنطقة الغربية من محمية عدن.

وبعد تولي الإمام أحمد مباشرة أثير موضوع ولاية العهد، وذلك لأنّ معظم إخوته كانوا في صنعاء حيث كان لأحدهم - وهو سيف الإسلام حسن الذي قدر له أن يعيش خارج البلاد فيما بعد - سند سياسي قوي.

وكان سيف الإسلام حسن - الذي تولى وزارة المعارف[1] لفترة في الماضي - يتطلع إلى ولاية العهد، غير أن الإمام كان مصمماً على الاعتراف بابنه سيف الإسلام البدر ولياً للعهد.

❁ ❁ ❁

(١) لم يسبق للحسن أن تولى وزارة ولكنه كان نائباً للإمام في لواء (إب) ثم في لواء صنعاء، وحين قامت الثورة سنة ١٩٦٢ كان مندوباً لليمن في الأمم المتحدة بعد أن أقصاه أخوه الإمام أحمد للتطلع الذي أشار إليه المؤلف، وقد توفي مؤخراً في السعودية عام (٢٠٠٧م) عن عمر تجاوز التسعين (المعرب).

## II

# اليهود في اليمن

أدى إعلان قرار الأمم المتحدة في ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر من سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين، إلى اضطرابات عنيفة في عدن. وقد تسبب ذلك في مقتل أو إصابة عدد كبير من اليهود اليمنيين الذين كانوا هناك بصفة مؤقتة في انتظار الهجرة إلى فلسطين.

وكان في ذلك الوقت حوالي ٦٠٠٠٠ من اليهود في اليمن، ويرجع وجود هؤلاء في جنوب غرب الجزيرة العربية إلى عدة قرون قبل ظهور الإسلام[1].

---

(١) سوف يطول بنا الحديث لو حاولنا التعليق على آراء المؤلف حول موضوع اليهود اليمنيين، ولكننا نود أن نشير إلى أنه حاول ما أمكنه - كغربي - أن يكون موضوعياً في سرده للتواريخ والحوادث، وقد أكد كما سيلاحظ القارئ الكريم على أن الدين اليهودي دخل اليمن كغيره من الديانات، وبعد الإسلام بقي يمنيون يدينون به، وبأن هؤلاء اليهود قد غرر بهم غير مرة للسفر إلى فلسطين العربية تحت دوافع دينية أسطورية (ظهور المسيح)، كما أن أوضاعهم بشكل عام كانت سيئة ولا زالت كذلك داخل فلسطين المحتلة، ولعله من المؤسف أننا لا نجد بين أيدينا دراسة عربية أو بحثاً شاملاً حول يهود اليمن إلا أنه من المفيد الإشارة إلى مخطوط يمني يرجع إلى القرن السابع عشر يتحدث عن (حادثة اليهود في اليمن سنة ١٠٧٧هـ، لما تكاثبوا بأن المسيح الدجال قد ظهر وأنهم أعوانه ثم شرعوا في بيع ما يملكون من دون إذن إمام العصر المتوكل على الله إسماعيل (١٠٥٤ - ١٠٨٧) وما عوملوا به بسبب ذلك) وقد أشار الأستاذ أيمن فؤاد السيد =

ولم تنقطع صلة هؤلاء اليهود بفلسطين إلا فيما ندر، يصدق ذلك على من سكن منهم المدن المتفرقة المنعزلة أو العاصمة والساحل. ففي القرن الثالث الميلادي اعتاد يهود صنعاء إرسال كبار موتاهم ليدفنوا في فلسطين. وفي وقت لاحق كان الكهان من طبرية يذهبون إلى اليمن بصفتهم مستشارين للملك ذي نواس. وقام بعض يهود فلسطين بزيارة اليمن في القرنين التاسع والعاشر. وفي القرن السادس عشر قام ناسخ من صفد في فلسطين برحلة إلى اليمن يحمل معه كتباً ليهود ليتخذوا منها نسخاً.

وفي سنة ١٧٣٠ زار اليمن عالمان يهوديان لجمع المال وبيع الكتب لمصلحة الكليات التلمودية Rabbinical Colleges في القدس، وأحاطا يهود اليمن علماً بآخر ما كان يدور في الأراضي المقدسة. وقام المبشر اليهودي النصراني (هنري هارون ستيرن) سنة ١٨٣٦ بزيارة صنعاء ماراً بباجل ومناخة، وبعد إقامته بعض الوقت في صنعاء رحل إلى الحديدة بالساحل، ومن ثم انتقل إلى المخا حيث قام التاجر اليهودي الألماني المسمى لاندون برعايته حين أصيب بحمى شديدة.

وفي عامي ١٨٥٨ - ١٨٥٩ قام أحد حاخامات القدس واسمه يعقوب سافير برحلة إلى اليمن بغية البحث عن القبائل اليهودية العشر المفقودة، وبالرغم من اعتقاله مُدَيْدةً بالروضة تمكن من زيارة عدة مستوطنات يهودية هناك. وقد نشر سافير في القدس كتاباً من جزأين عن أسفاره، وجعل

---

= إلى ذلك في كتابه مصادر تاريخ اليمن ص ٣٢٩، إلا أن صاحب طبق الحلوى (عبد الله بن علي الوزير المتوفى سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٥م) قد ضمن ذلك الحادث في كتابه. ولعله من الطريف الإشارة إلى أن هذا النص قد قام بترجمته إلى الإنجليزية البروفسور (ر. ب. سرجنت) ليكون أحد فصول الكتاب الكبير الذي سيصدر قريباً في لندن عن (مدينة صنعاء) وتاريخها التليد. (المعرب).

عنوانه Even Saphir باللغة العبرية في عامي ١٨٦٦ و١٨٧٦ وقد أثار كتابه هذا اهتماماً كبيراً بين اليهود في فلسطين وبين الجاليات اليهودية القديمة في اليمن.

وبعد عام ١٨٨٢ جاء إلى القدس من اليمن بعض الحرفيين اليهود وتبع ذلك هجرة منتظمة إلى هناك.

وفي عدن وجد سافير في استقصاءاته حوالي ٣٠٠ أسرة من يهود اليمن كانت قد هربت من المخا. ووقف في صنعاء على أن اليهود فيها يسكنون في بيوت كئيبة أشبه بالكهوف. وكان للمسلمين عليهم سلطة الحياة والموت ومصادرة الأملاك إن شاؤوا ذلك. ولم يكن يسمح لهم بارتداء الملابس البيضاء والحمراء أو الخضراء، وكان على أغنيائهم أن يظهروا بمظهر البؤس حتى لا يثيروا الحسد فيُنهَبوا.

وقد تردى يهود اليمن في هاوية البؤس، وعانوا من الاضطهاد على أيدي أناس يعدون أنفسهم من التدين والتقوى بمكان. وحينما كان الشاب النمساوي اليهودي سيجفريد لانجار في مذاب Madab بالقرب من صنعاء في سنة ١٨٨٢ تحدث إليه اليهود هناك عن معرفتهم بالقدس وعن روتشايلد العظيم الذي كانوا يعتقدون أنه حاخام عظيم لليهود. وكانوا يتوهمون أن روتشايلد هذا يسكن القدس وأنه اشترى أرضاً لهم هناك ليمنحهم إياها. وعلى هذه الشائعة هاجر أكثر من مئة أسرة يهودية يمنية من صنعاء إلى القدس لتفيد من ذلك.

وقتل لانجار هذا الذي كان يقيم في صنعاء أثناء قيامه برحلة في نزهة خارج المدينة، وكان ذلك في سنة ١٨٨٢ وعمره آنذاك ٢٥ سنة.

أما يومتوب زيماخ الذي زار اليمن في سنة ١٩١٠ نيابة عن الاتحاد الإسرائيلي العالمي فقد وجد ٣٠٠٠ يهودي في صنعاء يعانون شدة من

ثورات الإمام يحيى على الأتراك. وفي ذلك الوقت قرر مكتب المنظمة الصهيونية في فلسطين إرسال شمويل يافنيلي إلى اليمن متنكراً في زي قاصد ديني. وكان يافنيلي هذا حتى عام ١٩٥٥ أحد الأعيان في حركة حزب العمل اليهودي، وغايته من زيارته تلك إخبار اليهود عن العمليات الاستعمارية العظيمة التي كانت تتم في فلسطين من ناحية، وتقصّي أحوالهم المعيشية وإقناعهم بالهجرة من ناحية ثانية، ولا شك في أن تنقلاته التي لا يعرف عنها كثير جديرة بالتسجيل. فقد بدأ رحلته من عدن مسافراً في طريق لحج – الضالع – قعطبة إلى ماوية فتعز؛ ومن ثم إلى العدين عن طريق ذي سفال. ومن العدين اتجه نحو الغرب الجنوبي إلى بعدان ثم شرقاً عن طريق ذي سفال مرة أخرى مواصلاً رحلته عن طريق جبلة Gibili إلى إب. وبدلاً من أن يأخذ الطريق المعتاد من إب إلى يريم ماراً بالمخا وARBA al - Gala شمالاً عبر جبل منار إلى الشرق وزار السدة. ومن هناك اتجه شمالاً إلى يريم ووصل إلى صنعاء سالكاً طريق ذمار – معان – وعلان. وفي ذمار وجد يافنيلي ١٥٠ أسرة يهودية على أقل تقدير، وأثناء إقامته في صنعاء زار عمران وشبام Shibam إلى الشمال العربي. وفي نهاية المطاف غادر البلاد عن طريق مناخة – باجل – الحديدة وعاد إلى عدن، وبعد ذلك نزل إلى الساحل الشرقي عند شقرة، ومن هنالك رحل شمالاً إلى البيضاء في أقصى الشمال الشرقي من اليمن. ومن البيضاء زار منطقة قرية السوادي Suwadi على مرتفعات ردفان إلى الغرب دون أن يدخلها فعلاً. ومن هنالك اتجه إلى سومة Sauma في الشرق، ولما غادر اليمن سلك شرقاً عبر مرتفعات العولقي إلى الواسطة خبَّان Habban منتهياً إلى شقرة عن طريق محفد وأحور Ahwar، ونُهِبَ يافنيلي واتهِمَ بأنه جاسوس نصراني وأجبر في النهاية على مغادرة البلاد.

وعلى كل حال فقد كانت مهمته ناجحة كل النجاح، إذ لحق به إلى فلسطين في سنة ١٩١١ - ١٩١٢ حوالي ١٥,٠٠٠ يهودي من يهود اليمن، واستقر معظم هؤلاء في المناطق الزراعية هناك، وكونوا بذلك نواة عدد كبير من المستوطنات الزراعية المزدهرة فيما يسمى الآن (إسرائيل).

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الضغوط الأمريكية من إنسانية وغيرها عاملاً فعالاً في عمل الترتيبات لهجرة اليهود من اليمن تدريجياً، ثم جماعياً في سنة ١٩٤٩. وقد سبب ذلك بعض المتاعب لسلطات عدن.

ومما شجع هجرة اليهود اليمنيين بشكل غير مباشر تفشي وباء التيفود مرة أخرى في سنة ١٩٤٢، واستمر هذا الوباء شديداً حتى صيف ١٩٤٤ حين أخذت تخف حدته.

ومما زاد الطين بلة حدوث مجاعة شديدة نتيجة لجفاف عام ١٩٤٢ ولتصدير الحبوب بكميات كبيرة إلى عدن وعسير لارتفاع الأسعار هناك. وقد أدت قلة الحبوب إلى ازدهار السوق السوداء فتركزت تجارتها على يد حفنة من التجار الأغنياء الذين كانوا حريصين على زيادة ثرواتهم. وأدى هذا النقص في الحبوب إلى موجة من الشعور بالكراهية ضد اليهود نجحت في إجبار كثيرين منهم على ترك أرض أجدادهم ومحاولة الوصول إلى فلسطين.

❁ ❁ ❁

## III
# البساط السحري

في عام ١٩٤٢ وضع بضعة آلاف من اليهود اليمنيين في مخيم بعدن بانتظار شهادات الهجرة إلى فلسطين، وفي العام نفسه انتشر وباء التيفود في ذلك المخيم.

وكان من أبرز المساعدين في ذلك الوقت البروفسور كليجر من الجامعة العبرية بالقدس. وكان قرار كثيرين ببدء الهجرة العظمى (التي حدثت موجتها الكبرى بعد ست سنوات من ذلك الوقت) قد اتخذ سنة ١٩٤٣ حين انتشر الوباء وبلغ إلى قاع اليهود بصنعاء. وبدأت جماعات من اليهود تصل إلى محمية عدن في أواخر سنة ١٩٤٣. وفي أوائل سنة ١٩٤٤ وصل ٨٠٠ يهودي منهم تحت رعاية جمعية غوث اللاجئين للشرق الأوسط.

وحجز المهاجرون في محميات بفيوش Fyush ولحج، واتخذت سلطات عدن تدابير صارمة لمنع انتشار التيفود في المحمية.

وبالرغم من منع دخول مزيد من المهاجرين عرباً كانوا أم يهوداً فقد تسللت جماعات أخرى إلى المحمية بطريق غير قانونية. وانتشر التيفود في مناطق متباعدة. وحين توافرت السفن على الساحل كان المهاجرون يؤخذون تحت الحراسة وبأسرع ما يمكن إلى البحر الأحمر.

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية تمكن بضعة آلاف منهم من الهجرة

إلى فلسطين. وفي سنة ١٩٤٧ كان هنالك حوالي ٤٠٠٠ يهودي ينتظرون الترحيل إلى إسرائيل.

ولدى ذيوع أنباء قيام دولة إسرائيل أخذت آلاف كثيرة من اليهود في الرحلة جنوباً تدفعهم بشكل رئيس الدوافع الدينية، وأيضاً الهروب من الجفاف وسوء المعاملة التي كانوا يلقونها في وطنهم. وكان التعصب ضد اليهود وإذلالهم أمرين معروفين دائماً، إلا أن السبب الرئيس للهجرة العظمى كان اعتقادهم الظاهر بظهور المسيح حقيقة.

وخلال شهري أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر من سنة ١٩٤٩ تم ترحيل ما بين ٢٥,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ يهودي جواً من قاعدة سلاح الجو الملكي بالشيخ عثمان على طائرات بريطانية وأمريكية استأجرتها اللجنة الأمريكية المشتركة للتوزيع والوكالة اليهودية. وقبل مغادرتهم اليمن أُجبر اليهود على دفع ضريبة عن رأس كل منهم وتسليم ممتكاتهم أو على الأقل بيعها بثمن بخس. وبذلك فإنهم كانوا يصلون إلى عدن صفر الأيدي بعد قطع ٣٠٠ ميل سيراً على الأقدام أو ركباً على الحمير. وكانوا يوضعون في مخيمات مؤقتة في الـ Hiswa ومن هناك ينقلون جواً إلى مطار اللد بمعدل ٣٠٠ أو ٥٠٠ شخص في اليوم، وكانت الرحلة تستغرق ٩ ساعات. واستعملت في عملية الترحيل هذه خمس طائرات من طراز سكايماسترز التابعة لخطوط الشرق الأدنى وطائرة من طراز تيودور، وكانت كل طائرة تحمل ١٤٠ شخصاً (في حين أن حمولتها العادية ٤٠ شخصاً فقط)، وذلك لأن متوسط وزن البالغ منهم كان حوالي ٧٠ رطلاً بسبب ما عانوه من سوء التغذية.

أما السلطات الإسرائيلية فقد كانت في واقع الأمر تشك في جدوى هذه العملية وفيما إذا كان هؤلاء الأعضاء الجدد سيصبحون مواطنين صالحين حتى لو استطاع غالبهم التغلب على أمراضهم الموروثة. غير أن

اليهود اليمنيين الذين استقروا في فلسطين منذ زمن طويل عاشوا في مجموعات تقليدية يتحكم فيها النظام الأبوي محتقرين الاشتراكية المستوردة. وحذا حذوهم من تبعهم من جنوب الجزيرة العربية.

وبالرغم من المساعدات القيمة التي قدمها مدير الخدمات الطبية في عدن الدكتور أ. كوشرين فإنّ الحكومة الإسرائيلية وجدت أمامها كثيراً من المشاكل. فبعد ما أظهروه من التدين والتقوى في بداية الأمر سرعان ما نسي القادمون الجدد إلى إسرائيل حماسهم الديني، وذلك أنهم وجدوا ظروف المعيشة البدائية في معسكر تل أبيب شيئاً لا يكاد يحتمل. ومات كثيرٌ منهم بعد وصولهم مباشرة. وكان ما يناهز ربعهم مصابين بقرحة المناطق الحارة و٤٠٪ منهم يعانون من الملاريا الحادة، وكثيرون أيضاً يعانون من مرض التراخوما والجذام.

وقد كلف ترحيل اليهود اليمنيين اللجنة الأمريكية المشتركة للتوزيع حتى نهاية سنة ١٩٤٩ مبلغ ١,٤٢٨,٠٠٠ جنيهاً إسترلينياً. وفي ذلك الحين كان كل اليهود قد غادروا اليمن.

ولم يخسر الإمام كثيراً بغياب اليهود؛ فهم لم يشتركوا في إدارة البلاد ولم يحموا الأمن فيكونوا بذلك جزءاً من الجيش؛ لذا فإن مغادرة ٥٠,٠٠٠ منهم لم تسبب للإمام أي حرج من الناحية العسكرية، مع أنه كان ينقصه فقدان مثل هذا العدد من الحرفيين.



IV

# محادثات لندن
# سنة ١٩٥٠

كان مقتل الإمام يحيى وتولي ابنه أحمد مقاليد الحكم في سنة ١٩٤٨ نقطة تحول في الشؤون اليمنية - الإنجليزية، فمنذ ذلك الحين سارت العلاقات بين البلدين من سيئ إلى أسوأ. ومع أن اتساع شقة الخلاف بين البلدين كان أمراً حتمياً بعد الحرب التي خرجت منها بريطانية منتصرة مفتقرة فإنّ ما يسمى بالتيارات التحررية في العالم الغربي الحر ووجود الكتلة الشيوعية والدول العربية المصرة على نيل حقوقها - كل ذلك كان سيؤدي في كل الأحوال إلى إعادة النظر إعادة كاملة في الشؤون اليمنية - الإنجليزية. إلا أن موقف الإمام أحمد لم يساعد في إقامة علاقة ودية، إذ استمر في عدائه للإنجليز وعدم تعاونه معهم، وبينما كان الإمام يظهر مجاملة وتلطفاً نحو كل الموظفين البريطانيين الذين كان يتعامل معهم فإنه ما انفك يماطل ويراوغ. ففي عام ١٩٤٨ راح يشجع أحد الشيوخ المتصالح معهم في المحمية على إثارة المتاعب في منطقة الضالع، مما اضطر السيد ريجينالد شامبيون إلى إرسال قوة قوامها ٦٠٠ من الحرس الحكومي لإعادة الأمن، وأدى ذلك إلى هروب الشيخ المذكور إلى اليمن حيث أجاره الإمام، واحتج الإمام بدوره مباشرة لدى وزارة الخارجية البريطانية بأن الحملة العسكرية إلى منطقة الحدود قد سببت قلقاً عظيماً في اليمن.

وظهرت بارقة أمل جديدة في مقر المقيم البريطاني في عدن حين تلقى السيد ريجينالد شامبيون دعوة من الإمام لزيارته في تعز. وبناء على طلب سيف الإسلام عبد الله خلال زيارته إلى لندن في شباط/فبراير فقد اهتبل السير ريجينالد شامبيون الفرصة ليفتح ثانية موضوع إقامة علاقات دبلوماسية مباشرة. وقد استقبل حاكم عدن بود بالغ في تعز حين وصل إليها في تشرين الثاني/نوفمبر، ولكنه دهش حين وجد أن الإمام يرغب في تعيينه شخصاً ممثلاً دبلوماسياً معتمداً لبريطانية في اليمن. وتم بحث أمر اتفاقية لتبادل المجرمين، إلا أنه اتضح أن مثل ذلك الاتفاق لم يكن عملياً فصرف النظر عنه. غير أن الحكومة البريطانية اتخذت خطوة استثنائية بموافقتها على تعيينه حاكم مستعمرة ليكون ممثلاً دبلوماسياً لحكومة صاحب الجلالة في بلد أجنبي، إلا أنه حين أبلغ السيد ريجينالد شامبيون هذا القرار إلى الإمام في شباط/فبراير من سنة ١٩٤٩ أجاب أحمد بأنه قرر الآن تأجيل هذا الموضوع وترك الأمور على ما كانت عليه. وبالطبع انزعجت وزارة الخارجية البريطانية لهذه الإهانة ولم يثر الموضوع مرة أخرى لأكثر من عام.

أثناء ذلك نجمت مشاكل ملحة على الحدود. ففي شباط/فبراير سنة ١٩٤٩ قامت طائرات سلاح الطيران الملكي من خور مكسر بقصف بعض حصون الحدود، وذلك على إثر عصيان قبائل الرصاص وتمردها على حكم الإمام في المنطقة الجنوبية من اليمن. وبالرغم من هروب كثير من المتمردين إلى المحمية فإن الإمام أخمد العصيان وأعدم ٣٣ رجلاً من قادته.

وخلال شهر آذار/مارس - السابق - أراد شريف بيحان أن يوقف عملية تهريب الجلود والبن والقات إلى منطقته (بيحان) فطلب إقامة مركز جمارك في نجد مرقد Nagd Margad الذي يقع على بعد ٣٠ ميلاً شمال

غرب بيحان وثلاثة أميال من الحدود بين وادي حريب ووادي بيحان. وبناء على أوامر الحاكم البريطاني أقيم ذلك المركز. وفي الحال احتجت الحكومة اليمنية احتجاجاً شديداً على ذلك، وقدم الاحتجاج نيابة عن الحكومة القاضي محمد الشامي أمير لواء البيضاء وضابط الحدود اليمني الذي ادعى أن نجد مرقد ضمن منطقته.

ونتيجة للهجمات التي شنها اليمنيون في عدة مناسبات على ذلك المركز في أوائل آب/أغسطس قامت الحامية البريطانية المحلية بالدفاع عنه، واستمر تبادل إطلاق النيران بين الجانبين مدة شهرين. وفي ١٤ آب/أغسطس ووفقاً لاستراتيجية تقليدية في تلك المناطق بدأ اليمنيون في بناء حصن في جبل Manawa داخل أراضي عدوهم على بعد ميل واحد من نجد مرقد. ولما لم تُجد احتجاجات المندوب البريطاني الرائد باسيل سيجر قام الحاكم بالإنابة ببحث الموضوع مع الإمام شخصياً. ولكن لم يصل إلى رد مقنع واستمر اليمنيون في بناء الحصن في جبل Manawa وفي هجماتهم.

وفي ٢٠ آب/أغسطس قامت طائرة من طراز ANSON أنسون بعملية استكشاف، فوجدت أنه لم يكن هناك نشاط ملحوظ ولو أن بناء الحصن كان فيما يبدو مستمراً.

وبعد عشرة أيام من ذلك أبلغ الإمام بأنه إذا لم يقم بسحب رجاله إلى ما وراء الحدود قبل فجر الثاني من أيلول/سبتمبر، فإن سلاح الطيران الملكي سيقوم بعمل إيجابي. وفي الأسبوع التالي ألقيت منشورات على الحصن تدعو الحامية للانسحاب ولكن تجوهل ذلك.

وكإنذار آخر ألقيت قنابل الدخان في المنطقة، ولما قوبل ذلك بالتجاهل أيضاً قامت طائرات من طراز تمبيست Tempest في الثاني من أيلول/سبتمبر بتدمير ذلك الحصن مستخدمة القذائف الصاروخية.

وحينما ألقيت القنابل انسحبت الحامية اليمنية التي كان عددها يقدر بعشرين رجلاً. ولما عادت الطائرات إلى قواعدها ظهرت مرة أخرى، إلا أن اليمنيين عادوا إلى أراضيهم بعد أن تبين لهم تدمير الحصن. وقد أصيب يمني واحد بجراح خطيرة وكان فيما يبدو الضحية الوحيدة لهذا الهجوم.

وفي ٨ أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٤٩ قدم أحد الرسميين من وزارة الخارجية اليمنية مذكرة للسفارة البريطانية في مصر يحتج فيها على الأعمال التي قام بها سلاح الطيران الملكي كما رفع الأمر إلى جامعة الدول العربية التي كان اليمن يزمع بمساعدتها رفع الأمر إلى مجلس الأمن ما لم يحصل على تعويضات مالية.

وفي مصر وجه نقد شديد إلى بريطانية كان ينصب بشكل رئيس على محاولاتها الضغط على اليمن للحصول على امتياز استخراج النفط في شبوة، وجاء هذا النقد نتيجة للزيارة التي قام بها بعض احتصاصيي شركة امتيازات النفط المحدودة إلى شبوة في تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٤٩.

وفي ١١ أيلول/ سبتمبر كان الإمام قد اتهم بريطانية في بيان له بالتعدي على استقلال اليمن وكرامته، وذلك لقيام ١٤ طائرة من سلاح الجو الملكي البريطاني بقصف السكان الآمنين في منطقة حريب وإصابتهم وإلحاق أضرار بالغة بالممتلكات. وبعد استدعاء مستشاريه وجه الإمام وزير خارجيته الذي كان في باريس في ذلك الوقت[(١)] بإعداد مذكرة ترفع إلى مجلس الأمن. وفي آخر أسبوع من أيلول/ سبتمبر توجه وفد اليمن الرباعي من مقرهم بفلشينج ميدوز Flushing Meadows لعرض قضيتهم

(١) كان سيف الإسلام عبد الله وزير خارجية الإمام أحمد منذ سنة ١٩٤٨ حتى مقتله في انقلاب نيسان/أبريل ١٩٥٥ (المعرب).

على الأمم المتحدة. وكان موضوع الاحتجاج كما نقله السيد (محمد)[1] عبد الله العمري هو أن بريطانية قد خرقت ميثاق الأمم المتحدة بهجومها على إحدى الدول الأعضاء في المنظمة.

وفي هذه الأثناء حاول السيد ريجينالد شامبيون تخفيف الأمر بالكتابة إلى الأمام في ٢٩ أيلول/ سبتمبر مقترحاً عليه أعمدة مميزة على الحدود لتفادي مزيد من النزاع. وحاول في كانون الأول/ ديسمبر ترتيب اجتماع بين ممثلين عن الجانبين للبت في الأمر حسبما كان عليه الوضع في سنة ١٩٣٤. غير أن مساعيه فشلت في الحالتين.

كانت نتيجة إحالة النزاع الذي أصبح يعرف الآن بحادث بيحان إلى الأمم المتحدة أن اتخذ قراراً بأن تتفاوض الحكومتان معاً لإيجاد حل لتلك المشكلة.

وفي وقت مبكر من عام ١٩٥٠ جاء العمري إلى لندن ليبحث موضوع التمثيل الدبلوماسي الذي طال عليه الأمد، وليحتج مرة أخرى على (حادث بيحان)، غير أنه عاد إلى القاهرة دون التوصل إلى اتفاق.

وبعد ذلك استفسرت حكومة من وزارة الخارجية البريطانية عما إذا كان ممكناً بدء المحادثات في لندن في ٢٠ حزيران/ يونيو، بيد أنه في ١٠ تموز/ يوليو أعلنت وزارة الخارجية البريطانية فجأة أنها قد دعت إلى المؤتمر لتظهر رغبتها في «البحث مع الحكومة اليمنية عن تسوية لكل المشاكل القائمة بين البلدين». وكانت النقاط الأربع المقدمة لتكون أساساً لجدول أعمال هي:

---

(١) أضفنا (محمد) لأن هذا هو الصواب، وكان القاضي محمد عبد الله العمري من السياسيين اليمنيين البارزين في الخمسينات، وقد كان على خلاف مع الإمام قبل استشهاده في آب/ أغسطس ١٩٦٠ في حادث طائرة روسية، وهو في طريقه على رأس وفد يمني إلى موسكو وبكين (المعرب).

١- تسوية نزاع الحدود الناتج عن حادث بيحان وتعريف الحدود الجنوبية لليمن.

٢- تسوية مسألة العلاقات الدبلوماسية.

٣- اتخاذ قرار بشأن شكاوى اليمن الخاصة بمنطقة شبوة.

٤- تحسين العلاقات التجارية بين البلدين.

وهكذا قرر للمحادثات أن تبدأ في ٢٨ آب/أغسطس.

وفي الأسبوع الثاني من آب/أغسطس وصل إلى القاهرة العمري ومعه السيد حسن إبراهيم (وزير دولة) والقاضي محمد الشامي وهم في طريقهم إلى لندن. وفي القاهرة استقبلهم وزير خارجية مصر الدكتور محمد صلاح الدين بك الذي اجتمع بهم فيما بعد في ضاحية Bukeley من ضواحي القاهرة في ٢٥ آب/أغسطس ليعرف ما سيطرحون من آراء في اجتماعهم القادم بلندن. وكانت الحكومة المصرية قد وافقت على إعارة الدكتور حسن بغدادي بك مستشاراً للوفد في لندن.

وفي لندن عين ج. و. فيرلونج رئيس قسم شؤون الشرق في وزارة الخارجية ليرأس الاجتماع ومعه مسؤولان من وزارة المستعمرات من ذوي الخبرة الطويلة في العلاقات مع اليمن لتمثيل وجهة نظر بريطانية. وكان أحدهما هو السيد ريجينالد شامبيون الذي طار من عدن في ٢٣ آب/أغسطس وبدأ في الحال يشترك في الاجتماعات التي تمت في وزارتي المستعمرات والخارجية. أما الآخر فقد كان العقيد السيد بيرنارد رايلي من وزارة المستعمرات، وكان هو الذي قام باستقبال الوفد اليمني في لندن.

وقبل فترة من بدء المفاوضات لم يكن من المتوقع التوصل إلى تسوية نهائية، بل كان المتوقع التوصل إلى حل مؤقت لتفادي حوادث الحدود.

وكان من المعتقد أيضاً وبتفاؤل أن يعقب المحادثات التجارية - إلى جانب أنها غير رسمية - اتفاق شامل.

وقد علق عليه كلا الجانبين آمالاً عريضة على المحادثات، وحتى في الأسبوع الثاني من تشرين الأول/أكتوبر، والمحادثات ما زالت مستمرة، كانت كل الدلائل تشير إلى أن أعضاء الوفدين كانوا على استعداد لإطالة المحادثات بغية الوصول إلى حسم الموضوعات المطروحة على بساط البحث.

وساعد العمري في خلق جو ودي، وذلك بعدم إصراره على مطلب بلده بالتعويض على ما نجم من خسائر في حادث بيحان، ولو أنه كان من الواضح حرصه في بداية الجلسة على أن ينتزع وعداً من بريطانية العظمى بوقف الهجمات الجوية على اليمن. كما كان حريصاً على أن تتبادل لندن وصنعاء التمثيل الدبلوماسي، ولا سيما على مستوى الوزراء المفوضين، موضحاً عدم رضاه منذ زمن عن الإجراء الذي يتم بمقتضاه معالجة المسائل الدبلوماسية بين البلدين عن طريق حكومة عدن.

وقد أوضح آراءه لوزير الخارجية البريطاني إيرنيست بيفين حين زاره في ٣٠ آب/أغسطس. وأعجب الجانب البريطاني بالعمري الذي خلف أثراً حميداً أثناء زيارته لندن.

وحين انتهت المحادثات في ١٠ تشرين الأول/أكتوبر كان من الواضح أنها كانت في الحقيقة ودية جداً، فقد اتفق الجانبان على مقترحات لتسوية مسألة الحدود وتبادل التمثيل الدبلوماسي قبل نهاية العام.

وكان المفروض أن تحال هذه المقترحات إلى الحكومتين المعنيتين للموافقة عليها قبل إعلانها. ولم يكن موضوع (التعاون الفني) في

الأصل - وهو موضوع تم بحثه - ضمن جدول الأعمال المعلن، ولكن عرض على حكومة اليمن الاستفادة من خدمات المكتب البريطاني للشرق الأوسط في القاهرة، وذلك للمساعدة في شؤون الري والزراعة والأشغال العامة والخدمات الطبية والصحية. كما تم الاتفاق على رفع مقترحات لكل من الحكومتين لتشكيل لجنة حدود تعنى ببحث أسباب منازعات الحدود في الماضي، حتى يتسنى تحديد الحدود بين اليمن وعدن بصفة دائمة. وعلى الحكومتين عدم القيام بما يخل بالوضع الراهن.

وملحقاً لذلك تم الاتفاق على ألا تقوم أي من الحكومتين بدعاية تخريبية ضد الأخرى إلى أن يتم التصديق على المقترحات.

أما المحادثات التجارية غير الرسمية فلم تسفر عن كبير نجاح، وكان من الصعب إدراك الأسس التي كان يمكن أن يقوم عليها أي «اتفاق تجاري شامل». فإن معظم تجارة بريطانية مع اليمن كانت في ذلك الوقت محصورة بين الحديدة وعدن، وكان الإمام شخصياً يتحكم فيها بين البلدين، كما كان يملك المركب الوحيد الذي يحمل البضاعة بين الميناءين. ولم يكن يسمح للسفن الأخرى بحمل البضائع من الحديدة، وكانت السفن التي تحمل البضائع إلى الحديدة تعود فارغة.

وبعد انتهاء المؤتمر كان العمري واثقاً من قيام علاقات دبلوماسية مباشرة، كما عاد الدكتور حسن بغدادي بك إلى القاهرة بآمال عريضة في هذا الشأن. (وأثناء الاجتماعات اقتصر دور البغدادي على إبداء الرأي في الأمور الفنية حينما كانت تثار، وانحصرت مشاركته في المسائل السياسية في تقرير الحقائق فحسب).

وفي أوائل كانون الأول/ ديسمبر قررت الحكومة اليمنية تعيين القاضي

محمد محمود الزبيري[١] الذي كان على رأس الوفد اليمني إلى حلقة الأمم المتحدة للدراسات الاجتماعية التي انعقدت في القاهرة سنة ١٩٥٠ قائماً بالأعمال في المفوضية اليمنية بلندن، ولكن حين تم الاختيار فعلاً لم يكن له نصيب في التعيين[٢].

۞ ۞ ۞

(١) لا أساس لهذا الخبر، فلقد كان الشهيد الزبيري وقتئذ (١٩٥٠) مقيماً في الباكستان التي اتخذها ملجأ له بعد فراقه لزميله المرحوم عبد الله بن علي الوزير الذي توفي بالهند في ظروف محزنة (المعرب).

(٢) كان السيد حسن بن علي بن إبراهيم وقتئذ أول وزير مفوض بلندن، وقد استمر بلندن وأعيد تعيينه عدة مرات كما سيذكر المؤلف في بداية الفصل القادم (المعرب).

## الفصل السادس

# بداية النهاية

I

# التمثيل الدبلوماسي
# سنة ١٩٥١

لم يشارك كثيرون من المطلعين على الشؤون اليمنية البريطانية العمري ثقته في إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين. ولهذا فقد تلقت الحكومة البريطانية نبأ الموافقة على الاتفاق بشيء من الدهشة.

وصل العمري إلى لندن بعيد منتصف كانون الثاني/يناير، وتم تبادل وثائق التصديق في ٢٠ منه. وفي نهاية الشهر كان العمري في طريقه إلى الحديدة عائداً من القاهرة.

وفي آب/أغسطس رشح وزير الدولة السيد حسن إبراهيم الذي كان عضواً في وفد سنة ١٩٥٠ ليصبح أول وزير مفوض لدى بلاط سينت جيمس، وخلال آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر قام بعمل التحضيرات الأولية لتولي مهام منصبه. وفي آب/أغسطس قام رسمياً بمقابلة وزير الدولة البريطاني المستر كينيث ينجر، ولكنه لم يستطع تقديم أوراق اعتماده رسمياً إلى الملك جورج السادس إلا في وقت لاحق، وذلك نظراً لاعتلال صحة جلالة الملك آنذاك.

وبالمقابل فقد غادر إنجلترة إلى صنعاء في تشرين الأول/أكتوبر ميشيل جاكوب ليكون أول ممثل دبلوماسي لبريطانية لدى المملكة اليمنية، بيد أنه لم يتحقق الأمل في تكوين لجنة للحدود. وسرعان ما طوى النسيان اتفاق سنة ١٩٥١.

وفي سنة ١٩٥٢ حين ألغت مصر المعاهدة الإنجليزية المصرية لسنة ١٩٣٦[١] أتاح هذا الإلغاء لليمن فرصة لإظهار استمرارها في الوقوف مع الدول الرئيسة الأعضاء في جامعة الدول العربية، وذلك رغم ما كان يجري من تحركات للتوصل إلى تسوية للمشاكل بين اليمن وبريطانية.

وفي ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر من سنة ١٩٥١، وكان العيد الثاني لذكرى (يوم الجهاد الوطني)، حذا السيد علي المؤيد حذو بقية الممثلين الدبلوماسيين العرب في القاهرة بإعلانه أن اليمن «تبارك كفاح مصر وتدين ما يقوم به الإنجليز» وقد حدث قبل ذلك أن انضم مندوب اليمن الشيخ الجعبري al-Gaabary[٢] إلى المعارضين حينما ناقشت الجامعة العربية مقترحات الدول الأربع بشأن قيادة الشرق الأوسط.

وخلال عام ١٩٥١ ظلت العلاقات اليمنية البريطانية حسنة في الظاهر، بيد أنه في شباط/فبراير سنة ١٩٥٢ كانت اليمن في جملة الدول العربية التي وقعت اتفاقية الدفاع العربي المشترك، وما لبثت المتاعب أن عادت بين البلدين ثانية.

وفي نيسان/أبريل سنة ١٩٥٢ استدعت سلطات عدن فضل عبد الكريم سلطان لحج أثناء التحقيق في موت اثنين من أبناء عمه هما الأمير حسن علي والأمير أحمد مهدي؛ فقد رأت حكومة عدن أن وجود السلطان في لحج أثناء التحقيق كان أمراً غير مرغوب فيه، فهرب السلطان إلى اليمن بدلاً من الذهاب إلى عدن، وقطعت الطريق وخطوط الهاتف بين لحج وعدن واحتل جيش محمية عدن الليوى (Aden Levies) لحج وكونت

---

(١) في أعقاب حركات الفدائيين المصريين من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥١ - كانون الثاني/يناير ١٩٥٢. (المعرب).

(٢) هكذا ورد في نص المؤلف ولعله قصد اسم الجرافي أو الجبلي أو الجبري، ولم تسعفنا المصادر الحالية للتأكد من شخص ذلك الممثل (المعرب).

سلطات عدن في الحال مجلس وصاية للسلطنة. وذلك في ٢٤ نيسان/ أبريل. وبعد نحو شهر تسلم علي عبد الكريم الأخ الأصغر للسلطان وعمره ٢٨ سنة زمام السلطة في السلطنة من مجلس الوصاية.

انزعجت الحكومة اليمنية فيما يبدو لهذه الحركة، وعبرت المفوضية اليمنية في لندن عن دهشتها لهذا التصرف. وأعلنت: «أن أي إجراء يجب أن يتم وفقاً لنص وروح المعاهدات المبرمة بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة اليمن من ناحية، وحكومة صاحبة الجلالة وحكومة سلطان لحج من ناحية أخرى».

إن الأحداث التي أدت إلى تولي سلطات عدن مسألة الأمن والنظام في عدن ربما ترجع إلى سنة ١٩٣٢ حين فقد السلطان إحدى عينيه من جراء محاولة اغتياله، ومنذ ذلك الحين - ولا سيما بعد سنة ١٩٤٧ حينما خلف والده على الحكم - أخذ يعاني فيما يبدو من وهم بأن كل الناس يتآمرون عليه[١]، وكان يتخيل في كل مكان وجود من يحاول اغتصاب عرشه. ففي سنة ١٩٥١ قام بنفي أخيه علي ومعظم أبناء عمومته إلى عدن.



(١) Persecution mania مرض يوهم صاحبه بأن الناس كلهم يتآمرون عليه ويضطهدونه (المعرب).

II

# الخطط الأولى لاتحاد عدن الفيدرالي

كانت الحرب العالمية الثانية سبباً في عرقلة مواصلة حكومة عدن ما كانت تقوم به بعد أن تمكنت من تحقيق سلام نسبي في المحمية. وقد تم توقيع اتفاقيتين استشاريتين[1] قبل الحرب مع بعض حكام شرق المحمية. وفي عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥ وقع حكام غرب المحمية على خمس اتفاقيات مماثلة، والموقعون هم حكام الفضلي، والعوالق السفلى، ويافع السفلى، وبيحان، والضالع. كما وقع في عام ١٩٥١ كذلك حكام العوالق العليا والعوذلي ولحج.

وكان قد سبق في ذلك العام أن بعث حاكم عدن إلى لندن بالخطط الأولى لاتحاد حكام غرب محمية عدن الفدرالي، وفي أواخر كانون الثاني/يناير سنة ١٩٥٤ عرضت المقترحات الأولى لهذا الاتحاد على الحكام وقبلت مبدئياً. وقد دفعت خطوات بريطانية لتعزيز موقفها في المحميات بالإمام إلى زيادة نشاطه المضاد لبريطانية في منطقة نفوذها. فمنذ بداية سنة ١٩٥٢ بدأ الإمام في اتخاذ خطوات إيجابية لإثارة أكبر ما يمكن إثارته من المتاعب، مستخدماً في سبيل ذلك عدداً من الوسائل كالرشاوى وأخذ الرهائن وتهريب الأسلحة.

وفي كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٥٢ أمر حاكم البيضاء بحبس

---

(١) Advisory treaties.

سلطان يافع العليا ولم يطلق سراحه إلا بعد شهرين بعد أن سحبت سلطات عدن إذنها بالسماح للطيران اليمني المدني باستخدام مطار عدن.

وفي كانون الثاني/يناير من العام التالي هرب نحو ٨٠٠ من رجال قبيلة الصبيحي من محمية عدن عبر الحدود إلى اليمن؛ وذلك بعد امتناعهم من دفع الضرائب المحلية ووقوفهم في وجه القوة البريطانية التي أرسلت لإعادة الأمن والنظام. ثم أرسلت فرقة صغيرة من جنود سلطنة لحج لاعتقال الشيخ محمد شاهر شيخ الصبيحي الذي كان يقوم باستنفار رجال قبائله ضد الضرائب التي فرضتها لحج على الأراضي وصيد الأسماك. إلا أن هذه الفرقة صدت بعد أن قتل أحد أفرادها والتجأ الشيخ شاهر إلى قبائل المنصوري. أما رجال قبائل الصبيحي الثمان مئة فقد التجؤوا إلى القبيطة وهي منطقة في اليمن، وصاروا تحت قيادة الشيخ شاهر والشيخ منصوري. ويبدو أن اليمن كان مستعداً للسماح لهؤلاء المتمردين بتنظيم مقاومة من داخل أراضيها ضد حكومة عدن، ويمدهم بدوره بالسلاح والذخيرة. بيد أن جنود سلطان لحج تمكنوا من إخضاعهم قبل نهاية الشهر.

وفي العام التالي وقع مزيد من حوادث الحدود. فقد حدثت (٢٨) غارة من اليمن على المحمية بين (١ و٢٤ أيار/مايو سنة ١٩٥٤). وفي العاشر من حزيران/يونيو أغار المهاجمون اليمنيون على مكيراس، وبعد أسبوع من ذلك التاريخ قام حوالي ٨٠ جندياً من الجنود اليمنيين النظاميين ومعهم ٤٠٠ من محاربي القبائل غير النظاميين بهجوم خطير على Marted.

وفي بداية تموز/يوليو هددت بريطانية العظمى اليمن باتخاذ عمل مباشر، إذا لم تتخذ الحكومة اليمنية خطوات إيجابية لمنع الغارات على الحدود. وفي لندن استُدعي السيد حسن إبراهيم القائم بالأعمال اليمني

إلى وزارة الخارجية وسلم مذكرة تلفت نظر حكومته إلى استمرار خطورة الوضع على الحدود بين عدن واليمن، وبالإضافة إلى تفاصيل الحوادث الأخيرة، فإن المذكرة تضمنت أن اليمن كانت مستمرة في إثارة القلاقل في المحمية، وفي تشجيع الخارجين على القانون مثل قبائل الدماني والزبيري وعاقل الحسني، ومدهم بالمال والسلاح. وجاء في المذكرة أيضاً: أن تصرفات حكومة اليمن تشير إلى الاعتقاد بمطالبتها بكل محمية عدن، وأنها لا تنوي تسوية مسألة الحدود، وأن الحكومة البريطانية - التي طلبت إلى حكومة اليمن، ليس فقط، وقف شن الغارات من أراضيها على المحمية بل أيضاً وقف مد قبائل المحمية بالسلاح والمال والغذاء - ترفض بحزم مثل هذا الطلب.

واحتجت الحكومة اليمنية في ردها بأن تحليق طائرات سلاح الجو الملكي في الأجواء اليمنية يشكل استفزازاً سافراً واستمر الرد اليمني يقول:

«إن التحليق تم على مستوى منخفض فوق المنازل مما روع النساء والأطفال الآمنين في بيوتهم. ولا يمكن وصف مثل هذه الأعمال إلا بأنها عدوان سافر وخرق لكل بنود الاتفاقات الدولية عامة وخاصة. أضف إلى ذلك أن هذه الأعمال حدثت في وقت كانت فيه حكومة جلالة الإمام تحاول أن تستجيب لاقتراح الحكومة البريطانية المتفق عليه بعقد اجتماع لإزالة كل أسباب الحوادث التي نجمت عن الهجمات التي تقوم بها قوات عدن ضد مراكز الحراسة اليمنية على الحدود».

❀ ❀ ❀

كان الاعتقاد السائد في الصحافة البريطانية أن زيارة الصاغ (الرائد) صلاح سالم (أكثر أعضاء الحكومة المصرية آنذاك عداء لبريطانية) إلى

اليمن التي تمت قبيل تبادل المذكرات - بين اليمن وبريطانية - كانت عامل دفع كبير للتحركات اليمنية.

وقد نشرت صحيفة، أخبار اليوم المصرية في ١٠ تموز/يوليو «أن الصاغ صلاح سالم قام بزيارة مسرح العدوان البريطاني الأخير خلال الأسبوع الأول من تموز/يوليو، وطاف بالمنازل المهدّمة وشجع الذين وقفوا في وجه الهجوم البريطاني» كما أعلن في ذلك الوقت أن بعثة عسكرية مصرية ستزور اليمن «لتدريب الجيش اليمني على أساليب القتال الحديثة وذلك بإدخال المدفعية والطيران والدبابات».

إن حوادث الحدود كانت تستغل لصرف الأنظار عن مشاكل داخلية باليمن، وتعد أشد خطراً، ولكن السبب الرئيس للخلاف بين اليمن وبريطانية في ذلك الحين، كان، افتراضاً، هو المخطط البريطاني لخلق اتحاد فدرالي لدول غرب محمية عدن. وقد رأى الإمام في ذلك المخطط تقوية ودعماً لدويلات الشوافع الواقعة جنوب حدوده التي يمكن أن تتحالف مع شوافع جنوب مملكته ضد الأقلية الزيدية الحاكمة.

وقالت بريطانية العظمى في رفضها للمذكرة اليمنية: إن طائرات سلاح الطيران الملكي لم يكن تحليقها على ارتفاع منخفض فوق البيضاء «بغرض العدوان السافر» ومن المحتمل أن تكون طائرات بريطانية مدنية قد مرت بالقرب من البيضاء أثناء تحليقها للهبوط في مكيراس ولكنها لم تحلق فوقها مباشرة، وإن مثل عمليات الهبوط هذه كانت شيئاً مألوفاً منذ سنوات.

وبالرغم من قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في أوائل أيلول/سبتمبر للبحث عن حل سلمي للنزاع حول الحدود بين عدن واليمن فإن رجال القبائل اليمنية قاموا بهجمات أخرى على الحدود خلال شهري أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر.

واتضح في نهاية تموز/يوليو من سنة ١٩٥٤ أن مركز الإمام أحمد أصبح مهدداً من قبائل بعض رجالات بلده. وكان التنافس على العرش بصفة رئيسة بين سيف الإسلام الحسن الأخ الأكبر للإمام وسيف الإسلام محمد البدر ابن الإمام البالغ من العمر ٢٧ عاماً.

وذلك بالإضافة إلى سيف الإسلام عبد الله أحد إخوة الإمام. بيد أن السلام ساد بعض الوقت وظل الإمام محتفظاً بعرشه في تعز.

ولم تكن تلك أول محاولة لقلب النظام؛ ففي شباط/فبراير من سنة ١٩٥٠ اعتقل سيف الإسلام إسماعيل أحد إخوة الإمام في معتقل حجة بتهمة تدبير ثورة ضد الإمام.

وفي أوائل نيسان/أبريل سنة ١٩٥٥ قام سيف الإسلام عبد الله على رأس قسم من الجيش بمحاولة إقصاء الإمام أحمد عن العرش. وحدث اشتباك مسلح بين هذه الفئة وحرس الإمام بالقرب من تعز حيث زحف ٦٠٠ من الجنود نحو المدينة وحصروا الإمام في قصره مدة بضعة أيام. وطالب المتمردون بتنازله عن العرش، فوافق على التنازل عن السلطة التنفيذية على أن يظل إماماً. وبهذه الوسيلة استطاع بسرعة أن يكسب إلى جانبه المتمردين، وحدث قتال بالقرب من تعز وقد التف كثير من أهل المدينة حول الإمام. وتمكن ابنه محمد البدر من الهروب إلى حجة حيث جمع حوله نحو ٣٠,٠٠٠ من الجنود ورجال القبائل وسار بهم إلى تعز فاحتلها في الخامس من نيسان/أبريل. وبعد أن قضى على حركة التمرد أعاد والده إلى العرش. وبعد خمسة أيام أعلن البدر ولياً للعرش. وحاول سيف الإسلام عبد الله وسيف الإسلام عباس الهرب من البلاد، إلا أنهما اعتقلا وحوكما بتهمة الخيانة وأعدما في ١٣ نيسان/أبريل وعرضت جثتاهما للجمهور قبل الدفن. كما أعدم المقدم أحمد الثلايا كبير مدربي الجيش وقائد التمرد مع خمسة آخرين.

وحين وصلت أخبار التمرد إلى القاهرة طارت بعثة برئاسة المقدم (حسين) الشافعي، وزير الشؤون الاجتماعية آنذاك، إلى تعز. كما وصل إليها بعض الرسميين السعوديين في ٣ نيسان/أبريل. وذلك في محاولة لإصلاح ذات البين. وأكد الإمام أحمد للبعثة أنه سيفتح بلده للتعاون الكامل مع السعودية ومصر مقابل وعود بأن يقدما المساعدة لليمن ضد بريطانية.

واستمرت العلاقات اليمنية - البريطانية في التدهور خلال عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ وذلك رغم الزيارة التي قام بها حاكم عدن السير توم هيكينبوثام للإمام في تعز في تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٥٤.

ومن العوامل المساهمة في حدوث اشتباكات الحدود بين سنتي ١٩٥١ - ١٩٥٧: - شكوك اليمن التي ثارت حول قبول مشيخات غرب محمية عدن مبدأ الاتحاد الفدرالي، وما تطالب به اليمن بمقتضى معاهدة صنعاء من استمرار الوضع الراهن في المنطقة جنوب الحدود بالإضافة إلى الحدود نفسها، ومخاوف اليمن من حدوث تحالف بين شوافع دويلات المحمية وشوافع اليمن بغية التخلص من الإمامة الزيدية.



III

# أساس مشكلة الحدود

بدأت أعمال لجنة الحدود التركية - البريطانية في الشيخ سعيد سنة ١٩٠٢، وبحلول عام ١٩٠٤ تم الاتفاق على خط حدود يبدأ من نقطة بالقرب من وادي بنا تقع على مقربة من قعطبة من ناحية الشمال الشرقي. وبما أن الأتراك لم يكونوا يملكون القدرة على السيطرة على قبائل المناطق الواقعة شرقاً فقد وضع خط مستقيم في الخارطة على زاوية ٤٥ درجة من تلك النقطة، وتم الاتفاق أيضاً على أن يكون ذلك الخط استمراراً للحد الفاصل بين منطقة النفوذ التركي ومنطقة النفوذ البريطاني. وقد أطلق على هذا الجزء من الحدود التي وضعتها اللجنة التركية - البريطانية اسم الخط البنفسجي وذلك لأسباب خفية تتعلق بوضع الخرائط.

وقد تمت المصادقة في سنة ١٩١٤ على كل خطوط الحدود التي اتفقت عليها اللجنة بمقتضى المعاهدة التركية - البريطانية[١].

وبعد سنة ١٩١٩ تجاوز الإمام الحدود إلى منطقة النفوذ البريطاني، إلا أنه في وقت توقيع معاهدة صنعاء سنة ١٩٣٤ تراجع عن طول الخط التركي البريطاني باستثناء منطقة داخلة في الخط البنفسجي وذلك بسبب استمراره في احتلاله لسلطنة البيضاء منذ سنة ١٩٢٣[٢]. وبما أن الرصاص

(١) تم توقيع هذه المعاهدة في لندن، آذار/مارس ١٩١٤ (المعرب).

(٢) كان الإمام يحيى قد تمكن من استعادة البيضاء عام ١٩٢٣ في حين تراجع من مناطق أخرى حاول استعادتها قبل هذا التاريخ وبعده. والمؤلف هنا يموه في

التي تمثل هذه المنطقة لم تدخل في اتفاق مع سلطات عدن (وذلك لأن الإدارة البريطانية في الهند لم تقدم لهم معونة)(٢) فإنَّ البريطانيين لم يصروا على المطالبة بالبيضاء. وعبارة (الوضع الراهن) الواردة في معاهدة صنعاء تشير من وجهة النظر البريطانية إلى خط الحدود الإنجليزي - التركي بأكمله باستثناء المنطقة الداخلة في الخط البنفسجي والتي لم تطالب بها بريطانية تسليماً بالأمر الواقع.

لقد أكدت معاهدة صنعاء بأن يؤخذ بعين الاعتبار وضع الحدود القائم في شباط/فبراير سنة ١٩٣٤ وبأن يحافظ على ذلك في المستقبل، وبأن على البلدين (بريطانية واليمن) عدم التدخل في شؤون سكان مناطق أي منهما.

ومع أن الإمام يحيى كان وارثاً للسيادة (على اليمن) من الإمبراطورية العثمانية، وكان بذلك ملزماً بأحكام القانون الدولي، فإنه لم يعترف بالمعاهدة الإنجليزية - التركية المبرمة عام ١٩١٤، وقد اتخذ جانب الحذر في عدم الإشارة إليها في معاهدة صنعاء التي قيدها بحدود غير معقولة.

وكان كليتون قد تبين له في وقت مبكر من عام ١٩٢٦ مطالبة الإمام يحيى بجنوب غرب الجزيرة العربية كله بما في ذلك مستعمرة عدن نفسها وكانت هذه الدعوى قد جددها من بعده الإمام أحمد وابنه (البدر) في وقت لاحق. وقد اعتمد (أحمد) في دعواه على الظن بأن تفسير كلمة (الحدود) في العربية والواردة في معاهدة صنعاء تعني في الواقع (مناطق حدود) وليس خط حدود، أو أن المقصود بها المناطق الواقعة بين اليمن والمجال البريطاني، وغير المحددة على كلا الجانبين من الحدود

---

= الجملة التالية بأن السبب في عدم السيطرة البريطانية راجع إلى عدم رغبة قبلية، وكان الاحتلال لبقية الأراضي الجنوبية كان بمحض إرادة القبائل اليمنية وليس بقوة الاحتلال والتوسع المستمر (المعرب).

المفترضة وخصوصاً في الجانب البريطاني منها. وهكذا قال الإمام بأن أي تعديل للأوضاع الإدارية - العسكرية، الأهلية أو الاقتصادية في المحميات على ما كان قائماً في عام ١٩٣٤ يعد انتهاكاً لمعاهدة صنعاء. وكان الأئمة المتعاقبون يعلنون - متى طاب لهم ذلك - بأن (الوضع الراهن) لا ينطبق على وضع خط الحدود فحسب، بل أيضاً، على عدم تغيير نمط الحياة في المحمية حتى ولو تعلق ذلك التغيير بمبنى مركز حدود. وما هو ممنوع في المحمية فقد سمح به في أراضي الإمام.

❀ ❀ ❀

واصلت عدن عمليات التهدئة والمصالحة في المحمية بين عامي ١٩٣٤ و١٩٣٩، وقد تطور نظام المعاهدات الاستشارية بين سنتي ١٩٤٥ و١٩٥٤ والذي به كانت تعد الحكومة بحماية الأمن مقابل إعانة مالية، والسماح لمستشار بريطاني بالإقامة مع العمل بمشورته.

ومنذ عام ١٩٥٤ فصاعداً، بدأت الخطط الفيدرالية (الاتحادية) تأخذ طريقها في التنفيذ، وكان سبب نجاح هذه الاتجاهات - الثلاثة - وتقدمها هو أن قبائل المحمية الشافعية كانت تفضل النفوذ البريطاني على سيطرة الأئمة الشيعة.

وكان تماسك شوافع المحمية مصدر تهديد للأئمة الشيعة في اليمن الذين كانوا يخافون من إمكانية اتحاد الأغلبية الشافعية في اليمن مع شوافع المحمية لإسقاط الإمامة[1].

❀ ❀ ❀

(١) سبق للمؤلف تكرار هذه النغمة الاستعمارية القديمة في غير هذا المكان من الكتاب (المعرب).

## IV

# خطط (هيكنبوثام) الاتحادية[1]

نتجية للمشاكل الداخلية في اليمن خلال النصف الأول من عام ١٩٥٥[2] بقيت الأوضاع في الحدود هادئة نسبياً. وبمجيء الصيف توالت الهجمات في منطقة بيحان، وفي غربي محمية عدن قتل ضابطان بريطانيان وعشرة عساكر محليين حين هاجمت قبائل الزبيري قافلة سيارات في شهر تموز/يوليو سنة ١٩٥٥، فأرسلت فرقة من سلاح الحدود مع سرية من الحرس المسلح إلى المنطقة. وقد أعلن في عدن في شهر آب/أغسطس بأن اليمن كان وراء إثارة هذه الفتن وغيرها من الاضطرابات.

ولم تدع مصر هذه الفرصة تفوتها، فقد بادر العقيد ناصر في مطلع آذار/مارس سنة ١٩٥٦ بتوضيح الأهمية البالغة لكل من الملك سعود والرئيس القوتلي؛ في مصر أن تعول كثيراً على التضامن بين الدول العربية

---

(١) كان السير توم هيكنبوثام Sir T. Hickinbotham حاكماً لعدن خلال السنوات (١٩٥١ - ١٩٥٦) (المعرب).

(٢) يقصد المؤلف أحداث انقلاب العقيد أحمد يحيى الثلايا - سيف الإسلام عبد الله الذي كان خلال نيسان/أبريل سنة ١٩٥٥ ضد الإمام أحمد، وبفشله أعدم الأخير أخويه عبد الله والعباس مع قائد الانقلاب العسكري وجماعة أخرى منهم ممن كان له ضلع بالحركة الوطنية، عن أحداث الحدود والاضطرابات في هذه الفترة والمقاومة ضد الإنجليز ومشاريعهم الاتحادية. انظر: سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن ص ١٨٧ - ١٩٩ (المعرب).

من أجل المصالح العربية في البحر الأحمر والمحيط الهندي حيث التأثير الأجنبي «يشكل خطراً دائماً على الاستقلال السياسي والاقتصادي والعسكري العربي»، ولقد كان التحرر الكامل من أشكال السيطرة الإمبريالية كلها هو أحد الأهداف السياسية لمصر.

مضى بعض الوقت إلى الآن وعدن تكتنفها الاضطرابات وسلسلة من الإضرابات العمالية ذات الطابع السياسي وهي المدبرة والمشجعة بالدعاية المصرية.

وفي منتصف آذار/مارس رشت الحكومة اليمنية أحد مشايخ بلحارث - الأحد عشر - بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ ريال و ٦٠٠بندقية سعودية أرسلت إلى مأرب على شاحنة سعودية بغية إثارة القلاقل بين قبائل المحمية. وبعيد ذلك في نيسان/أبريل سنة ١٩٥٦ وقع اليمن معاهدة التحالف العسكري مع مصر وسورية[1] والمملكة العربية السعودية.

لم يتمكن معسكر العقيد ناصر المعادي للوجود البريطاني في جنوب غرب الجزيرة العربية من أن يثني السير توم هيكنبوثام عن عقد مؤتمره الفيدرالي (الاتحادي) الذي حضره ثمانية عشر حاكماً من حكام المحميات، لمناقشة خطط الاتحاد الذي كانت حكومة عدن قد وضعت مقترحاتها الأولية بشأنه في عام ١٩٥٣، ووافق عليها معظم الحكام بشكل عام في سنة ١٩٥٤.

وكانت بعض الأوساط قد وجهت النقد والتحذير لمن دعا للمشاركة في هذا المؤتمر الذي صدر بعده البيان التالي[2]:

---

(١) لم تكن سورية طرفاً في تلك المعاهدة التي وقع عليها في جدة (٢٨ نيسان/أبريل سنة ١٩٥٦) الرئيس جمال عبد الناصر والإمام أحمد حميد الدين والملك سعود بن عبد العزيز، في اللقاء الأول بين عبد الناصر والإمام أحمد في ٢١ نيسان/أبريل سنة ١٩٥٦ (المعرب).

(٢) يلاحظ أن بيان الحاكم البريطاني وبيان المشائخ (الأمراء والسلاطين) الذي سيليه =

«أجرى حاكم (عدن) مؤخراً محادثات مع مشايخ (حكام) المحمية حيث بحث معهم مستقبل مناطقهم على ضوء سياسة حكومة صاحبة الجلالة في المحمية، كما هو في أي مكان آخر، للتوجيه والمساعدة في تطوير كل المناطق المستقلة بأقصى ما يمكن سياسياً واقتصادياً وبقدر ما تسمح به ظروف كل منطقة. وإن حكومة صاحبة الجلالة تتفق وتتعاطف مع الفكرة الخاصة باستحالة قيام كيانات صغيرة مستقلة في المحمية سواء من حيث الكثافة السكانية أو المساحة الجغرافية أو المصادر القومية، وهذا يدعو بالضرورة إلى قيام صيغة اتحادية بين جميع الأطراف المعنية بما يكفل مصالحهم المتبادلة ويقوي اقتصادهم ومجتمعاتهم. إن حكام هذه المناطق (الدويلات) وشعوبها يملكون كامل الحرية في مناقشة الأمن بين أنفسهم مع أي مشورة قد تطلب من حكومة صاحبة الجلالة بما يكفل للاتحاد أقرب وأحسن الصيغ الملائمة لهم ولمصالحهم، وكما هو معلن من سياسة حكومة صاحبة الجلالة.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ لهم محض الحرية في اختيار أو رفض أي مقترحات متعلقة بتحقيق أهداف الاتحاد، الذي سيجد من ثم كل رعاية حكومة صاحبة الجلالة ومساعدتها تماماً كما تفعل ذلك الآن، وستستمر في المستقبل».

وقام المشايخ بدورهم بإصدار البيان التالي الموجه إلى حكومة عدن، وقد نقل ذلك سلطان لحج نيابة عنهم:

«نحن حكام سلطنات وإمارات الجنوب العربي المجتمعين في عدن نعلن عن تقديرنا للروح العالية التي اتسمت بها حكومة صاحبة الجلالة بإصدارها إعلان ١٣ آذار/مارس لسنة ١٩٥٦، مقدرين سياستها إزاء

= قد كتبا بنفس العبارات والكلمات، ولا يحتاج ذلك إلى تفسير أو تعليق! (المعرب).

أقطارنا ومستقبلنا، وإننا لعلى يقين بأن تطور مناطقنا وتقدمها يعتمدان في المستقبل على مقدار اتحادنا والتعاون فيما بيننا، كما أننا نعتقد أيضاً وبناء على حكومة صاحبة الجلالة بأن سياستها إزاء مناطقنا هي المساعدة والتطوير إلى أقصى حد ممكن سياسياً واقتصادياً، هذا بالإضافة إلى أن حكام هذه المناطق وشعوبها لديهم كامل الحرية في التباحث فيما بينهم على الصيغة الملائمة للاتحاد، والتعاون فيما بينهم، ولهم كامل الحرية في اختيار المقترحات التي يمكن أن تقدم لهم أو رفضها، ولقد خلق ذلك القول لدينا انطباعاً عميقاً، كما أنَّ إعلان هذه المبادئ من حكومة صاحبة الجلالة من شأنه تقوية عرى الصداقة معها.

إننا معشر مشايخ السلطنات والإمارات ندرك أن المباحثات التي ستجري هي بغرض إمعان النظر في سبل التعاون والاتحاد، وللعمل على مزيد من تنظيم مناطقنا بشكل مرض وبما يتفق مع المصلحة العامة والمتبلورة في أهداف القومية العربية وغاياتها. وإننا ندعو الله أن يهدينا، ويسدد خطانا لتحقيق آمالنا».

وبينما استمرت الإضرابات في عدن حتى شهر أيار/مايو من سنة ١٩٥٦ كان الرئيس ناصر قد التقى بالإمام أحمد والملك سعود في جدة في ٢١ نيسان/أبريل بغية التباحث معهما حول الأوضاع المتردية في المحميات وللعمل ضد استيلاء بريطانية على جزيرة كمران[١] التي كان فيها أعمال شركة البترول البريطانية، وللعمل كذلك على إلحاق اليمن بالتحالف العسكري المصري - السوري - السعودي المشترك. (وكانت اليمن قد احتجت - لتوها - رسمياً في نهاية كانون الثاني/يناير سنة

(١) تقع جزيرة (كمران) في المياه اليمنية مقابل ميناء الحديدة، وقد جعلتها معاهدة لوزان بين تركية والحلفاء عام ١٩٢٣ محجراً صحياً دولياً، وقد استخدمتها بريطانية قاعدة لها حتى تم انسحابها النهائي من المنطقة عام ١٩٦٧ (المعرب).

١٩٥٦ لسماح الحكومة البريطانية بأعمال التنقيب عن البترول في جزيرة كمران).

وقد تم التوقيع على المعاهدة بعد وقت قصير من صدور بيان روسي يعلن أن روسية ستعمل من أجل إقرار السلام بين العرب وإسرائيل.

وفي هذا الجو من العداء العام ضد بريطانية نبهت صحيفة (الأنباء) الدمشقية إلى أن الشرق والغرب يساعداننا حين يكون في ذلك مصلحة لهما، كما اتهمت (الاتحاد) الدمشقية روسية بأنها لا تساعد العرب إلا «للحصول على الأفضل خارج الحرب الباردة مع الغرب». وفي القاهرة رحبت جريدة (الجمهورية) بما سيدعى (ميثاق جدة) وذلك بقولها: «إن حوض البحر الأحمر قد أصبح الآن تحت السيطرة العربية الكاملة». بينما أعلنت (الأخبار) بأن الميثاق «سيمنع بريطانية من الاستمرار في حوك مؤامراتها في الجزيرة العربية».

استمرت حوادث الحدود، مما اضطر حرس الحكومة أن يقوم في ٧ نيسان/أبريل بالتمركز في وادي خورة في سلطنة العوالق العليا التي هاجمها رجال القبائل، واستمر إطلاق النار ليلتين حين حاول اثنان من رجال القبائل اتخاذ طريقهما عنوة إلى المركز بعد أن قتل أحد الحرس (الخفر)، وبعيد ذلك قام رجال القبائل بإطلاق النار من المزارع والقرى المحيطة، مما دعا إلى إنجاد الحرس الحكومي بسلاح الطيران، وقد قتل اثنان من المغيرين كما جرح أربعة آخرون. وهدمت بعض بيوت أهل عبد الله وأهل صالح من قبائل السيجاني الذين رفضوا دفع مبلغ ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) ريال لحكومة عدن، وكان ذلك تأديباً لهم.

وفي الوقت نفسه قامت قوة يمنية كبيرة بعبور الحدود وهاجمت حرس الحكومة في عمير على حدود بيحان، واستمر إطلاق النار لبضع ساعات من دون أية خسائر.

وفي بداية أيار/مايو قامت طائرات سلاح الطيران الملكي البريطاني بقصف مدفعي وقذف بالصواريخ على حصن حورة.

واستمرت السعودية في مدها قبائل المستعمرة بالبنادق، إلا أنه تم القبض على ١١٥ من القبائل في عشرين أيار/مايو، وهم في طريق عودتهم من الحدود السعودية على ثلاث ناقلات كانت محملة بالبنادق وأخذوا إلى حصن العبر AL Abrعلى الحدود اليمنية.

وبعد أسبوع من ذلك وقعت مناوشات وتبودل إطلاق النار بالقرب من الحصن، فقامت طائرة من طراز لنكولن Lincoln وأربع طائرات من طراز فينوم Venom بإطلاق النار على ستين رجلاً من رجال القبائل الذين تجمعوا في المنطقة.

خلال الشهر التالي كان هناك تبادل لردود (المذكرات) الدبلوماسية بين البلدين. ففي ١٣ تموز/يوليو سنة ١٩٥٦ احتج القائم بالأعمال اليمني في لندن - لدى وزارة الخارجية - على (حشد القوات البريطانية) بالقرب من مركز للجمارك بين (حريب) و(البيضاء) وقد ادعى بأن هذه القوات مكونة من ٢٠٠ جندي ودبابتين معهما اثنتا عشرة آلية وستة مدافع، ولم يكن لدى وزارة الخارجية أو حكومة عدن أي علم بتحركات من هذا النوع.

وبالتحقيق في أمر احتجاجين يمنيين مشابهين في شهر حزيران/يونيو تبين بأن دورية تابعة لمحمية عدن قامت بمطاردة بعض رجال القبائل اليمنية الذين أغاروا على أكواخ ونهبوا الماعز! ..

وفي تعز احتج القائم بالأعمال البريطاني الجديد مونتيث Monteith على حادث وقع في محمية عدن في منتصف تموز/يوليو سنة ١٩٥٦ حين عبر الحدود، بالقرب من مكيراس، يمانيون من رجال القبائل وأطلقوا النار في قرية عوذلية، وقام قبائل العواذل بردهم وقتل اثنين منهم.

وفي ١٩ تموز/ يوليو قام بزيارة وزارة الخارجية البريطانية القائم بالأعمال اليمني في لندن ليحتج على تحليق طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني في جواء منطقة البيضاء خلال تحركاته في ١٤ تموز/ يوليو، وقد قال القائم بالأعمال بأن استخدام الطيران «قد سبب أضراراً بالغة للسكان».

وفي أيلول/ سبتمبر من سنة ١٩٥٦ جرت عدة محاولات نشطة شجع عليها المصريون واليمنيون لإشاعة التمرد في محمية عدن. فقد صبت إذاعتا (القاهرة) و(صنعاء) سيلاً متصاعداً من الدعاية ضد (بريطانية الاستعمارية)، واستمر مذياع صنعاء طيلة الأسبوع الثاني من أيلول/ سبتمبر في إطرائه الذين تمكنوا من وضع كمين لقتل درويش الذي يعتقد بأنه عميل بريطاني. ولم تكن هذه الدعاية الإذاعية إلا بداية لحرب دعائية تطورت في الأشهر الأولى من عام ١٩٥٧، ولم يكن الغرض منها (في واقع الأمر) إلا صرف الانتباه عن تردي الأوضاع الداخلية، كتمرد الجيش اليمني في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٩٥٦[1] بسبب ضآلة المرتبات وذهاب الجنود لتدعيم القعيطي في حدود عدن.



(١) لم نطلع على شيء يؤكد مثل هذا الحادث (المعرب).

V

# حوادث الحدود

## ١٩٥٥ - ١٩٥٧

أسرعت اليمن في الإفادة من فرصة الفشل الذريع في الشرق الأوسط الذي منيت به بريطانية العظمى من جراء حملة قناة السويس سنة ١٩٥٦، فتتابعت حوادث الحدود في سنة ١٩٥٧، ولم يكن ذلك جديداً، إلا أن الجديد في الأمر أن هذه الحوادث كانت على نطاق واسع وبشكل غير عادي؛ وكانت مصحوبة بحملة دعائية شرسة. فخلال الأسبوعين الأولين من كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٥٧ لم يكن نشاط (تحركات) القوات البريطانية إلا بمعدل الثلث على المستوى العادي؛ في حين أن الغارات كانت في واقع الأمر أكثر جسارة من المعتاد، وقد شارك في الاشتباكات قوات نظامية يمنية.

وفي نهاية كانون الثاني/يناير دعا الإمام أحمد المراسلين العالميين إلى زيارته مع أعضاء حكومته، وهكذا مرت قافلة المراسلين عبر خطوط القتال مروراً بالمنطقة المحايدة، وذلك حين أجريت ترتيبات لوقف القتال ليتسنى للمراسلين العبور بأمان حيث شاهدوا آثار ثلاثة منازل مهدمة في قرية جليلة التي كان سلاح الطيران الملكي البريطاني قد قام بقصفها تأديباً لتمرد أهلها ولقتلهم أحد رجال الدين المحليين[١] في آب/ أغسطس من

(١) استخدم المؤلف Holy man لرجل الدين، وبغض النظر عن صحة القصة أو عدم صحتها فقد ترجمنا ذلك (رجل دين)، (المعرب).

عام ١٩٥٦، وكان هذا القصف بداية لسلسلة من حوادث الحدود في عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ التي تطورت إلى أكثر المعارك دعاية في مناطق الحدود اليمنية.

(وما إن حل شهر) تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٥٦ حتى رست سفينة روسية في ميناء الصليف حيث أفرغت شحنة من الأسلحة الخفيفة والذخائر ونحواً من خمسين مدفعاً خفيفاً مضاداً للطيران، وكانت تلك الشحنة نتيجة لمحادثات اليمن مع تشيكوسلوفاكيا.

❀ ❀ ❀

في يوم عيد الميلاد (٢٥ كانون الأول/ديسمبر) قامت جماعة من قوات أمن المحمية بمطاردة مهاجمين عبروا الحدود من قعطبة، وهاجموا حصناً حكومياً بالقرب من الضالع، وقد تبودل إطلاق النار بالأسلحة الخفيفة في ضواحي قعطبة مما نجم عنه إصابة بعض المباني بأضرار بسيطة، غير أن الحكومة اليمنية ادعت - أيضاً - بأن القوات البريطانية أغارت داخل اليمن في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر وجرحت خمس نساء يمنيات.

وبينما كانت حكومة عدن والمسؤولون اليمنيون يحاولون في ٢٤ كانون الأول/ديسمبر إجراء ترتيبات خاصة بالهدنة تتالت مجدداً حوادث الحدود في منطقة بيحان، وقام رجال القبائل اليمنية بهجمات استفزازية على بعض رجال قبائل بيحان. وفي اليوم التالي قام مسلحون من رجال القبائل بعبور الحدود وأطلقوا النار بشدة على منزل أمير بيحان وعلى المقر البريطاني في الضالع، وقد قام المجندون المحليون (الليوي) بصد هذه الغارة.

وبين ٢٤ كانون الأول/ديسمبر والأول من كانون الثاني/يناير سنة ١٩٥٧ قام رجال القبائل اليمنيون بأربع غارات في مناطق مختلفة عبر

طول الحدود. وقد جرحت امرأة وسلب خمسون رأساً من الماشية في إحدى تلك الغارات.

وقامت القوات اليمنية مع قبائل المريسي بهجوم على الشعيب قتلت على إثره طفلة في الثامنة من عمرها، وهوجم أيضاً عدد من القرى في منطقة بيحان وحصن في غانية.

واستمرت الغارات اليمنية في بداية سنة ١٩٥٧ على أراضي المحمية بالقرب من بيحان، وبعد بعض المصادمات العنيفة طلب اليمنيون هدنة وافق عليها أمير بيحان على أساس أن تتخلى القبائل عن الإحاطة بالمرتفعات والانسحاب خارج الحدود، غير أن ذلك لم يتم، إذ إن اليمنيين انتهزوا فرصة وقف إطلاق النار في الهدنة للتزود بمزيد من الذخيرة، ونشب القتال ثانية، وشرع اليمنيون في بناء حصون جديدة على الحدود، وجرى بعض القتال العنيف حول مركز Nagd Meizay بالقرب من بيحان.

احتج المستر مونتييف، القائم بالأعمال البريطاني في تعز، لدى الحكومة اليمنية على الغارات التي وقعت بين ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩٥٦ والأول من كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٥٧، وكان هذا الاحتجاج الثالث من نوعه في سلسلة الاحتجاجات (والاحتجاجات المضادة) والمتبادلة بين الحكومتين، وكذلك فعل في لندن السيد محمد بن إبراهيم القائم بالأعمال اليمني حين أبلغ وزارة الخارجية في ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر أحد احتجاجات حكومته على حوادث ٢٤ و٢٥ كانون الأول/ ديسمبر.

وبحلول السابع من كانون الثاني/ يناير كانت الدعاية العربية قد بلغت أوجها عبر إذاعة القاهرة، والمفوضية اليمنية في بون، فقد أعلن القاضي

عبد الرحمن عبد ربه البيضاني[1] القائم بالأعمال في بون في ٧ كانون الثاني/يناير بأن القنابل المحرقة والشديدة الانفجار قد ألقيت على اليمن وبأن الدبابات البريطانية تقوم بالهجوم، كما نُسفت مراكز حكومية ومراكز جمارك. وقد قتل من جراء ذلك ١٧٣ مواطناً يمنياً كما جرح عدد آخر. وادعى (البيضاني) بأن المواطنين أسقطوا إحدى القاذفات التابعة لسلاح الطيران البريطاني بالقرب من البيضاء في ٦ كانون الثاني/يناير، كما أسقطوا طائرتين أخريين في اليوم التالي.

أما راديو القاهرة فقد اتهم الاستعماريين البريطانيين باستمرار عدوانهم الوحشي ضد المملكة العربية السعودية، وإعدادهم لغزو اليمن على نطاق واسع. وكان سلاح الطيران الملكي، في واقع الأمر، قد قام بتحركات في ٦ كانون الثاني/يناير داخل أراضي المحمية واشتبكت طائراته في حدود بيحان مع القوات اليمنية ورجال القبائل المتمردة، وكان المستشار البريطاني أرنست كندي (المعين بموجب نظام الاستشارة) قد أصيب من قبل القبائل المتمردة حين ذهب إلى هناك بغرض التفاوض.

واستمر القتال حول الضالع وبيحان والربزي، كما قامت السلطات اليمنية في البيضاء وحريب بتجميع القبائل من المناطق المجاورة للهجوم على بيحان.

(١) هو نفسه (الدكتور) عبد الرحمن البيضاني كما عرف فيما بعد (بالدكتور) بدلاً عن (القاضي) الذي لقب به خلال فترة عمله مع الإمام أحمد حتى انضمامه إلى المعارضة بالقاهرة قبيل الثورة (١٩٦٢) بنحو من عام، وقد تقلد عدة مناصب هامة في حكومة الثورة الأولى حتى عام ١٩٦٣ حين أبعد إلى القاهرة وبقي بها مزاولاً الكتابة السياسية والأعمال العامة، وقد شغل منصب سفير في بيروت بين عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨ وعاد إلى القاهرة ثانية حيث يقيم الآن، (المعرب).

في القاهرة قام السيد عبد الرحمن أبو طالب[1] سفير اليمن بمصر بمقابلة الرئيس عبد الناصر في السابع من كانون الثاني/يناير ليطلب مساعدته، كما قام أيضاً بزيارة السفير السوفييتي كيسليف في التاسع من الشهر للغرض نفسه، وقد استغلت المحادثات مع ناصر دعائياً بشكل واسع واتهمت في ذلك بريطانية بمحاولة احتلال منطقة قعطبة والبيضاء، وكذلك احتلالها لمهبط صحراوي للطائرات على بعد ٦٠ ميلاً داخل حدود أراضي محمية عدن، وقد قررت الحكومة اليمنية رفع الأمر إلى الأمم المتحدة وإلى اللجنة السياسية للجامعة العربية[2]. وهكذا أُذيع في السابع من كانون الثاني/يناير قرار من الجامعة العربية بشجب العدوان البريطاني على اليمن.

أما في لندن فقد استدعت الخارجية البريطانية في ٨ كانون الثاني/يناير السيد حسن بن إبراهيم القائم بالأعمال اليمني حيث سلمه ديريك رايتشز D. Riches رئيس القسم الشرقي مذكرة رد على الاحتجاج اليمني السابق في ٢ كانون الثاني/يناير، وقد مضت المذكرة تقول:

---

(١) عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب دبلوماسي وسياسي يمني معروف، مثل اليمن في القاهرة ونيويورك وبراغ، وكان وزيراً في الاتحاد الفيدرالي بين ج.ع.ح. واليمن، كما كان وزيراً حين قامت الثورة حيث أعدم مع وزراء آخرين يوم ٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٦٢ (المعرب).

(٢) جمع السيد عبد الرحمن أبو طالب مختلف الاتفاقات والمعاهدات البريطانية مع موقف اليمن - آنذاك - من الوجود الاستعماري في الشطر الجنوبي من اليمن وقدم ذلك في كتاب رسمي إلى جامعة الدول العربية بالقاهرة في ٥ آب/أغسطس ١٩٥٩، ولا يزال الكتاب من محفوظات الجامعة التي قامت الإدارة السياسية بها بتوزيعه على الدول الأعضاء وكان معنوناً: (الجنوب اليمني المحتل من النواحي التاريخية والطبيعية والسياسية ونصوص الاتفاقات والمعاهدات البريطانية مع إمارات الجنوب)، (المعرب).

«.. لقد تبين للمستر سلوين لويد[1] أن الحوادث التي وقعت في ٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦ في موقع الهجر Hajar-Al كانت داخل حدود المحمية، وبأنها قد نجمت حين دخلت القوات اليمنية عنوة مما جعل سلاح الطيران الملكي البريطاني يقوم بإجلاء هذه القوات من المنطقة. وإن حكومة صاحبة الجلالة تحتج بشدة على تساهل الحكومة اليمنية وعدم كبحها لمواطنيها من دخول أراضي المحمية على هذه الصورة، كما أنها تكرر ما سبق أن نقلته للحكومة اليمنية من أن حالة السلام لن يقر لها قرار ما لم تمنع السلطات اليمنية خرق المادة الثالثة من اتفاقية الصداقة لعام ١٩٣٤[2]».

❁ ❁ ❁

واستمرت القوات اليمنية وفي جملتها عساكر نظامية في الهجوم؛ وقد قُتِلَت امرأة وطفل في مشيخة (الشعيب) نتيجة لإحدى الغارات التي رتب

---

(١) كان (سلوين لويد) وزيراً لخارجية بريطانية خلال (١٩٥٥ - ١٩٦٠) وقد شغل قبل ذلك وبعده عدة مناصب وزارية في حكومة المحافظين وكان على خلاف مع المستر إيدن في قضية السويس، (المعرب).

(٢) تنص المادة (٣) من تلك المعاهدة كما ورد في النص العربي على ما يلي:
«يؤجل البت في مسألة الحدود اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يوافق الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل من دون إحداث أي منازعة أو مخالفة. وإلى أن تتم المفاوضات المشار إليها في الفقرة السابقة الذكر فالفريقان المتعاقدان الساميان يوافقان على بقاء الوضع القائم بالنسبة إلى الحدود كما هي عليه عند تاريخ توقيع هذه المعاهدة، وأن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أي تعدٍّ من قواتهما في الحدود المذكورة وأي تدخل من أتباعهما أو من جانبهما في شؤون الأهالي القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة». اهـ
(نقلاً من النص العربي المحرر في صنعاء في ٢٦ شوال سنة ١٣٥٢هـ الموافق ١١ شباط/فبراير ١٩٣٤) (المعرب).

لها من قعطبة، كما جرى توزيع[(١)] القوة اليمنية على بيوت قبائل المحمية لإيوائها، وأحرقت ودمرت منازل في بيحان وحول الضالع. وبناء على أوامر من قعطبة قام أهل مريس ببناء حصون على الحدود ووجهوا نيرانهم على قريتي (سهم الرداف وسهم النكدى) بمنطقة بيحان التي استمر عليها الهجوم والإغارة. وقد قامت طائرة من طراز Venom لمساعدة القوات المحلية في إبعاد اليمنيين المغيرين خارج الحدود، كما قامت القوات البريطانية أيضاً بصد هجوم في منطقة الضالع.

كان الاعتقاد السائد لدى حكومة عدن بأن سلسلة هذه الهجمات كانت بتحريض من الحكومة اليمنية بغية إبعاد الأنظار عن الاضطرابات الواقعة بشرق اليمن، ففي أوائل كانون الثاني/يناير أرسلت قوات يمنية إلى الشرق[(٢)] لمعالجة فوضى محلية حدثت هناك. ولقد كان نائب إب[(٣)] وهو أحد الرجال الهامين في البلد، ممن دعم هذه الغارات على الحدود بغرض التستر على الأوضاع الداخلية هذه. وأخذت تصل في هذا الوقت إلى (حريب) تعزيزات عسكرية يمنية كبيرة، في حين طلب ضابط يمني

(١) توزيع القوات رسمياً Billet على بيوت المواطنين بغرض الإيواء هو ما يعرف في اليمن (بالخطاط) وكان يزاول قبل الثورة كعمل تأديبي في بعض الأحيان، (المعرب).

(٢) يقصد بالشرق منطقة لواء البيضاء المتاخمة للمناطق الجنوبية الشرقية المحتلة. (المعرب).

(٣) لعل المؤلف يقصد القاضي أحمد السياغي الذي عرف بحزمه وقوة شخصيته، وكان نائباً (محافظاً) للواء إب لفترة طويلة حتى اختلف مع الإمام أحمد في أواخر أيامه/ ١٩٦٢/ وفر إلى الجنوب، وحين قامت الثورة كان وقتها في (لحج) ويقال بأنه أرسل برقية تأييد للثورة وبأنه في طريق عودته إلى صنعاء إلا أنه سمع في اليوم الثاني للثورة خبر إعدام أخيه (عبد الرحمن) مع من أعدم فرجع على عقبيه، وانضم إلى الملكيين حتى قتل فيما بعد في منطقة خولان عام ١٩٦٧، (المعرب).

الهدنة[1] على أن يسحب قواته من المرتفعات المحيطة والمشرفة على قرى (بيحان). وفي سلطنة (العوالق العليا) حدث خلاف بسبب إتلاف اليمنيين محصول إحدى القبائل وأطلقت النار على قريتي جليلة والصفراء من قبل حامية قعطبة.

وقد ساد الاعتقاد بأن وراء تنظيم هذه الهجمات وتركيزها أيادي خارجية. ولقد صرح (البيضاني) في بون في العاشر من كانون الثاني/يناير بأن حكومته سترفع أمر العدوان البريطاني إلى الأمم المتحدة، وبأن الحكومة اليمنية سترحب بأي مقترحات بناءة تقدمها لجنة دولية حول مسألة الحدود. كما أن مراكز لتسجيل المتطوعين قد فتحت أبوابها في كل من القاهرة ودمشق وموسكو للقتال بجانب اليمنيين. وقد ادعى (البيضاني) بأنه قد تسلم بضعة آلاف من طلبات التطوع من مختلف البلدان. وكان نحو من ٢٠٠ من شباب جيش التحرير المصري قد أعربوا عن رغبتهم في التطوع والتوجه إلى اليمن. وما إن حل الخامس عشر من كانون الثاني/ يناير حتى كان هنالك نحواً من ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) متطوع في القاهرة، وأعداد أخرى سجلت نفسها في سورية والأردن.

في ١١ كانون الثاني/يناير عززت القوات البريطانية في عدن بقوات نقلت إليها من شرق إفريقية. وفي الوقت نفسه كانت حامية قعطبة قد دعمت بـ (٩٠٠) يمني حيث قامت قوة منها بهجوم جديد على بئر ولاه Bir Walah قرب بيحان، وحدث هجوم آخر من قبل قبائل محمية عدن المتمردين والمقيمين في اليمن، وقد أصابوا نحواً من خمسة عشر رجلاً في قرية من قرى جبل جحاف في ليلة التاسع من كانون الثاني/يناير، كما أصيب مخفر لحارس في بلاد الأزارق. وفي اليوم نفسه أعلنت المفوضية اليمنية في بون في بيان لها فحواه أن البريطانيين في عدن قاموا بقمع انتفاضات القبائل

(١) من العجيب عدم ذكر المؤلف لاسم هذا الضابط أو مركزه، (المعرب).

التي انتشرت ثوراتها عبر المحمية، وبأن عدد القتلى قد ارتفع إلى عدة مئات بينهم عشرة من الأجانب المقيمين في المحمية، وبأن سلاح الطيران البريطاني واصل قصفه على قعطبة وحريب والبيضاء.

في القاهرة، في ١١ كانون الثاني/يناير، دعا عبد الرحمن أبو طالب، الوزير اليمني المفوض، (القيادة المشتركة) للجيوش المصرية والسعودية واليمنية للاجتماع.

وفي اليوم التالي قام السيد أحمد بن علي زيارة[١] القائم بالأعمال اليمني بواشنطن بمناشدة الولايات المتحدة الأمريكية في أن توقف العدوان البريطاني، وقد أعرب المستر رونتري Rowntree الوزير المساعد للشؤون الخارجية عن دهشته وقلق الولايات المتحدة مما يجري، واعداً بأن الأمر سيبحث مع السلطات البريطانية.

وفي ١٧ كانون الثاني/يناير أعلن رونتري بأن «الولايات المتحدة الأمريكية قد حثت ولا زالت تحث على مزيد من ضبط النفس».

وفي اليوم التالي أعلن أبو طالب في القاهرة بأن حكومته تفكر في إلغاء معاهدة صنعاء لعام ١٩٣٤ والاتفاق اليمني البريطاني لعام ١٩٥١، إلا أن الخارجية البريطانية في لندن لم تحظ بأي شيء بهذا الخصوص.

بيد أن أبا طالب عاد فأعلن بعد محادثاته مع عبد الناصر يوم ٢٠ كانون الثاني/يناير «أن اليمن قررت عدم إلغاء اتفاقاتها مع بريطانية».

وتتالت الحوادث في ٩ و١٠ و١١ كانون الثاني/يناير على مركز في غربي محمية عدن وفي وادي خورة وعلى مركز غانية بالقرب من بيحان.

---

(١) يعمل السيد أحمد بن علي زيارة في السلك الدبلوماسي اليمني من أوائل الخمسينات وقد أمضى كل فترة خدمته - تقريباً - في البعثة اليمنية بواشنطن والوفد الدائم بنيويورك، (المعرب).

واستمر في الوقت نفسه تزايد وتركيز الحملة الدعائية من محطتي القاهرة وصنعاء اللتين صرفتا جهودهما لحث قوات جيش محمية عدن (الليوي) في التخلي عبر الحدود.

وبحلول ١٤ كانون الثاني/يناير تقدمت القوات النظامية اليمنية نحو عشرة أميال داخل أراضي بيحان حيث احتلت السوادية والحوطة، وفي ذلك اليوم تم نقل كتيبتين من جيش مشاة (درهام) جواً لقطع الطريق بين منوا وبيحان. وكان في ١٣ كانون الثاني/يناير قد اعتدي على مئة وعشرين جندياً على هذا الطريق، وبعد ذلك بيومين تمكن بعض اليمنيين من احتلال نحو ستين أو سبعين ميلاً مربعاً من منطقة المحمية داخل بيحان.

وقد وجهت حكومة عدن عدة نداءات للقوات المحتلة تطالب بالانسحاب، ونتيجة لتجاهل هذه النداءات قامت طائرة مقاتلة من سلاح الطيران الملكي بقصف السوادية والحوطة حيث تم إبعاد المحتلين.

في ٢٧ كانون الثاني/يناير هوجم مطار (الضالع)، ولاحق جنود (الليوي) رجال القبائل لكنهم قوبلوا بقوة كبيرة من الجيش اليمني ورجال القبائل، ولم يتم جلاؤهم خارج الحدود إلا بعد الاستغاثة بقوات (الكاميرون هايلندز) Cameron Highlanders.

في ١٤ شباط/فبراير نصب كمين لدورية من هذه القوات Cameron Highlanders وقتل اثنان وجرح ستة من الجنود.

وبعد سبعة أيام انتقم سلاح الطيران الملكي بقذف (دنابه) Danaba القرية التي جاء منها المعتدون بعد أن تم إنذار الأهالي بإخلائها.

في هذه الأثناء أعلن مندوب اليمن الدائم لدى الأمم المتحدة أمام «لجنة الوصاية الدولية» أن عدن جزء لا يتجزأ من اليمن، ورداً على هذا وزعت بريطانية العظمى في ٢٢ كانون الثاني/يناير مذكرة على أعضاء

مجلس الأمن تتهم فيها اليمن بإثارة القبائل على حدود محمية عدن لعدة سنوات، وذكرت حكومة بريطانية في مذكرة أخرى بتاريخ ١٦ شباط/ فبراير أن لديها أدلة تشير إلى أن مصر والأقطار الشيوعية تقدم مساعدات عسكرية لليمن، كما أن مصر بعثت بخبراء عسكريين لتدريب الجيش اليمني.

في الرابع من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٦ تقدمت الحكومة اليمنية باقتراح لعقد اجتماع لحل مشكلة الحدود. ولم يصل أي جواب منها حول رجاء بريطانية بتقديم اقتراحات مفصلة.

وفي منتصف كانون الثاني/ يناير من عام ١٩٥٧ تردد اقتراح من دون استشارة وزارة الخارجية البريطانية يفيد بفصل الحدود بواسطة لجنة دولية. وبالرغم من ذلك أعلنت الخارجية بأن محاولة قد تمت لعقد اجتماع بين عدن واليمن لوقف القتال، فلقد كانت وزارة الخارجية تتفاوض مع مستشار اليمن في لندن السيد محمد إبراهيم، بينما يقوم السير وليام لويس حاكم عدن بالتشاور مع حكام محمية عدن المعنيين. ولقد وافق الشيوخ على عقد هذا الاجتماع، لكن شيخ بيحان أصر على انسحاب القوات اليمنية أولاً من مواقعها بالقرب من قريته شفير.

وفي ١٧ كانون الثاني/ يناير أعلنت الحكومة البريطانية الموافقة على عقد الاجتماع في نقطة الجمارك على الحدود؛ شريطة أن يستجيب اليمنيون لمطالب شيخ بيحان الخاصة بانسحابهم من أراضيه، وأن ترد إليه حقوقه باستعمال مورد المياه في (حسين فقيه) والذي تستخدمه قرية (نجد مرقد) في جلب حاجتها من المياه.

يستشف من جواب الحكومة اليمنية المؤرخ في ٢٢ كانون الثاني/ يناير بأنها ستصر على مناقشة حقها بامتلاك محمية عدن كلها، ولم يكن هذا مقبولاً لدى حكومة بريطانية لكنه تم في ١٢ شباط/ فبراير سحب القوات

اليمنية من منطقة عدن. وفي اليوم نفسه قدم (سلوين لويد) مذكرة للقائم بالأعمال اليمني في لندن يوافق فيها على عقد الاجتماع في ٢٣ شباط/ فبراير ليتم في (مكيراس) وليس في (صنعاء)؛ غير أن الحكومة اليمنية ردت في ٢٧ شباط/ فبراير برد غير مقنع. وقبل ذلك كان وقع هجوم على Nagd Meizar في بيحان كما وقع هجومان آخران عليها في ٥ و٨ آذار/ مارس.

وبالرغم من ذلك وبعد فترة وجيزة توقفت هذه المناورات المكثفة على الحدود وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعي.



## VI

# الرّوس في اليمن
# من سنة ١٩٢٣ - ١٩٥٧

كان وصول الأسلحة الروسية إلى (ميناء الصليف) في تشرين الثاني/ نوفمبر سنة ١٩٥٦ حافزاً على الاندفاع اليمني العسكري في عام ١٩٥٧. ولم يقدر البريطانيون في ذلك الوقت أن انغماس الروس في شؤون البحر الأحمر يمتح لنحو خمسة وثلاثين عاماً مما أعطاهم خبرة وفيرة بما يتعلق بالشؤون المحلية.

لقد اهتم حكام الاتحاد السوفييتي الأوائل بنشر الشيوعية من موسكو إلى أي عاصمة دولية يمكن أن يمتد إليها نفوذهم، وقد بقيت بعثاتهم الدبلوماسية فترات طويلة في إمارات الشرق الصغيرة قليلة الأهمية في المنطقة. ففي سنة ١٩٢٣ أنشئت وظيفة مكتب (القنصل العام) الروسي بجدة برئاسة حاكيموف الذي كان (صانع أقفال) في صباه وبتعيينه في هذا المنصب قلد نفسه لقب (خان) لكن المسؤول الفعلي عن القنصلية كان السكرتير الأول بها نعوم بلكين Naoum Bilken وكان موظفو القنصلية جميعاً من المسلمين ما عدا واحداً منهم فقد كان روسياً، حين اكتسح الوهابيون جدة - خلال حملة ابن سعود التوسعية من الشرق والتي أدت إلى تكوين المملكة العربية السعودية الحالية - لجأ أعضاء البعثة الروسية إلى أريترية المستعمرة من قبل إيطالية حيث جمعوا بعض المعلومات عن اليمن.

وبعد أن استدعى ابن سعود البعثة استطاعت على الفور أن تقيم علاقات مع إمام صنعاء. وذهب حكيموف إلى (صنعاء) على رأس وفد يضم (فيمن يضم) خبراء النقل التجاري والأطباء ويعزى نجاح هذه البعثة الروسية إلى حماس استاخوف Astakhoff السكرتير الأول لسفارة روسية بطوكيو.

بعد هذا وضح خط السياسة الروسية في هذا الميدان فهو عادة يبدأ بعقد اتفاقية صداقة، ثم إقامة قنصلية تشمل عدداً كبيراً من الموظفين وعدداً كبيراً من الأطباء حيث يسهل اختلاطهم بالناس، يلي ذلك الاتفاقيات التجارية التي تجلب كميات من المصنوعات تزيد عن حاجة البلاد إليها مما يحدث تضخماً في ديون الدولة المعنية.

هذا هو المقابل للفكرة القديمة القائلة بالتدخل الاقتصادي والمساعدة الفنية. كانت روسية الدولة الأولى التي اعترفت رسمياً في سنة ١٩٢٦ بنظام ابن سعود في الحجاز. وفي السنة التالية وصلت سفينة روسية إلى (جدة) محملة بالبضائع لتباع في الأسواق بأسعار زهيدة.

بعد سنتين من ذلك بادرت روسية برفع درجة قنصليتها في جدة إلى مفوضية أو (سفارة) برئاسة حكيموف، لكن تراكم البضائع الرخيصة في (جدة) أدى إلى سخط شعبي مما نتج عنه إقفال المفوضية، ولم تبعث فيها الحياة إلا بعد حدوث الأزمة الاقتصادية في (نجد) و(جدة)، حيث قدمت روسية قروضاً طويلة الأمد مما جعل رفضها صعباً، وهكذا رحبت جدة مرة أخرى بتواجد الروس في أراضيها.

وفي اليمن سارت الأمور على النمط نفسه، وحقق الروس نجاحات مؤقتة، إذ وقع (استاخوف) بعد التفاوض مع راغب بك على اتفاقية صداقة وتجارة لمدة عشر سنوات. وتم بموجب هذه الاتفاقية التي وقعت في ١/ ١١/ ١٩٢٨ الاعتراف باستقلال اليمن وإقامة مندوب دائم لروسية بصنعاء. وتم التصديق على هذه المعاهدة بموسكو في ٢٨ كانون الثاني/

يناير سنة ١٩٢٩، ومددت لعشر سنوات أخرى في عام ١٩٣٨ بعد اتصالات تمت بين ليتفونوف Litvinof والإمام.

ينص أحد بنود الاتفاقية على حق الحكومة الروسية بإيفاد مندوب دائم لها بصنعاء في حالة السماح بذلك لقطر آخر.

وبعد توقيع الاتفاقية بفترة وجيزة غمرت الأسواق اليمنية المصنوعات الروسية، كما أقام الروس معارض دائمة للآلات الزراعية في الحديدة وصنعاء بالإضافة إلى ذلك استوردت كميات كبيرة من الحبوب والسكر والصابون.

ومنذ سنة ١٩٣٠ أقيم اثنان من الروس في الحديدة للإشراف على محل معروضات يحتوي على قطع الأثاث المنزلي والملبوسات والروائح والأحذية، ولم تكن تجارتهم رائجة.

كانت بعثة المعونة الروسية بصنعاء مكونة من طبيبين وطبيب أسنان ومهندس بالإضافة إلى العميل التجاري الرسمي. وكان أحد الموظفين تقيم معه زوجته وابنه، ومن الأطباء كانت امرأة تدعى فاني جاسكولكو Fany Jaskolko.

سارت الأمور في البداية بصورة حسنة، إلا أنه بمرور الزمن تقلص نجاح البعثة نتيجة لاستهتار أعضائها والمعوقات التي وضعها الإمام أمامهم، مما أدى إلى ركود نشاطها نهائياً، ومن ثم في عام ١٩٣٨ استدعي جميع أعضاء البعثة إلى موسكو لتوضيح أسباب فشلهم وتسويغ تصرفاتهم المالية الخاصة. وقد تم قتل معظم هؤلاء بعد فترة وجيزة من استدعائهم، واستطاع اثنان منهم علي فتحوف Ali Fatahoff وستيبونوكوف Steponkoff الرجوع إلى جدة واللجوء إلى (دار الإسلام).

أما حكيموف فقد لقي مصرعه فور وصوله في ١١ أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٣٨.

هكذا كانت محاولة الروس في التصدي لمواجهة النفوذ الإيْطالي في الساحل الشرقي للبحر الأحمر والذي ضعف وتقلص نتيجة لنشوب الحرب حيث تم إبعادهم من اليمن.

لم يكن النشاط الروسي مركزاً وقوياً إلا بعد أيار/مايو من سنة ١٩٤٤ حين وضعت اللبنات الأولى لتكوين (حزب الأحرار اليمنيين) (انظر عنه ما سبق) الذي بث من عدن دعاية مكثفة ضد الإمام، كما دبر محاولة اغتياله في عام ١٩٤٨.

كانت حادثة بيحان في سنة ١٩٤٩ أكثر من مخالفة حدود عادية، فقد أدت إلى اتفاقية إنجليزية - يمنية في سنة ١٩٥٠ أصبحت عديمة الجدوى فيما بعد.

تعاظمت حوادث الحدود في السنوات الست التالية، وفي آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر من سنة ١٩٥٦ وجه راديو القاهرة - كما رأينا - حملة شديدة ضد عدن في محاولة لإحداث الشغب. وأدى ذلك إلى حرب دعائية في سنة ١٩٥٧ بين بريطانية العظمى واليمن.

في هذه الأثناء كان الروس مشغولين في القاهرة. وكانت أولى محاولاتهم لإعادة العلاقات مع اليمن في تشرين الأول/أكتوبر من سنة ١٩٥٥ حين جرى في القاهرة مقابلة بين السفير الروسي دانيال سولود Daniel Solod ووزير خارجية اليمن بالإنابة.

وقد اتفق في ذلك الوقت على تجديد اتفاقية سنة ١٩٢٨ وإقامة العلاقات الدبلوماسية وتبادل الممثلين[1].

---

(١) كان اللقاء في القاهرة يوم ٣١ تشرين الأول/أكتوبر من سنة ١٩٥٥ بين السفير السوفييتي سولود ووزير اليمن المفوض بالقاهرة السيد عبد الرحمن أبو طالب، وقد تم في ذلك اللقاء توقيع اتفاق بين الحكومتين ينص على تجديد اتفاقية ١٩٢٨ لعشر سنوات قادمة، أما تبادل الممثلين فلم يتم إلا في وقت متأخر، =

وهكذا دخلت الحرب الباردة الآن مضايق باب المندب، حيث تحولت أهداف روسية القديمة من مواكبة النفوذ الإيطالي في المنطقة إلى تصديع آخر موقع للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط، وهو موقع بالغ الأهمية لتمركز القوة العسكرية البريطانية فيما وراء البحار.

وضعت الاتفاقية قيد التنفيذ مباشرة، حيث وقعت معاهدة يمنية - روسية في القاهرة يوم ١/ ١١/ ١٩٥٥ وتبعها في آذار/مارس اتفاقية تجارية اعتمدت بموجبها روسية إمداد اليمن (بالمعدات) ومنتوجات البترول والقمح والأرز في مقابل الجلود والبن اليمني وبعض السلع الأخرى. كان هذا التبادل حبكة غير واقعية، فمعدات اتفاقية سنة ١٩٥٦ على الرغم من عدم نشر تفاصيلها - كان مفروضاً أن تحوي على بعض الأسلحة - وقد عرف رواج تجارة السلاح في اليمن منذ الثلاثينات حين كان هنري دي مانفرد Henry de Manfrid ورصفاؤه من الألمان والإيطاليين يقومون بنشاط ملحوظ في هذه التجارة.

وعلى الرغم من أن الفرنسيين باعوا بعض الأسلحة إلى الإمام إلا أن الألمان كان لهم النصيب الأكبر والفعال.

وقبل الحرب العالمية الأولى كانت قبائل اليمن تستعمل بندقية Mausers التي صممت عام ١٨٧٤ وهي بالتحديد تعبأ بعيار واحد من مقياس ٤,٠ وهي يمكن أن تصيب من على بعد ألف ومئتي متر.

في سنة ١٩٢٢ قدمت البعثة الفرنسية الجيولوجية بقيادة Vincent Chenau إلى الإمام عرضاً ببيع الأسلحة والذخيرة. وكانت بطاريات Skoda مستعملة باليمن منذ عام ١٩٢٨ وبعد ذلك بعشر سنوات دخلت إلى البلاد شحنات من البنادق (مسدسات).

---

= وذلك حين أنشئت مفوضية يمنية في موسكو أواخر عام ١٩٦٠، وعين أحمد عبد الله العمري أول ممثل لليمن هناك.

وفي عام ١٩٣٤ توصل هنري هانسن Henre de Hansen وألماني آخر من هامبورج لعقد صفقة سلاح مع الإمام، وفي السنة نفسها بعث الألمان أحد الأتراك زكي كرام Dr. Zaki Kiram وباع الإمام بعض الأسلحة، وقد زار الدكتور كرام اليمن مرة أخرى في سنة ١٩٣٦ للغرض نفسه. وقضى إبراهيم دبوي Depui ممثل شركة الغزل الوطني الفرنسية بليج Liege بعض الوقت في فترة ما بين الحربين العالميتين بصنعاء يتاجر بالأسلحة والذخيرة.

وفي سنة ١٩٣٧ استطاعت ألمانية بيع خمسين ألف بندقية إلى الإمام حيث دفع ثمنها ذهباً، وهذه البنادق كانت قد رفضتها بولندة لكونها غير صالحة.

وقد راجت تجارة الأسلحة القديمة هذه على مدى ثمانين عاماً وكانت ما زالت ترى حتى عام ١٩٥٧.

في كانون الثاني/يناير من العام نفسه كانت الجيوش اليمنية بقطابة تستخدم المدافع التي صنعت عام ١٩١٤ وكذلك بعض البنادق الروسية والإنجليزية الحديثة، وأيضاً أسلحة كندية وهنغارية، وألمانية وإيطالية وأمريكية كلها صنعت فيما بين سنتي ١٩٠٥ و١٩١٨. وهكذا كانت Stecyers , Mannlichous , Lee - Enfields أسماء معروفة باليمن، وكان في الشهر نفسه كانون الثاني/يناير من سنة ١٩٥٧ اجتمع وفد روسي من ثمانية أشخاص بالقاهرة لبحث مسألة إمداد اليمن بأسلحة روسية، وفيما بعد ذهب الوفد إلى تعز وهناك انضم إلى مجموعة الأطباء الروس.

كل هذا لا يمثل إلا عينة من النشاط الأجنبي في اليمن ما بين سنتي ١٩٥٦ - ١٩٥٧، وكان هذا واضحاً أيضاً في نشاط شركات الاستثمار، فالشركة الألمانية للتنقيب Deilman Bergbar كانت تنقب عن البترول في

الجنوب ومناطق الساحل، ودخلت في خلافات مع ما يسمى بمؤسسة اليمن للتنمية بواشنطن التي تنقب بدورها في الشمال الشرقي.

كذلك كانت أرامكو تعمل في بيحان وأيضاً Petroleium Cencenientn التي قيل إنها اكتشفت منابع بترولية في ثمود بيحان.

وأثناء ذلك كان الخبراء الفرنسيون يخططون الطرق، واهتمت جمعية الإنشاءات الفرنسية بإعادة بناء أجزاء من ميناء المخا. وقد قضى الكاتب والرحالة الفرنسي فرانسوا بالسان خمسة أشهر من عام ١٩٥٧ في اليمن مشرفاً على شؤون هذه الجمعية، وفي الوقت نفسه يقوم شخصياً بتنقيبات أثرية مكنته من نشر كتابه (اليمن المضطرب!).

بعد توقيع اتفاقية آذار/مارس سنة ١٩٥٦ بين اليمن وروسية قام سيف الإسلام محمد البدر ابن الإمام، بزيارة لكل من ألمانية الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وموسكو في حزيران/يونيو من العام نفسه. في هذه الزيارة نظم الأمير وولي العهد عملية شراء شحنات من الأسلحة تدفع اليمن ثمنها نقداً على أن يؤجل تحصيل المبلغ لمدة أعوام.

وأبدت الحكومة الروسية أيضاً استعدادها لتمويل بعض المشاريع الاقتصادية. كذلك نظم البدر منح امتيازات لروسية للتنقيب عن البترول واستخراج اليورينيم الذي عرفت أهميته بواسطة تقرير قدمته له مجموعة خبراء من شرق أوربة.

وفي ٢١ آب/أغسطس اعترفت اليمن رسمياً بالصين الشيوعية، وتوصل البلدان إلى عقد اتفاقية تقضي بالتمثيل الدبلوماسي على مستوى السفراء.

وفي الشهر التالي قبل الإمام عرضاً من حكومة تشيكوسلوفاكيا لتدريب بعض اليمنيين مجاناً في مجالات الطب والهندسة في جامعاتها.

❀ ❀ ❀

## VII

# القوّات المسلحة اليمنية

يبلغ تعداد جيش الإمام النظامي ١٠,٠٠٠ عسكري من جميع الرتب حتى أيام ثورة السلال في سنة ١٩٦٢، وكان يقوم بتدريبه مدربون من العراق ومصر. وكان الإمام يعتمد أيضاً على عدد مماثل من غير النظاميين بحيث إنه يمكن تجميع نحو ٥٠,٠٠٠ جندي من كل الفئات حين الضرورة.

لم يكن هناك سلاح طيران يمني بل يوجد حوالي اثنتي عشرة طائرة مدنية تحت إمرة الإمام، ويقوم بقيادة هذه الطائرات طيارون من تشيكوسلوفاكيا وإنجلترة والسويد.

لقد كان تقدم الطيران بطيئاً، فبعد اتفاقية سنة ١٩٢٦ مع إيطالية حصلت اليمن على طائرات. إلا أن الإمام - كما ذكرنا آنفاً - منع الطيران بعد أن قتل أحد أفراد عائلته في حادث جوي، إلا أنّ الحكومة اليمنية اشترت في سنة ١٩٤٦ طائرات من مصر والسويد ويقودها طيارون من البلدين، كما أنهم يقومون بتدريب طاقم يمني.

وبالتدريج اقتنع الإمام بأهمية الطيران العسكري والمدني ونتج عن ذلك إصلاحات في مطارات صنعاء والحديدة وتعز. ففي صنعاء نقل مهبط الطائرات من جنوب المدينة إلى شمالها، كما قرر الإمام تحديث مهبط تعز بإنشاء محطة راديو جديدة وورشة صيانة للطائرات. وحين قام الدكتور

حافظ أمين بك - المصري - مستشار منظمة الصحة العالمية بزيارة منطقة خولان في سنة ١٩٥١ كان الإمام أحمد قد أمر بإنشاء مطار في صعدة وكذلك محطة للراديو.

كانت أوامر سفر هذه الطائرات تصدر عن الإمام شخصياً. وقبل عام ١٩٥٦ لم يكن لليمن سلاح طيران عدا طائرتي تدريب صغيرتين منحهما ابن سعود للإمام (أحمد) في عام ١٩٥٥.

أما ملاحو الطائرات المدنية فقد حدث أن كان جميعهم من اليوغسلاف.

كما تجدر الإشارة إلى أن جميع الطائرات كانت غير معدة بصورة مرضية على الرغم من بعض محاولات تمت لإصلاحها وتطويرها.

بالإضافة إلى ذلك كان الأسطول البحري اليمني يتكون من (صندلين) صغيرين على كل منهما مدفع واحد. وبعد شهر تقريباً من الحرب الأهلية في سنة ١٩٦٢ كانت معظم القوات المدربة في البلاد تحت قيادة العقيد السلال، قائد الانقلاب العسكري ضد الإمام. وكان الضباط المشتركون في الانقلاب ممّن كان السلال قد اختارهم[١] للتدريب في كلية العلوم العسكرية بصنعاء، وكذلك الذين تدربوا في القاهرة وبغداد.

---

(١) لم يكن العقيد (المشير) عبد الله السلال هو الذي اختار أولئك الضباط، وإن كان بالفعل قائد الجيش عشية قيام الثورة حيث كان الإمام الجديد (محمد البدر) قد عينه بعد وفاة أبيه يوم ١٩ أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٦٢ قائداً عاماً، ورقي إلى رتبة (عميد)، ولعل موقعه الجديد هو الذي ساعده في تلك الظروف الصعبة والمعقدة في احتلال رئاسة مجلس القيادة الأول الذي كان يتألف في معظمه من صغار الضباط باستثناء (الزعيم) حمود الجائفي، الذي كان مؤسس الكلية الحربية بصنعاء عام ١٩٥٨، والذي ربما ينطبق عليه وصف المؤلف، وكان موضع احترام جميع الضباط والمدنيين على سواء، وباستثناء العقيد (الفريق حسن العمري) الذي كان له دور فعال في الحركة. (المعرب).

وفي ذلك الوقت كان باليمن ١٣,٠٠٠ عسكري مصري بالإضافة إلى بعض وحدات سلاح الطيران المصري، بينما كان عدد أفراد جيش السلال من اليمنيين (١١,٠٠٠) فقط، ولم تكن لديه قوة جوية خاصة به رغم أنه كان يوجد في مطلع تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٦٢ - ثلاثون مقاتلة روسية من طراز (ياك .Y. A. K) أمضت ست سنوات مغطاة بالمشمعات ولم تستعمل قط، كما أن الطيار اليمني الوحيد المؤهل فشل في الاستمرار في مهنته.



## VIII

# الأسلحة الروسية

# سنة ١٩٥٦

بانتهاء شهر تشرين الثاني/نوفمبر من سنة ١٩٥٦ أنزلت السفينة الروسية (شميلا Shmela) بميناء الصليف خمسين مدفعاً مضاداً للطائرات جلبت من تشيكوسلوفاكيا، بالإضافة إلى أسلحة خفيفة وذخيرة ومعدات عسكرية مختلفة. كما أشيع أن طائرة مقاتلة كانت ضمن هذا العتاد، لكن سرعان ما نفيت الإشاعة. وبعثت (مصر) بمدربيها العسكريين العائدين من (قطاع) غزة إلى اليمن ليقوموا بتدريب قوات اليمن النظامية على الأسلحة الجديدة بالقرب من صنعاء والحديدة.

كان أمر السفينة (شميلا) مثار اهتمام البرلمان الإنجليزي حيث أجاب وزير الخارجية[١] على تساؤلات الأعضاء بطريقة غير قاطعة.

غير أن الحكومة أخطرت (السير بيرسون دكسون Sir. P. Dixon)[٢] ليبلغ (مجلس الأمن) التابع للأمم المتحدة، أنه بالرغم من انزعاج حكومته من مجريات الأمور، إلا أنه لا يطلب من حلفائه الدوليين اتخاذ

---

(١) كان وقتئذ (اللورد) (سلون لويد) وقد سبق الحديث والتعريف به، وقد توفي في ١٧/ ٥/ ١٩٧٨) (المعرب).

(٢) (السير بيرسون دكسون) (١٩٠٤ - ١٩٦٥) دبلوماسي بريطاني معروف كان سفيراً لبلاده في عدة أقطار أوربية، وكان مندوب بريطانية لدى الأمم المتحدة بين عامي ١٩٥٣ و١٩٦٠. (المعرب).

أي موقف، وكذلك أحجمت حكومة الولايات المتحدة عن التعليق علناً حول شحنات الأسلحة الروسية لليمن.

في حوالي ١٣ حزيران/ يونيو سنة ١٩٥٧ وصلت شحنة ثانية إلى ميناء (الصليف) وفي ١٢ تموز/ يوليو وصلت ثالثة، وبعدها رابعة. واشتملت هذه الدفعات على أسلحة من صواريخ غريبة الطراز، وثلاثة أنواع من الدبابات، ومئات الأطنان من الذخيرة، ووصل معها أيضاً خمسة وثلاثون مدرباً من الجيش الروسي.

وفي نهاية الأسبوع الأول من آب/ أغسطس وصلت سفينتان تحملان أسلحة أخرى ولتبلغ جملة شحنات الأسلحة ستاً منذ الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر سنة ١٩٥٦. وأنزل من هاتين السفينتين أسلحة خفيفة ومدافع مضادة للطائرات ودبابات من طراز (ت - ٣٤) وعربات نقل. وقد شاهد المراقبون بالصليف الضباط المصريين وهم يشرفون على إنزال هذه الأسلحة من السفن وعلموا منهم أن اهتمام المصريين ينحصر أساساً في تعليم اليمنيين تركيب هذه المعدات واستعمالها. وكان المدربون الروس يقومون بالاستعداد للبدء في تدريب اليمنيين أيضاً.

وبعد أسبوع من ذلك وصلت الشحنة السابعة من الأسلحة ووصل معها خمسون فنياً على درجات متفاوتة، ومن مختلف أقطار شرق أوربة، وكان من بينهم عدد من الطيارين حلّوا محل السويديين الذين استخدمهم الإمام لملاحة ما سمي بـ (الطيران اليمني).

وفي الأسبوع الرابع من آب/ أغسطس وصلت الشحنة الثامنة إلى ميناء (الصليف) وبذا تكون تكلفة جميع هذه الإمدادات نحو (٥٠٠٠,٠٠٠ خمسة ملايين) جنيه إسترليني.

وبوصول الشحنة الأخيرة هذه تكون جملة الأسلحة على النحو التالي:

- ٣٠ دبابة من طراز ت/ ٣٤.
- ٥٠ مدفعاً من طراز ١٠٠/س ى (S. U. ١٠٠).
- ٢٠ طائرة.
- ٧٠ ناقلة جنود مدرعة.
- ١٠٠ مدفع ميدان.
- ١٠٠ مدفع مضاد للطائرات.

بالإضافة إلى كميات من الأسلحة الخفيفة والذخيرة.

كان رد الفعل في (لندن) ضعيفاً. وعلى الرغم من أن وجود الروس في أرض اليمن قوبل بعدم ارتياح في (عدن) إلا أن سمعتهم وشهرتهم قد قويتا في عين حكومة اليمن. لكن هناك أمراً أقلق اليمنيين وهو أن فاعلية هذه الأسلحة تتوقف على وجود الفنيين الروس أو من يستخدمونهم، فبعدم وجودهم وعدم استخدام هذه الأسلحة في وقت معقول سرعان ما تفقد قيمتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدبابات والمدافع التي قدمتها روسية لليمن كانت قديمة وغير صالحة بمقاييس غرب أوربة، ويصعب استعمالها في الحدود بين اليمن وعدن إلا بواسطة طاقم مدرب بمستوى الإنجليز أو الروس، أضف إلى ذلك عدم فاعليتها حين استعمالها في منطقة الحدود الجبلية ضد المشاة المدربين.

ويتضح من هذا أن الروس قد استغلوا سذاجة (محمد البدر) المعروفة خلال زيارته لموسكو في حزيران/يونيو سنة ١٩٥٦، فمبالغتهم في الاحتفاء بولي العهد نتج عنها إقحام اليمن في دين يقرب من الخمسة ملايين جنيه مقابل أسلحة قديمة وفاسدة لا يستطيع جيشه استخدامها أو صيانتها.

وهكذا خزّن الإمام جزءاً كبيراً من هذه الأسلحة بصفة دائمة مع تلك التي قدمها له الألمان قبل الحرب العالمية الثانية؛ وربما يكون من أسباب ذلك خوف الإمام من تكوين جيش قوي حتى لا يستخدمه أحد أبنائه أو إخوته لاغتصاب العرش.

ومن الملفت للنظر في صفقات الأسلحة هذه مشاركة المصريين التي فاقت محاولات الروس، لكن لهذا أسبابه الموضوعية.

وقعت مصر واليمن اتفاقية صداقة في أيار/مايو سنة ١٩٤٧ وتبادلا التمثيل الدبلوماسي لأول مرة بعد أربع سنوات من ذلك. وبعد مرور نحو من عام على توقيع الاتفاقية ازداد قلق الإمام الجديد أحمد بسبب تحركات الإنجليز التوسعية في محمية عدن. ففي هذه الأثناء كانت (بريطانية العظمى) مهتمة بتطوير الموارد الاقتصادية والبشرية والإدارية في المناطق الداخلية لعدن حيث كان لشيوخ هذه المناطق اتفاقيات قديمة مع بريطانية في هذا الخصوص.

ومما زاد اضطراب الإمام اقتراح بريطانية إقامة اتحاد فيدرالي للمحميات في كانون الثاني/يناير من سنة ١٩٥٤ وفي نهاية سنة ١٩٥٥، وحين فشلت محاولاته لجأ خاسراً إلى مصر[1]. ولقد ابتهج عبد الناصر بوقوع الإمام في شباكه وعمل جاهداً لاستغلال الخلاف بين بريطانية واليمن حول تفسير البند الوارد باتفاقية صنعاء لعام ١٩٣٤ الخاص بتثبيت الأمور على أساس ما كانت عليه.

وفي نيسان/أبريل سنة ١٩٥٦ اجتمع الإمام أحمد وعبد الناصر والملك سعود في جدة حيث وقعوا (ميثاق جدة) الذي أعطى عبد الناصر

---

(١) راجع الفصل السابق وتعليقنا عليه (المعرب).

الحق الرسمي في اليمن وتوسيع نفوذه[١] حيث انضمت اليمن إلى الجمهورية العربية المتحدة في آذار/مارس سنة ١٩٥٨.

وفي نهاية سنة ١٩٦١ انسحبت سورية من الجمهورية العربية المتحدة، وبعدها بقليل اختار الإمام أن يترك هذا التحالف أيضاً[٢]، ولقد جاء ذلك متأخراً؛ فالضباط المصريون قد اختاروا منذ عام ١٩٥٩ العقيد السلال، ووضعوا له الخطط لاستلام السلطة التي أثمرت في أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٦٢[٣].

وهكذا انتهت السنوات العشر الأولى من العلاقات الروسية اليمنية بفشل الروس في اليمن بصفة عامة، وبفشلهم أيضاً في تقليل نفوذ الإيطاليين في البحر الأحمر.

---

(١) سبق التعليق على (ميثاق جدة)، ولعله من المفيد الإشارة إلى أن مساعدة مصر للنظام الجمهوري بعد ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢ اعتمد فيها على أن مصر مرتبطة باليمن بمعاهدة تحالف عسكري (اتفاق جدة)، وبأن النظام الجمهوري والحكومة الجديدة هي الممثل الشرعي لليمن، وهكذا تم توقيع (اتفاقية دفاع مشترك لمدة خمس سنوات) بين البلدين في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٢. وكان الأمر نفسه في موقف المملكة العربية السعودية - من ناحية أخرى - في مؤازرتها للنظام الملكي حتى اعترافها بالنظام الجديد عام ١٩٧٠. (المعرب).

(٢) كان الإمام أحمد قد نشر أرجوزته المشهورة التي هاجم فيها الاشتراكية وعبد الناصر وذلك في كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩٦١، وقد أعلن الرئيس عبد الناصر إلغاء الاتحاد الفيدرالي الذي كان مجمداً في واقع الحال من قبل. (المعرب).

(٣) لا يوجد من الوثائق اليوم ما يثبت ذلك، وقد نشر مؤخراً اللواء جزيلان مذكراته التي أسماها: (أسرار الثورة اليمنية/ القاهرة ١٩٧٧)، وإن كان عبد الله جزيلان قد بالغ في جعل نفسه محور كل الأحداث في الكتيب إلا أنه من المؤكد أنه من الضباط الذين لعبوا الدور الأساسي في الثورة وليس العقيد (المشير) عبد الله السلال كما يظهره المؤلف هنا، راجع حاشية (١) في آخر الفصل السابق. وانظر كتاب: (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذي أعده لجنة من تنظيم الضباط الأحرار وصدر عن دار العودة في ١/٦/ ١٩٧٨ وهو أول كتاب مفيد يميط اللثام عن هذا الموضوع. (المعرب).

وبعد الحرب استمرت سيطرة بريطانية في شرق البحر الأبيض المتوسط عشر سنوات فقط نتيجة لسياسة الحكومة البريطانية السلبية وغير الخلاقة.

وحين ظهر للروس انحسار الموجة نهائياً اختاروا القاهرة لتكون نقطة انطلاقهم الرئيسة في بث نفوذهم السياسي في الشرق الأوسط.

كانت اليمن نقطة منطقية ليصدر منها التشويش على بريطانية، لكن - اليمن - كان لها مشاكلها، فالبلاد تلقت أسلحة خفيفة على مدى سنوات، إلا أن مواردها العسكرية والاقتصادية غير معروفة. ومن ثمّ تم اللجوء إلى (المساعدات الفنية) منذ عام ١٩٥٥ في جو التنافس الدولي، وشحنات الأسلحة لليمن في ١٩٥٦/١٩٥٧ وثيقة الصلة بهذه الإجراءات.ولكن يصعب علينا أن نفهم كيف أن (سيف الإسلام البدر) كان نفسه مقتنعاً بمقدرة موارده العسكرية على الاستفادة من هذه الأسلحة.

وأعجب من ذلك أن عبد الناصر وخروتشوف لم يتحققا مبكراً من تناقض الموقف ومن تعقيده، لأنه وبالرغم من حوادث الشغب في الحدود لم يوصل خروتشوف وعبد الناصر السلال إلى السلطة إلا في نهاية عام ١٩٦٢، ولم يمداه بالأسلحة إلا بعد فترة من ذلك. وكما برهنت الأحداث فإن محور القاهرة - موسكو أساء التقدير، فبدلاً من أن يتم توحيد جيش اليمن كما كان عليه جيش مصر وتوجيهه نحو الجنوب الغربي، انصب كل الاهتمام في الداخل على التركيز على أهداف المحور في سبيل أولى محاولاته للضغط على بريطانية في جنوب غرب الجزيرة العربية.

إنَّ تقويم هذه النكسة لا يعدو كونه مسألة وقت.

❀ ❀ ❀

# ملحق ختامي لأحداث سنة ١٩٦٧م

## أ

# الاتحاد (الفدرالي) وبريطانية العظمى

في أثناء تولي السيد دنكن ساندي لوزارة المستعمرات، كانت سياسة الحكومة البريطانية تُملي بأن يتم منح الاستقلال لعدن ومحمياتها في العام ١٩٦٨م، وعلى أساس قيام دولة اتحادية للجنوب العربي، وبحيث يجب استمرار استخدام القوات البريطانية للقاعدة العسكرية بعدن بعد الاستقلال والذي سيخضع لإبرام اتفاقية للدفاع (الحماية) مقبولة. بيد أنه مع حلول العام ١٩٦٦م ظهر تحول جديد باتخاذ بريطانية قراراً بالانسحاب الشامل مدنياً وعسكرياً معاً من اتحاد الجنوب العربي بتاريخ ١ كانون الثاني/يناير ١٩٦٨م، وأنه سيتم طلب مساعدة منظمة الأمم المتحدة للاتحاد خلال الفترة الانتقالية. وكان الهدف هو الخروج بإبقاء حكومة مستقرة لها استقلالها وتضم كل أطراف الاتحاد، والتي تكون قادرة على مقاومة جميع محاولات الهدم الخارجي، ولا سيما من قبل مصر. ولم يكن حينها لبريطانية رغبة في إبرام اتفاقية للدفاع (الحماية) بعد الاستقلال. مع ذلك، وفي مطلع شهر آذار/مارس ١٩٦٧م فقد ظهرت تنويهات، وعلى لسان السيد هيلي في أثناء جلسة مجلس العموم، بأن الحكومة البريطانية «تخطط للانسحاب في ١٩٦٨م، وأن القوات البريطانية ستقوم بالانسحاب بعدما تحصل عدن على استقلالها».

وبينما كان مرتقباً من الأمين العام للأمم المتحدة السيد يوثانت بأن يقوم خلال منتصف شهر آذار/مارس ١٩٦٧م بتسمية الشخص المكلف

برئاسة البعثة إلى عدن، كانت مصر تبذل كل جهودها لإعاقة وصول تلك البعثة. وكانت مهمة البعثة القيام بالترتيب والإشراف على تطبيق دستور الاتحاد وتأسيس حكومة مؤقتة وحتى إتمام عملية انتقال السلطة.

كما أنه مع نهاية شهر شباط/فبراير كان أغلبية أعضاء الاتحاد قد توصلوا لاتفاق على المقترحات الدستورية الذي سيتم تفعيله بعد نيل الاستقلال الذي لم يظل على موعده سوى ١٠ أشهر، حيث كان من المؤمل تسليم هذه المقترحات لبعثة الأمم المتحدة عند وصولها إلى عدن، كذلك كان متوقعاً من البعثة بأن تضع خطة لتنظيم الأمن الداخلي قبل رحيل القوات البريطانية.

غير أن الحكومة الفيدرالية كانت تعاني من مشاكل كثيرة؛ فإلى جانب تفشي الانشقاق والارتياب في صفوفها كانت معارضتها من قِبل جماعات برعاية مصرية، وكذا معظم سكان عدن من خلال الصحافة والمظاهرات. وعلاوة على ذلك كله، وجدت صعوبات جمة للوصول إلى توافق على من سيكون القائد لهذه الدولة حديثة الاستقلال، حتى إن عدن شهدت مستوى غير مسبوق من الإرهاب، الأمر الذي هدد بحدوث تفكك تام للاتحاد. وقد سعت ثلاثة أحزاب سياسية رئيسية وبدرجات متفاوتة إلى إحراج الحكومة: كان اتحاد جنوب اليمن (حزب الاتحاد)، الذي يُعد حزباً معارضاً معتدلاً، مدعوماً بعض الشيء من طبقة عدن المتوسطة، فيما يستمد تحفيزاً أكثر من حضرموت ولحج، ويحصل على مساعدات جسيمة من المملكة العربية السعودية، كان هدف حزب الاتحاد هذا الحصول على دولة موحدة ذات سيادة، وضد أي نفوذ مصري أو يمني (شمالي)، ومن ثم كان يشكل انزعاجاً خاصاً لعبد الناصر. أما الحزبان الآخران، وهما جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل (جبهة الجنوب) وجبهة التحرير القومي (جبهة التحرير) الممنوعان، ففي حين أن بينهما صراعاً

مريراً إلا أنهما كانا عنيفين في معارضتهما لحزب الاتحاد وللحكومة الاتحادية. ومع وجود معظم جبهة التحرير في المنفى إما بمصر أو باليمن، وهو يعد الأقوى من الأحزاب الثلاثة، إلا أنه كان رافضاً لتقبل أي توجيهات من مصر، ولذلك كان يحتم على عبد الناصر تمويل وتسليح جبهة التحرير لتنفيذ الأعمال الإرهابية التي ستمكنه من تثبيت سيطرته. أما فيما يتعلق بالجيش، فسيبقى في الجنوب البريطانيون في كل الأحوال حتى نهاية عام ١٩٦٧م. وكان الجيش الاتحادي النظامي (سابقاً جيش عدن الليوي Aden Prolectorate Levies) ينتظر جانباً غير مكتوف اليدين، حيث تم رفع قوامه إلى عشرة كتائب، واستمرت التدريبات برعاية بعض الضباط البريطانيين الذين ظلوا للمساعدة في بناء القوة على مدى العام المنصرم (١٩٦٦م) لإخلاء مراكزهم بشكل تدريجي أمام الضباط العرب.

❀ ❀ ❀

## ب
# اليمن و مصر

مع مطلع سنة ١٩٦٦م كان عبد الناصر مهدداً بخسارة كل ما قد جازف به في اليمن نتيجة مواجهته لتصدي القوات العسكرية الملكية. ومع ذلك، فربما وجد ما يجدد حماسه للدفع بمحاولة أخيرة للإمساك بزمام الأمور عندما قررت بريطانية العظمى بأن يتم انسحاب قواتها قبل نهاية ١٩٦٧م. وهكذا تعهد عبد الناصر بمد الإرهابيين في عدن بالأسلحة، ولإزالة سلطة الحكومة الاتحادية، كما أنه كان يُسخر كل نفوذه للعمل على إضعاف (سلطة) العائلة الملكية الهاشمية في الأردن، وكذا لمعارضة المملكة العربية السعودية، وذلك أن تلكما المملكتين قد أيدتا بقايا النظام الإمامي في اليمن، وهو الأمر الذي هدد بإعادة اصطفاف كامل للبلدان العربية. وبدا حينها تلاشي حجر الزاوية التي كانت توحد العرب من خلال صراعهم ضد إسرائيل، وكانت سورية وحدها تواصل الصراع، فيما خلصت المملكة العربية السعودية من نزاعها مع بريطانية وتم وضع الأمر جانباً، وكذلك فعل سلطان مسقط وعُمان في نزاعه على واحة البريمي. ومن ناحية أخرى فقد تم إعادة العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية وبريطانية منذ فترة طويلة. ومع ذلك، لم يكن بمقدور الأردن تقديم مساعدة تذكر للملكيين في اليمن، والأمر نفسه بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية؛ نظراً لانشغالها ببناء قواتها العسكرية - وبمشاركة بعض التعاقدات البريطانية - تحسباً لاحتمالات حدوث أي

هجوم عدواني من جمهورية يمنية تندفع بالسياسات التوسعية لعبد الناصر. ومن جانب آخر، قامت كل من الأردن وتونس بسحب اعترافيهما بالنظام الجمهوري في اليمن. وبات عبد الناصر مقتنعاً بأن بريطانية تخطط ليكون للملكة العربية السعودية دور سريع في الجنوب العربي بعد نيله الاستقلال.

أما بداخل اليمن فقد كانت الأوضاع غير مستقرة ويسودها التفكك، حيث كانت الكثير من المناطق لا تزال تحت سيطرة الإمام الذي لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية (في الواقع) تعترف بسلطته، إلا أن بريطانية كانت تعده الحاكم الشرعي (الفعلي) للبلاد. أما بالنسبة إلى اليمنيين الجمهوريين، فقد انقسموا بين مؤيدين للسياسة المصرية بوجود ٦٥,٠٠٠ جندي مصري، وآخرين معارضين سوى لقيام جمهورية ذات نفوذ مصري أو العودة لنظام الإمامة، وإنما مع قيام جمهورية ديمقراطية.

ومع حلول عام ١٩٦٧م، كان هناك تغير كبير في الأوضاع، حيث تم أخيراً خلع السلال من الرئاسة (في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٧م)، وعاد إلى صنعاء أولئك الجمهوريون اليمنيون الذين كانوا قيد الأسر في القاهرة لمعارضتهم السياسة المصرية[1]. كما قام الجمهوريون والملكيون

(١) كانت حكومة الفريق حسن العَمري قد توجهت إلى القاهرة في ٨ آب/ أغسطس ١٩٦٦م، يصحبها أعضاء المجلس الجمهوري الراحلان القاضي عبد الرحمن الإرياني والأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي عبد السلام صبرة وكبار قادة الجيش وآخرون لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر وبحث الأزمة السياسية معه، لكنه رفض المقابلة وكلف وزير الحربية اللواء شمس بدران الذي أبلغهم - بعد انسحاب الفريق العَمري - بأنهم حضروا ليسمعوا لا ليتحدثوا! وتم في اليوم نفسه القبض عليهم - عدا القاضيان الإرياني وصبرة والوزير الخالدي ووزير الحربية العميد حسين الدفعي - وأودعوا السجن الحربي بشكل مهين وغريب وخارج عن كل الأعراف السياسية والدبلوماسية، ولم يخرجوا إلا بعد أكثر من عام (١١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٧م) وبعد هزيمة حزيران/يونيو بثلاثة أشهر، وفي الوقت نفسه جرى في صنعاء اعتقال ما يزيد على ثلاث مئة شخصية سياسية =

ببعض المحاولات للوصول إلى تفاهمٍ فيما بينهم. وفي الوقت نفسه، فقد أدى احتدام القتال بين (جبهة التحرير) و(جبهة الجنوب) [القومية] - الأمر الذي عجل في انسحاب القوات البريطانية من الجنوب العربي - لصعود جبهة التحرير، ومن ثم كسب ولاء جيش الجنوب العربي. ولم تكن حكومة جبهة التحرير قد تم تفعيلها مع انسحاب القوات البريطانية من عدن، ومع ذلك فقد تمكن موظفون بريطانيون وعرب من تسيير أعمال الإدارة [كما أنه لم يتضح بعد مدى مقدرة حكومة الجبهة الإرهابية في الإبقاء على احترام كافة ضباط جيش الجنوب العربي].

ومتى تمكنت عدن من ضبط أمورها الداخلية فسيكون عليها أن توجه اهتمامها من جديد نحو الشمال لتقييم الخطر المستمر الذي قد يواجهها سواءٌ من يمنٍ جمهوري أم ملكي!.

❁ ❁ ❁

= وقبلية (وكاتب هذه الأسطر من بينهم) وجرى إعدام العميد محمد الرعيني وزميله هادي عيسى وهما من قادة ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢م. وكان أن قام المرحوم المشير عبد الله السلّال بزيارة خارج اليمن، وعاد سجناء مصر، فتم بسهولة انقلاب ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م وتكون مجلس جمهوري برئاسة القاضي عبد الرحمن الإرياني ودخلت اليمن بشطريها مرحلة تاريخية هامة، فقد استقل الجنوب في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، وانسحبت بريطانية، كما كانت القوات المصرية قد غادرت الشمال (ج. ع. ي) لتواجه الجمهورية - الملكيين - بشعار "الجمهورية أو الموت". وقد كان النصر حليفها، خاصة في ملحمة السبعين يوماً التي كان قائدها الفريق حسن العمري ومعه كل القيادة، أبطال النصر شهداء وأحياء من بعد. وما النصر إلا من عند الله. (المعرب).

# الفهارس العامة

# فهرس الأعلام

## أ

## ب

## ش

## ص



## ع



## غ

## ف



## ق



## ك



## ل

## م

ن



هـ

# البلدان والأماكن والدول

## أ


ب

## ت



## ث

## ج

## ش

## ظ



## ع


غ

## ي

# فهرس الأمم والجماعات والهيئات والمنظمات

## ر



## ز



## ش



## ع



## ف



## م

# فهرس أسماء السفن

# فهرس الشركات والمؤسسات

**مستخلص**

كتاب في تاريخ اليمن الحديث وصلته بأوربة وعلاقاته بها، والمشكلات السياسية التي نشأت من جراء ذلك.

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول، سبقها مقدمة المعرِّب ومقدمة المؤلِّف، ومدخل يمهِّد للموضوع. تحدث في الفصل الأول عن ((اهتمامات الأوربيين)) وأطماعهم المبكرة باليمن، فذكر حملات البرتغاليين، وهي أولى الحملات، تلاها حملات الإنكليز (١٥٩٩ – ١٦٦٣) متمثلة بشركة الهند الشرقية، فحملات الهولنديين من خلال شركة الهند الشرقية الهولندية (١٦٠٢ – ١٨٠٠ م)، فحملات الفرنسيين في البحر الأحمر (١٦٦٥ – ١٧٨٩ م). وأشار في الفصل الثاني ((التحوُّل من التجارة إلى السياسة)) إلى العمليات الحربية التي كانت تجري في المنطقة بين عامي ١٧٩٩ و ١٨٠١ م، وإلى بعثة السير هوم بوفام الإنكليزي الرسمية إلى إمام اليمن سنة ١٨٠٢، وإلى الخطر الوهابي بين عامي ١٨٠٦ و ١٨١١ م، وإلى وجود الأمريكيين في البحر الأحمر وكذلك البريطانيين ونشاط الفرنسيين. وبحث الفصل الثالث بداية ((مشكلة الحدود)) فأدرج فيها ما يتعلق بوجود القوات التركية في اليمن، وما يتصل بلجنة الحدود الإنكليزية – التركية ومجريات الأحداث حول ذلك خلال الحرب العالمية الأولى، وصلة بريطانية بالإمام يحيى. وفي الفصل الرابع توفر على موضوع ((العلاقات اليمنية الإنكليزية بين الحربين العالميتين))، فذكر فيه ما حدث من بعثات، وعمليات، وحوادث حدود، ومعاهدة صنعاء، ومطامع إيطالية، وصلات اليمن مع أمريكة وهولندة واليابان، وأوضاع اليمن خلال الحرب العالمية الثانية. وبسط الحديث في الفصل الخامس وتحت عنوان ((ملك آخر)) عن مقتل الإمام يحيى، وعن اليهود في اليمن، وعن محادثات لندن عام ١٩٥٠. وتحدث في الفصل السادس الأخير ((بداية النهاية)) عن الفترة التي سبقت الثورة اليمنية ١٩٦٢، وتناول عدة مواضيع مثل التمثيل الدبلوماسي عام ١٩٥١، والخطط الأولى لاتحاد عدن، ومشكلة الحدود، ودخول الروس، والقوات المسلحة اليمنية. وذيّل الكتاب بملحق لأحداث سنة ١٩٦٧.

ألحق بالكتاب فهارس عامّة.

**Abstract**

This book deals with the history of Yemen, its relation with Europe and the political problems that have resulted thereof.

The author divides his book into six chapters preceded by a preface by the translator, another by the writer and an introduction initiating the topic. Chapter One talks about *"The Europeans' Interests"* and their early forms of greediness in Yemen. Accordingly, he mentions the campaigns of the Portuguese, which were the first to invade Yemen, followed by the English campaigns (1599-1663 AD) represented by the Company of Eastern India, and then the campaigns of the Dutch through the Dutch Company of Eastern India (1602-1800 AD), followed by the French campaigns in the Red Sea (1665-1789 AD). Chapter Two, "The Alteration from Trade to Politics", indicates the military operations that took place in the region between 1799 and 1801, the official English mission of Sir Hadim Bufam to the Yemeni Imam in 1802, the Wahhabi danger between 1806-1811 and the US and British presence in the Red Sea, in addition to the efficiency of the French therein. Chapter Three discusses "The Start of the Border Problem" and includes the issue of the presence of the Turkish forces in Yemen, the affairs of the English/Turkish Border Committee, the relevant incidents during the First World War and Britain's relation with Imam Yahya. Chapter Four tackles the topic of "The Yemeni/British relations between the Two World Wars" presenting the missions sent there during that period, the operations, the border incidents, San'a's Treaty, Italy's greediness, Yemen's connections with the United States, Holland and Japan and Yemen's *status quo* during the Second World War. Chapter Five expaciates - under the title of "Another King" - in talking about the murder of Imam Yahya, the Jews in Yemen and London negotiations in 1950. Chapter Six, "The Beginning of the End", talks about the period which preceded the Yemeni revolution in 1962, the problem of the borders, the entry of the Russians and the Yemeni Armed Forces. An appendix of the events that took place in 1967 concludes the book.

General indexes are also appended to the book.

# YEMEN AND THE WEST

## Al-Yaman wa-al-Gharb

**BY: ERIC MACRO**

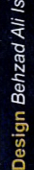
Tr: Dr. Ḥusayn ‘Abdullāh al-‘Amrī

يعرض هذا الكتاب للحوادث التي جرت في اليمن من خلال صلاته بالغرب في العصر الحديث منذ عام ١٥٧١ حتى قيام ثورة ١٩٦٢.

وقد جلّى المؤلف فيه علاقات اليمن بالغرب وفصّل فيها الحديث مشفوعاً بالتواريخ الدقيقة..

تحدث عن الأطماع البرتغالية المبكّرة، ثم الهولندية، فالإنكليزية، فالفرنسية، فالإيطالية، وأخيراً الأمريكية فالروسية. كما تحدث عن مشكلة الحدود، وذكر بعض الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها اليمن مع الغرب. و تعرض لبعض المشكلات الاجتماعية الداخلية والسياسية الأخرى.

الكتاب مملوء بالمعلومات، غزير بالفوائد، مهمٌ في موضوعاته.









ISBN 978-9933-10-103-9




أريك ماكرو

اليمن والغرب

نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور حسين بن عبد الله العمري

دار الفكر
www.fikr.com